من
أبعاد الغزو الفكري

البعد المذهبي

البعد اليهودي

البعد الاستشراقى

البعد البهائي

البعد القادياني

دكتور

محمد الأنور حامد عيسى

أستاذ العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - القاهرة

د / محمد الأنور حامد عيسى
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر
كلية أصول الدين – القاهرة

منْ
أبعاد الغزو الفكري

البعد المذهبي
البعد اليهودي
البعد الاستشراقي
البعد البهائي
البعد القادياني

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الموصوف بكل كمال والمنزه عن أي نقص سبحانه ما أعظم شأنه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد

فمنذ فترة طويلة صدر كتابنا (من أبعاد الغزو الفكري) وفيه تحدثنا عن أبعاد ثلاثة هي البعد المذهبي الماركسي ، والبعد اليهودي ، والبعد الاستشراقي .

وكنا نأمل مواصلة الحديث عن أبعاد أخرى امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم القدوة والمثل الأعلى محمد ﷺ في القرآن الكريم :

﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ .

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ .

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ .

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ .

كنا نأمل ولكن المشاغل الحياتية أرجأت طويلاً تنفيذ هذا الأمل .

ولقناعتنا بقول الشاعر

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فإننا نتخفف من بعض الأعمال ، ونسارع بإصدار الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وفيها نضيف بعدين آخرين ، وهما البعد البهائي والبعد القادياني .

أما لماذا هذان البعدان ؟

والإجابة باختصار :

إن البهائية والقاديانية وسيلتان من أخطر وسائل الاستعمار والصهيونية، لغزو الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، وتمزيق أواصر القربى بين أبنائه ، وزرع بذور الشك في كل ما يتصل بماضيه وحاضره ومستقبله واشغال المسلمين بقضايا جانبية تصرفهم أو تعوق حركتهم نحو القضايا الأصلية .

هما معاً بعدان من أخطر أبعاد الغزو الفكري ، لأن أصحاب البعد المذهبي الماركسي ، والبعد اليهودي ، والعبد الاستشراقي يصرحون كثيراً من خلال الأهداف والوسائل بكراهيتهم للإسلام ، ولا يخفون انتماءهم للمادية أو الصليب أو نجمة داود .

أما البهائيون والقاديانيون ، فالمؤسسون لنحلتهما في الأصل مسلمون، وربما ادعى بعض الأتباع أنهم على الإسلام الصحيح ، وأن حركتهما حركة إصلاحية لمسار المسلمين .

والبهائيون والقاديانيون بقولهم بأن دعوتهما دعوة تصحيحية فقط يجذبون الأتباع أو على الأقل يشككون في الإسلام .

إنهما معاً مؤامرة على الإسلام والمسلمين ، يتولى التخطيط لها وتحديد الأهداف والوسائل ، والإمداد بالعون المادي والمعنوي الاستعمار بكل أشكاله والصهيونية العالمية .

إن الاستعمار وبخاصة الإنجليزي الأمريكي الفرنسي الروسي على قناعة بالقاعدة التي تقول (فرق تسد) وبالقاعدة التي تقول (تبشير المسلمين

يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها) [١].

ولهذا فإنه يصطاد بعض العملاء الذي يحس فيهم الميل للتردي والسقوط في شباكه والعمل معه ضد بني قومه من المسلمين ويستخدم معهم كل وسائل الترغيب والترهيب ويغسل عقولهم ويحشوها بعد ذلك بالفكر المضاد ويساعدهم بكل الوسائل ثم يدفع بهم دفعاً لتحقيق الأهداف الاستعمارية بعد أن يلبسها ثوباً إسلامياً ويلبس المعتدين من المسلمين الساقطين في جبالهم ثوب الغيرة على الإسلام .

وفي أيامنا في القرن الواحد والعشرين ليس ببعيد منا ما حدث ويحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان وأخيراً وليس آخراً باكستان ، وربما يأتي الدور ويقترب من إندونيسيا وماليزيا والسودان واليمن .

إن الاستعمار والصهيونية عملا في الماضي ويعملان وربما بعد الآن على إبعاد الإسلام عن الساحة ، والسيطرة الكاملة على كل موارد الأمة الإسلامية والعربية .

ولتحقيق ذلك – وفي حدود موضوعنا – تبنى في القرن التاسع عشر الميلادي ميرزا حسين علي المازندراني الإيراني الجنسية والمسلم الديانة ، وأعده إعداداً خاصاً وهيأ الأجواء ويسر السبل لاتباعه وإنشاء نحلته .

ومع قيام البهائية في إيران استطاع الاستعمار أن يحقق كل ما يريد في إيران والعراق وفلسطين ... وبلدان إسلامية أخرى .

وفي نفس القرن ومن أجل السيطرة الكاملة على الهند ، ثم باكستان من بعد ثم بقية البلدان الإسلامية ، تبنى الاستعمار ميرزا غلام أحمد القادياني

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص ٣٨ .

الهندي الجنسية والمسلم الديانة وساعده على إنشاء نحلة مضـــادة للإســـلام ، تسمى بالقاديانية .

وفي السطور التالية إن شاء الله تعالى وفي هذه الطبعة الثانية ، نتناول بإيجاز غير مخل ما تناولته الطبعة الأولى من أبعاد – الماركسية – اليهودية – الاستشراق ونضيف بعدين آخرين هما البعد البهائي والبعد القادياني .

مع وعد إن أذن الله تعالى ، وكان في العمر بقية ، أن نواصل الحديث عن أبعاد أخرى للغزو مثل : البعد التبشيري ، والبعد الوجـــودي ، والبعـــد العلماني ، والبعد الليبرالي ، والبعد الماسوني .

والله تعالى من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

د / محمد الأنور حامد عيسى

١٤٣١ هـ

مدينة نصر ٢٠١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله وحبيبه ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار البررة .

وبعـــد :

فمما لا شك فيه أن الإسلام والمسلمين يتعرضان معاً في كل لحظة من لحظات الزمن ، وفي كل بقعة من الأرض ، لغزو فكري ، تتعدد أبعاده .

ومع تعدد الأبعاد تتعدد الوسائل . لكن الأهداف واحدة .

وهذه السطور تتناول بالدراسة والتحليل والنقد أبعاداً ثلاثـــة مـــن هـــذه الأبعاد وهي :

أولاً : البعد المذهبي ويعمل أصحابه جاهدين على علمنة كل شيء ، أي طمس معالم الدين الحق ، وإبعاد المجتمع المسلم عن قيمه الدينية ، أو علـــى أقل تقدير عزل الدين عن الحياة ، وحصره في إطـــار المســـجد والشـــعائر التعبدية .

والترويج لأفكار مثل : أزلية المادة وأبديتها ، وعدم وجود الخالق ونشأة الإنسان عن طريق النشوء والارتقاء ، واعتبار المادة هي كل شيء ، والقول بأن الدين خرافة ، وأنه لا وجود إلا للمحسوس ، وأن العقل وحده قادر علـــى معرفة كل أسرار الكون ... إلخ .

ثانياً : البعد اليهودي : ويمكننا القول بأن لليهود اليد الطـولى ، وهـم البعد الأشد خطراً في الغزو الفكريِ .

ونقول إن لليهود اليد الطولى لامتداد تأثيرهم الفكـري فـي الماضـي والحاضر والمستقبل ، وعملهم في إنشاء المذاهب الفكرية ، والترويج لهـا ، ومحاولة توجيه كل أبعاد الغزو لقهر المسلمين ، والتشويش على عقائـدهم ، وتحويل مسار الفكر في العالم لخدمة المصالح اليهودية .

ثالثاً : البعد الاستشراقي : ويقوم المستشرقون مـن خلالـه بالتعامـل المباشر مع الثقافة الإسلامية ، تحقيقاً وتأليفاً وترجمة وتدريساً ، ويمكنهم هذا التعامل من إسقاط أو إدخال ما يريدون ، مع تغليفه بثوب منهجي .

كما يقومون بدراسة كل ما يتصل بالشرق ، وبخاصة كل مـا يتصـل بالإسلام والمسلمين .

وهدفهم التعرف على الإيجابيات لإمداد بني قومهم بها ، ثم العمل على إضعافها في الأمة الإسلامية .

والتعرف على السلبيات لمحاولة تجنبها ، ثم تعميقها بـين المسـلمين ، وفتح الثغرات من خلالها لقوى التبشير والاسـتعمار ، للانقضـاض علـى مقدرات المسلمين .

هذا وقد بدأت الدراسة ببيان أثر الفكر على الإنسان ، ويـذكر بعـض الصور للغزو الفكري وبيان أهدافه .

والدراسة في مجملها تهدف إلى تعريف المسلم ببعض أبعاد الغزو في صورة موجزة ، وترجئ الكلام في التفصيلات لبحث آخر إن شاء الله تعالى .

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

د / محمد الأنور حامد عيسى

مدينة نصر

٣ نوفمبر ١٩٨٩ م

الجمعة في ٤ من ربيع الآخر ١٤١٠ هـ

مدخل ضروري

١- أثر الفكر في حياة الإنسان :

يتميز الإنسان عن بقية المخلوقات بأنه كائن حر الإرادة ، فهو وحده بحرية مطلقة يتحرك بين البدائل المختلفة ، ويختار منها ما يريد لنفسه .

والإرادة في الإنسان تابعة للعقل ، ومع سلامة العقل تسلم الإرادة وتكون سلوكيات الإنسان في الغالب صحيحة .

ومع حدوث بعض الخلل في العقل تختل الإرادة ، وبالتالي تكون سلوكيات الإنسان غير منضبطة .

والعقل كقوة في الإنسان يكون الأفكار عن الوجود وما وراء الوجود بالاستقراء المستمر للأشياء ، والتعرف على العلاقات الكائنة بينها ، والبحث عن الأسباب والمسببات .

ومع سلامة الأفكار التي كونت ، والوصول إلى القناعة الكاملة بها تتحول هذه الأفكار إلى عقيدة تسيطر على حركة الإنسان ، وتحكم كل سلوكياته وتؤثر في كيانه ، وتتحكم في طاقاته ، بل تدفعه أحياناً إلى تقديم روحه رخيصة من أجل الدفاع عن المعتقد .

ولو حاولنا أن ننظر إلى ذواتنا نظرة متأنية ، فسوف نجد ما يؤكد القضية السابقة ، فكل إنسان خاضع لأفكاره التي كونها وأصبحت معتقداً له .

فالذي عاش في بيئة إسلامية صالحة ، يتلقى منذ طفولته الفكرة تلو الفكرة عن أركان العقيدة ، وما يتصل بالعبادات والمعاملات والأخلاق ، ومع التلقي يرى التطبيق العملي ويدعى من داخل نفسه ومن غيره إلى المشاركة .

فإذا ما أصبح شاباً قادراً على التعبير عن ذاته ، نجد الأفكار التي تلقاها وعاشها هي التي تحكم ذاته ، وتوجه سلوكياته ونجده في إطار ما تلقاه من أفكار يحكم على المواقف ، كما يحكم على البشر بالصحة أو الخطأ بالسلب أو الإيجاب .

ونفس الأمر بالنسبة للذي عاش في بيئة كافرة تذوب ذاته في الغالب في الأفكار التي تأتيه من بيئته ، فنراه يتعصب لها بل يعمل على نشرها ، ويحسب أنه على حق في كل ما يقول ويعمل ، لأن ما تلقاه من أفكار في صباه أصبح بالنسبة له عقيدة تؤثر في ذاته وفي سلوكياته .

والاختلاف الناجم بين الأفراد سببه المباشر الاختلاف في الأفكار . فكل واحد يعيش بأفكاره التي كونها لنفسه أو كونت له وربى عليها حتى أصبحت هي إياه .

وكل واحد يعيش لأفكاره حيث يدافع عنها ويتحمس لإثبات خطأ أفكار الغير ولو أدى ذلك إلى هلاكه .

والشعوب مثل الأفراد تخضع للأفكار ومع قناعتها بها تكون توجهاتها وأصحاب التيارات والمذاهب الفكرية مثل الماركسية والوجودية والبرجماطية والوضعية وأصحاب الدعوات الهدامة مثل الصهيونية والماسونية والبهائية والقاديانية ، هم أنفسهم أصحاب أفكار اصطنعوها واقتنعوا بها وسيطرت على حركتهم في الوجود ، وحسبوا أنهم بها قادرون على تغيير مسار الإنسانية والتحكم في مقدراتها .

وهم يعلمون يقيناً أثر الفكرة في حياة الإنسان ، ولذا يزينون أفكارهم ، ويدفعون بها إلى الشعوب في همس تارة ، وفي ضجيج إعلامي تارة ثانية ، ووسط ركام من التزييف والتحريف تارة أخرى .

وهم إذ يفعلون ذلك يصدرون عن قناعة بأن التغيير مبدؤه ومنتهاه هـو الفكرة .

والانتصار الحقيقي لهم يتلخص في أمرين :

(أ) توصيل الفكرة إلى الغير .

(ب) تحقيق الاقتناع الكامل لدى الغير بها .

وبقدر نجاحهم في التوصيل وتحقيق الاقتناع لدى الغير يصير هذا الغير تابعاً ينفذ ما يراد منه ، إن بإرادته وإن بغير إرادته التي يحسب أنها إرادته .

وفي القرن العشرين ينشط الإعلام الغربي مستخدماً الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية المباشرة وغير المباشرة في المدرسة والجامعة والحقل والمصنع والمتجر ، بين المثقفين والمتعلمين والعامة ، في المسجد والكنيسة ، بل في كل مجال من مجالات الحياة ، وفي كل مكان يمكن أن تصله الكلمة .

ينشط في غزو فكري للعالم الإسلامي ، يستهدف الفرد والأسرة والجماعة والأمة ، من أجل تحويل الجميع إلى توابع يسهل السيطرة عليها وإلغاء شخصيتها ، واستنزاف خيراتها ، وإبعادها عن عقيدتها الحقة إلى عقيدة مصطنعة .

أن تغيير المفاهيم أو الأفكار ، بإلغاء الأفكار السابقة أو طمسها ثم إحلال غيرها محلها ينتج عنه بالضرورة سلوكيات تتناسب مع الأفكار الجديدة .

من أجل هذا يحرص الغزاة غزواً فكرياً على إبعاد المسلم عن مفاهيمه وعقائده الصحيحة أو على الأقل التشكيك في هذه المفاهيم والعقائد .

أنهم يهدفون إلى مسخ الشخصية الإسلامية ، وجعلها طيعة لتقبل ما يراد لها .

إن الغذاء المادي ضروري لبقاء الإنسان كجسم نام متحرك متناسـل ، والغذاء امعنوي - وأعني به الأفكار - ضروري لبقاء الإنسان كقوة عاقلـة مدبرة مريدة ، فاهمة لبعض خفايا الكون ، وباحثة عن صياغة جديدة لتأكيـد إنسانية الإنسان .

ومع سلامة الغذاء المادي وتنوعه يكون الكمال الجسماني .

ومع سلامة الغذاء المعنوي وتنوعه يكون الإنسان الحق .

ويأتي الطعام المسموم بالانهيار للجسم ، كما يـأتي الفكـر الممجـوج بالمسخ لإنسانية الإنسان .

٢- لمحة تاريخية عن الغزو الفكري وأهدافه

لا نتتبع كل محاولات التضليل والقصر الفكري التي قام بها أعداء الإسلام منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا من أجل إبعاد الإسلام عن ساحة الحياة ، وإثناء القائمين بالدعوة إليه عن دعوتهم ، والتشكيك في القيم الإسلامية ، وتفريغ الإسلام من أسسه .

وإنما فقط نذكر بعض الصور الجزئية والتي حدثت عبر فترات متباعدة ليتأكد القارئ من ملاحقة الغزاة للإسلام والمسلمين .

١- فمنذ بدء البعثة المحمدية ومحاولات الضغط والتخويف والتكذيب من أعداء الإسلام للمسلمين لا يتوقف .

فقد ادعى مشركوا قريش أن رسول الله ﷺ مجنون ، ويصور القرآن الكريم دعواهم الكاذبة هذه حيث يقول ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١).

٢- كما وصفوه ﷺ في حرب فكرية ضارية بأنه ساحر كذاب ، يقول القرآن الكريم ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢).

٣- وحاولوا إغراءه ﷺ ليترك ما هو عليه من أمر النبوة ، فقد ذهب إليه عتبة بن ربيعة موفداً من قريش وقال له " يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به

---

(١) سورة الحجر الآية : ٣ .

(٢) سورة ص الآية : ٤ .

ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه " [١].

٤- كما حاولوا أن يدفعوا الرسول ﷺ إلى إتباع شيء من دينهم ، على أساس أن يتبعوا هم شيئاً من دينه ، حسبانا منهم أن الأمر مجرد رغبة شخصية عند محمد ﷺ يقول الله عز وجل ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٢].

٥- ومع تجويعهم وتخويفهم ومحاصرتهم وتعذيبهم للمسلمين لجأوا أيضاً إلى التأثير النفسي عليهم بالسخرية منهم تارة والتندر واللمز تارة أخرى . يصور القرآن الكريم هذا الإجراء خير تصوير حيث يقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [٣].

٦- وفي المدينة المنورة استقبل اليهود المسلمين المهاجرين بالضيق الشديد والحسد والمكر وبدأوا فور وصول المهاجرين في التآمر على الإسلام والمسلمين ، وتأليب الأعداء عليهم ، والضغط على المشركين حتى لا يدخلوا في الإسلام ، وتشكيك المسلمين في إسلامهم حتى يخرجوا منه .

ومن أساليبهم في غزو الإسلام من داخله والتشكيك فيه :

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٠ ، ٩١ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الجاثية الآيات ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة المطففين الآيات ٢٩ : ٣٤ .

(أ) دخولهم في الإسلام نفاقاً حتى يتمكنوا من معرفة أسرار المسلمين والكيد لهم والتعرف على نقاط القوة ليضعفوها بالكذب والتزييف ، ونقاط الضعف لينموها وينشروها في كل مكان .

(ب) تظاهرهم بالدخول في الإسلام واعتناق مبادئه ثم الارتداد عنه حتى يبلبلوا أفكار المسلمين ، ويفقدوهم أمنهم النفسي ، ويبعدوا عن الإسلام من يفكر في الدخول فيه .

ثم السخرية والطعن في الإسلام ومناصرة أعدائه .

٧- ولقد كان لليهودي عبد الله بن سبأ - الذي دخل الإسلام نفاقاً - دور كبير في الغزو الفكري ، حيث عمل بمكر ودهاء على تأليب المسلمين في مصر والبصرة والكوفة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وكان من نتاج عمله مقتل عثمان وترويع المسلمين وتفتيت وحدتهم وتكوين فئات متناحرة .

ومع تولي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الخلافة ، واصل ابن سبأ وأتباعه غزوهم الفكري للمسلمين حيث ادعى أن الرسول محمداً سوف يعود للحياة الأرضية مرة ثانية مثل عودة عيسى - عليه السلام - ، وأن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي لمحمد ﷺ ، وأن محمداً خاتم الأنبياء وعلياً خاتم الأوصياء .

ثم راح بعد ذلك يدعي أن علياً نبي ، ثم رقى ادعاءه الكاذب وقال بألوهية علي ، وبعد مقتل علي - رضي الله عنه - أخذ هذا المأفون يردد القول بأن علياً لم يقتل وإنما رفع إلى السماء مثلما رفع عيسى - عليه السلام - وأنه سينزل إلى الأرض ليملأها عدلاً كما ملئت جوراً [١].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٤ تحقيق عبد العزيز الوكيل ط الحلبي .

ولقد كان لهذا التزييف أثره في تكوين فرق الشيعة وبخاصة الغلاة منهم .

٨- وفي سنة ١٢٤٨ م جاءت الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا .

وقد لاقت هذه الحملة مقاومة مشكورة من المصريين ، وفيها أسر لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة (١).

وبعد أن فدى نفسه وعاد إلى بلده راح يفكر في طريقة جادة للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وخرج من تفكيره الطويل بضرورة التحويل من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري ، والذي دعاه إلى ذلك ما رآه من بسالة المسلمين حيث يدعوهم دينهم للتضحية والفداء في سبيل الله .

ورأى أن الاستمرار في غزو المسلمين بالسلاح سيزيد من صلابتهم وإصرارهم على المقاومة ، وأن من الأجدى لأوربا الصليبية أن تبدأ فوراً في وضع خطة فكرية مدروسة هدفها تغيير أفكار المسلمين وتشكيكهم في دينهم .

وقد وضع وثيقته الشهيرة والتي نلخص أهدافها فيما يلي :

(أ) العمل الجاد على إيقاف الزحف الإسلامي .

(ب) احتواء المسلمين والسيطرة عليهم فكرياً حتى يسهل التحكم في سلوكياتهم ودفعهم لتحطيم أنفسهم بأنفسهم وبذلك يخدمون المخططات الصليبية .

(جـ) اصطناع العملاء من بين المسلمين حتى يمكن استخدامهم فيما بعد في السيطرة على بني قومهم وتغيير أفكارهم وخدمة الأغراض الصليبية .

---

(١) الحروب الصليبية بدؤها مع مطلع الإسلام ص ٧٦ د / أحمد شلبي ، النهضة المصرية .

(د) إنشاء قاعدة للغرب في الشرق الإسلامي وإعدادها إعداداً كــاملاً وإمدادها بكل الوسائل والمخططات والإمكانيات حتى تخدم قوى الغزو الفكري المتعددة .

٩- وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون ورأى زعيمها كما رأى سلفه من قبل أن الهيمنة الحقيقية ونجاح الغزو العسكري ، لا تتم هــذه الأمور إلا بإبعاد الإسلام ، ولذا قام بتنحية الشريعة الإســلامية عــن الحكــم واستبدلها بالقوانين الفرنسية الوضعية .

وبعمله هذا تمكن من إيجاد خلخلة في نفسية المسلمين مع نموها عبــر مرور الأزمنة أتى الضياع ، وفقد المســلمون جــزءاً كبيــراً مــن هــويتهم الإسلامية ، واحتضنوا أفكاراً غريبة عن واقعهم ودافعوا عنها .

١٠- ومع مجيء الاستعمار البريطاني لمصر بدأ بأعمال تهــدف إلــى إبعاد الإسلام عن الساحة ومنها إفساد التعليم والمرأة والسياسة والفكر والثقافة والفن والعمل على نشر الاتجاه العلماني .

ولم يقتصر الأمر على مصر وحدها بل إن أوربا متمثلة فــي انجلتــرا وفرنسا وإيطاليا وهولندا عملت على علمنة كل بلد إسلامي ، تمهيداً لتحقيــق هدف الصليبية والذي يتلخص في هدم الإسلام من جذوره وإبعاده كلية عــن الحياة وهذا الهدف لا يتم إلا بما يلي :

(أ) التشكيك في عقائد الإسلام وعبادته وأخلاقه ونظمه ومعاملاته .

(ب) تشويه ماضي وحاضر الإسلام والمسلمين .

(جـ) إظهار الإسلام بصورة الدين الذي يحرص على تقوقع الإنســان داخل نفسه وتخلفه ورضاه بالضعف والمذلة .

(د) إحياء النعرات العنصرية والقوميات القديمة مثل الفرعونية والأشورية والبابلية وغيرها وتوسيع الهوة بين الفرق الإسلامية مثل الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والشيعة والخوارج .

(هـ) توهين الصلاة بين أفراد وجماعات الأمة الإسلامية وزرع بذور النفور والشك بين الجميع وتحقيق التغريب الكامل للمسلم وإفقاد الشباب لهويته الإسلامية وإشعاره بالنقص والتخلف .

(و) إعطاء الشعوب الغير إسلامية الجرعات الفكرية المستمرة التي تدفعهم لكراهية الإسلام والحقد على كل من ينتسب إليه ومحاربته في كل الأوساط وبكل الوسائل .

(ز) اصطناع العملاء من بين ضعف النفوس والسيطرة عليهم ثم الزج بهم في المجتمعات الإسلامية لإيجاد الاهتزازات النفسية وتكليفهم بالتشويش والطعن في كل ما يتصل بالإسلام .

(حـ) محاربة اللغة العربية بإحياء اللهجات العامية ، وإظهار العربية بصورة اللغة المتخلفة التي لا تواكب العصر ولا تصلح للعلم ، والدعوة إلى كتابتها بالحروب اللاتينية وإظهار أساتذتها في ثوب مضحك ، وعدم الاهتمام بشئونهم .

(ط) الترويج للأفكار الغربية والعمل على نشر المبشرين والمستشرقين بين البلدان الإسلامية ، وتكليفهم بمهام خاصة تساعد في النهاية على تحقيق الهدف المشار إليه سابقاً .

(ي) العمل على " إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي ، وإبعاد العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه " (١).

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة ص ٢٤٩ أنور الجندي دار الكتاب اللبناني بيروت .

الأبعــاد

أولاً : البعد المذهبي

١- ماذا نعني بالبعد المذهبي .
٢- تعريف بالمذاهب الفكرية .
٣- المذهب الفكري والمذهب الديني .
٤- ضرورة التعرف على المذاهب الفكرية .
٥- الأسباب التي أدت إلى نشأة المذاهب الفكرية في أوربا :
أ- أوربا لم تعرف إلا مسيحية بولس .
ب- الطغيان الكنسي .
ج- صكوك الغفران .
د- محاكم التفتيش .
٦- ما تتناوله المذاهب الفكرية .
٧- وقفة نقدية قصيرة .

البعد المذهبي

١- ماذا نعني بالبعد المذهبي ؟

نعني بالبعد المذهبي تلك المذاهب والتيارات الفكرية التي نمت وترعرعت على أيدي نفر غير قليل من المفكرين الأوربيين .

أنشأوها وصاغوها في قوالب علمية مختلفة ، وأسموها بتسميات متعددة ، وحددوا الأهداف منها ، والوسائل الموصلة للأهداف . وكانت غايتهم منذ البدء محاولة تصحيح مسار الإنسان في أوربا ، والأخذ بيده بعيداً عن المنزلق الخطي والهوة السحيقة التي يندفع نحوها بسبب تفشي الجهل والعنت . ثم بناء المجتمع على أسس يرونها علمية تغاير ما هو عليه .

وقد كانت انطلاقتهم ثورة على المسيحية البوليسية ومؤتمر نيقية الذي غلب التثليث على الوحدانية .

إلا أنه في إطار هذه الثورة لم يفرق أصحاب المذاهب بين دين سماوي صحيح ، ودين هو من اختلاق بولس ، بل عادوا قضية الدين عموماً ، ووقفوا مواقف لا يحسدون عليها من قضايا الله والإنسان والقيم الدينية والحياة .

وبفعل الزمن تحولت المذاهب إلى عقائد راسخة سيطرت على كيان مؤسسيها ، مما حدا بهم إلى تسخير كل إمكاناتهم العقلية والمادية لنشرها بين بني قومهم ، ثم محاولة نشرها بين الشعوب الأخرى ، والترويج لها بكل السبل وفي كل المجالات ، ودفعها لتحتل مركز الصدارة في تفكير وسلوك الجميع .

ومع أي نجاح يحققه أصحاب المذاهب بالطمس والإزالة والإحلال مع أي شعب من الشعوب ، يتحول هذا الشعب إلى دمية تتحرك بغير إرادتها محققة في سلوكها كل ما يريده المخططون منها .

والمذاهب الفكرية قائمة ، وهي خطر جاثم على عقول الكثيرين ، ويزيد من خطرها أن دولاً عظمى تتخذها ديناً لها وتعمل على نشرها .

وتقتضينا الأمانة أن نتابع القضية من البداية .

فما هي المذاهب الفكرية ؟

٢- تعريف بالمذاهب الفكرية

والمذاهب الفكرية هي مجموعة المفاهيم والاتجاهات والحلول والتفسيرات التي انبثقت من العقل البشري بهدف إعادة البناء الاجتماعي في أوربا وغيرها بعيداً عن أي تفسيرات دينية .

وقد تحولت مع الزمن إلى معتقدات يذهب إليها ، وتوجه الشعوب إلى الإيمان بها والسير على هداها .

لقد مرت أوربا بفترة ما يسمى بالعصور الوسطى ، وفي هذه الفترة اشتد الظلام في كل أرجائها لأسباب سنذكرها فيما بعد ، وضاع الإنسان على الطريق واهتز كيانه البشري ، وتلفت بعض المفكرين حوله باحثاً عن الأسباب ، ومحاولاً الحصول عن مخرج ، وتكررت المحاولات الفكرية التي أعطت فيما بعد اتجاهات وتفسيرات تنأى بالإنسان بعيداً عن الظلام – كما هو الظن .

فمحاولة تعطي الإنسان الفرد كل شيء ، وثانية تسلبه كل شيء وترى أن الجماعة هي الأحق والأولى بالرعاية أما الفرد فمجرد ترس صغير في آلة كبيرة هي المجتمع ، وثالثة ترجم الأديان وما فيها من عقائد وقيم حسباناً منها أنها أساس النكبات وتأخر البشرية ، وأخرى تقدس العقل وترى أنه قادر على كل شيء وهكذا .

ونشأ عن هذه المحاولات فيما بعد ما سمي بالمذاهب والتيارات الفكرية .

ولكل مذهب من هذه المذاهب رؤيته المتكاملة في رأيه عن الكون والحياة والإنسان والإله والقيم .

٣- المذهب الفكري والمذهب الديني :

المذهب الفكري والمذهب الديني كلاهما يعبر عن اجتهاد المفكر ، ورؤيته الشاملة ، والاتجاه الذي يركن إليه ، والتفسير الذي يتحرك خلاله ، ويعمل من أجل نشره بين بني البشر ، ويجب أن ينضوي الكل تحت لوائه .

وهناك فروق بينهما نرى من أوضحها ما يلي :

أولاً : المذهب الفكري يعتمد كلية على العقل البشري ، وهو منذ البدء يطلق النص الديني أو على أقل تقدير ينظر إليه بازدراء أو لا مبالاة .

أما المذهب الديني فإن منطلقه الأساسي هو الاعتماد على النص الديني ، فالفقيه المسلم أو المتكلم الأشعري أو الماتريدي مثلاً يتحرك الواحد منهم بعقلانية ترتبط في كل لحظة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة .

ثانياً : صاحب المذهب الفكري يعطي لنفسه الحق في مناقشة كل القضايا ويثق كثيراً فيما يصل إليه بعقله .

أما صاحب المذهب الديني فيتحرك في دائرة المسموح به ، أي أنه يبتعد عن كثير من قضايا الغيب مثل كنه الذات الإلهية وحقيقة القدر والروح .. إلخ .

ثالثاً : المذهب الفكري يهدف إلى إطلاق العنان للإنسان بلا قيد من قيم أو أخلاق باسم الحرية، كما هو الحال في المذهب الفردي (الوجودية) أو إلغاء الإنسان الفرد في سبيل المجموع ، كما هو الحال في المذهب (الشيوعي) .

أما المذهب الديني فيهدف إلى مساعدة الإنسان الفرد والجماعة ، ويعمل على تأكيد الفرد لذاته دون أي صدام مع مصالح الجماعة .

رابعاً : المذهب الفكري يعطي حق التشريع للإنسان الفرد كما هو الحال في المذهب الرأسمالي ، أو للإنسان الجماعة كما تدعى الشيوعية .

أما المذهب الديني فإنه يؤمن بأن لا حاكمية إلا لله تعالى وإذا كان من حق العقل أن يعمل فإن عمله لا يخرج عن النص الديني .

ولما كان المذهب الفكري يعتمد على الفكر البشري ، والمذهب الديني ينطلق من خلال النص الديني ، فإن المذهب الاقتصادي أو السياسي مثلاً حينما يقترب من المذهب الفكري يكون رؤية فكرية محددة لجانب محدد وهو الاقتصاد أو السياسة بعيدة عن التفسيرات الدينية .

وحينما يقترب من المذهب الديني ويستلهم منه رؤية متكاملة فإنه حينئذ يسمى بالاقتصاد الديني أو الإسلامي ، وبالسياسة الدينية أو الإسلامية .

٤- ضرورة التعرف على المذاهب الفكرية

أصبحت المذاهب الفكرية هي السمة المميزة للعالم ، وبخاصة الدول العظمى ، وهي تعد أداة فعالة تغزو أدمغة الشعوب والتسلط على عقائدهم وأخلاقهم .

ومن الشعوب المستهدفة والمراد قهرها وصبغها بالصبغة العلمانية الإلحادية الشعوب الإسلامية .

لهذا أصبح لزاماً على كل مسلم أن يتعرف على هذه المذاهب ، وما فيها من سموم ، حتى لا يؤخذ على غرة ، وحتى يتقيها ، ويدافع عن دينه وعقيدته بالوسائل العلمية الصحيحة .

والمسلم في ظل الإسلام مطلوب منه أن لا يكون إمعة ، فقد ميز بالخيرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (١).

ويقول عز وجل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ويقول الرسول الكريم ﷺ (لا يكن أحدكم إمعة يقول إذا أحسن الناس حسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أو أساءوا ألا تظلموا) (٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .

(٣) رواه الترمذي .

ويقول ﷺ (الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله قال : لله ورسوله وخاصة المسلمين وعامتهم) [١].

ومن باب الخيرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم المسلم أن يتعرف على فكر عدوه حتى يرده عن نفسه وعن غيره .

ومن باب تمييز المسلم وظهور شخصيته يلزم أن لا يركن لأفكار غريبة عن دينه ، أو يقف متفرجاً معصوب العين ، مغلق الأذن ، مجمد العقل ، يسير مع الناس أينما ساروا وكيفما ساروا ، بل عليه أن يقود الجميع إلى الطريق الصحيح ، ولا يقدر على ذلك ، ولا يقوى على النصيحة الحقة الواعية الصادقة إلا إذا عرف ما يحيط به من تيارات .

ومن قبل قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – (لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية) .

فوقوف المسلم ومعرفته الصحيحة لدعائم الكفر والضلال والظلم الذي يخيم على الفكر الأوربي ، تدفعه هذه المعرفة للوقوف على ما هو عليه من هدى رباني ونور إلهي فيعتصم بحبل الله ، ويدافع عن عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والمسلم ملزم أن يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل أعداء الله بطريقة علمية صحيحة ، لذا يلزمه مع المعرفة الصحيحة لدينه أن يعرف ما حوله من تيارات وفكر حتى يجادل بالتي هي أحسن .

يقول سبحانه ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

إنه لمن ظلم الإنسان لنفسه أن يعيش بعيداً عن معرفة التيارات الفكرية المعاصرة له ، والجهل الحقيقي أن يغلق بابه اعتقاداً منه أن هذا الإغلاق من انجح الوسائل لحمايته وحماية مجتمعه .

ومن الجهل الواضح أن نلجأ إلى أسلوب الصراخ والسباب والتشنج كلما التقينا بتيار وافد .

إنهم يعيشون الباطل ومع ذلك يقدمونه للشعوب في أسلوب علمي . ويغلفونه بدلاتل عقلية ويزينونه بحيلهم .

أما نحن أصحاب الحق والحقيقة فنركن إلى الضعف ، ونعظ أنفسنا بعظات مكرورة ، ونحسب أننا بذلك نحمي دين الله الذي ائتمننا عليه ، وحينما يكثر اللغو والشغب حولنا نصم آذاننا ونغلق عيوننا .

لقد عطلنا الجهاد بالسيف ، فلا أقل من أن نجاهد باللسان والقلم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [١].

---

(١) سورة الصف الآية : ٨ .

٥- الأسباب التي أدت إلى نشأة المذاهب الفكرية في أوربا

من أهم الأسباب التي أدت إلى تفتق العقل الأوربي وبحثه عن مخارج لأزماته المتعددة وإنشائه للمذاهب الفكرية ما يلي :

(أ) إن أوربا لم تعرف مسيحية عيسى - عليه السلام - على حقيقتها وإنما عرفت مسيحية محرفة في العقيدة ومبتعدة عن التشريع الصحيح في الشريعة .

(ب) ما لاقته أوربا من طغيان كنسي في جميع المجالات .

(جـ) انتشار ما يسمى بمحاكم التفتيش ومهزلة صكوك الغفران .

ويلزمنا أن نعرف بكل نقطة من هذه النقاط بإيجاز :

(أ) أوربا لم تعرف إلا مسيحية بولس فقد بعث عيسى - عليه السلام - في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات ، بدين يدعو إلى المحبة والتسامح والسلام .

وكانت المنطقة آن ذاك تغط بمعتقدات وأفكار متعددة .

فهناك كانت الديانة اليهودية التي جاء بها موسى - عليه السلام - لبني إسرائيل .

وفي مصر كانت الوثنية الفرعونية التي تبنى على التثليث أي عبادة إيزيس وأوزوريس وحورس .

وفي الدولة الرومانية كانت الوثنية التثليثية التي تقول بآلهة ثلاثة جوبتير ومارس وكورنيوس .

وتضيف الوثنية الرومانية إلى هذا الادعاء القول بربوبية الأباطرة وعبادتهم وتقديس الصور والتماثيل .

ثم كانت الأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث أيضاً – المنشئ الأزلي الأول ، والعقل الذي تولد منه ، والروح التي هي أساس الأرواح .

وقد صدر العقل عن المنشئ الأول ومن العقل انبثقت الروح التي هـي أساس الأرواح كلها (فإذا عبرنا عن المنشئ الأول بالأب وعن العقل المتولد عنه بالابن وعن الروح بروح القدس – كما هو ثالوث النصارى – لما خرجنا عن الصواب) (١).

ووجدت المثرانية وهي وثنية أساسها الكاهن والمـذبح فلكـي يتطهـر الإنسان عليه أن يقدم عن طريق الكاهن القربان للآلهة .

في هذه البيئة بعث عيسى بدعوة التوحيد ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّـوْرَاةِ وَمُبَشِّـرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَـاتِ قَـالُوا هَـذَا سِـحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢).

ويأتي سؤال إذا كان عيسى – عليه السلام – قد جاء بدعوة التوحيد في الجانب العقدي فلم دانت أوربا بالتثليث ؟

وإذا كان المسيح قد قال بني عبد الله ورسوله فلماذا قالت أوربا بألوهية المسيح وبأنه ابن الله ؟

هل قال المسيح – عليه السلام – بذلك ؟

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٢ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) سورة الصف الآية : ٦ .

الحقيقة أن اليهودية تربصت بالمسيح وأوغـرت صـدر الإمبراطـور الروماني عليه حتى إذا هم بقتله رفعه الله إليه ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [١].

ودفعت برجل يهودي اسمه شاول ليقلب المسيحية رأساً على عقب .

ولقد كان شاول هذا من ألد أعداء المسيحية وكثيراً ما نكل بالمسـيحيين يقول عن نفسه (إني كنت اضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها وكنت أتقدم فـي الديانة اليهودية على كثيرين من اترابي) [٢].

وقد ادعى شاول هذا والذي سمي فيما بعد ببولس الرسول أنـه سـمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقـال الرب أنا يسوع الذي تضطهده فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل [٣] أي ادع إلـى المسحيية .

وقد نشط بولس هذا فيما بعد وراح يدعو بالتثليث ، وألوهية المسـيح ، وبنوته لله ، وبأنه بعث من عند أبيه ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشرية ، وأنه بعد الصلب رفع ليقوم على يمين الرب أبيه .

وإذا حاولنا أن نبحث عن أصول لمسيحية المسيح في مسيحية بولس فلن نجد .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٥٧ .

(٢) غلاطية الإصحاح الأول ١٤ / ١٥ .

(٣) أعمال الرسل الإصحاح التاسع ٥ : ٧ .

فبولس عاش عصره واطلع على عقائد وأفكار هذا العصر ومنها ما ذكرنا آنفاً ، واستطاع بذكائه الفذ أن يدعو إلى مسيحية هي تركيبة من الوثنيات والعقائد ، وقال بأنه يتلقى هذا إلهاماً حتى لا يناقشه أحد .

يقول ويلز (وقد أوتي بولس قوة عقلية عظيمة كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فنراه على علم عظيم باليهودية والمثرانية وديانة ذلك الزمان الذي تعتنقها الإسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم) .

ويقول (فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية . أما ما علم بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء لاسترضاء الإله) [١].

ولقد بقي هذا التحريف في العقيدة المسيحية بعد مقتل بولس على يد الرومان في عهد نيرون .

ولقد تعرض المسيحيون منذ بدء الدعوة المسيحية لاضطهادات مستمرة من الرومان ، حيث كانوا يلقون للوحوش الضارية لتفترسهم ، وتطلى أجسامهم بالقار وتشعل لتكون مصابيح لاحتفالات نيرون ، وقد أمر دقلديانوس بهدم كنائسهم وإعدام كتبهم المقدسة واعتبار المسيحيين مدنسين تسقط حقوقهم المدنية [٢].

واستمر الحال على ذلك لأكثر من ثلاثة قرون وحتى سنة ٣١٣ م [٣] ومع بدايات القرن الرابع أصدر الإمبراطور الروماني قسطنطين أمره

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ٧٠٥ هـ ج ويلز ط ٢ التأليف والترجمة .

(٢) المسيحية ص ٧١ – ٧٢ د / أحمد شلبي .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٣ .

بالتسامح ، ثم رأى بعد ذلك لأمر يتصل باستقرار دولته أن يدخل المسيحية ، وراح يرقب عن كثب ما عليه المسيحيون فوجدهم أحزاباً متناحرة فمنهم من يقول بالتثليث وألوهية عيسى وبنوته لله وهم أتباع بولس الرسول .

ومنهم من يقول بأن المسيح بشر ورسول ولم يبعث ليكفر عن خطيئة أحد . وهم أتباع آريوس وهكذا . فدعا إلى مؤتمر نيقة سنة ٣٢٥ م وحضره كبار رجال المسيحية وكان عددهم ٢٠٤٨ ولما بدأ المؤتمر اشتد اختلافهم وخاصة حينما أعلن آريوس أن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع .

ولما كانت عقيدة التثليث وألوهية المسيح تتمشى مع وثنية الإمبراطور الروماني قسطنطين ويستريح لها ، فقد تدخل حاسماً الموقف حيث أمر بإخراج من يقولون بالتوحيد ، وببشرية المسيح ، وقبض على الكثير منهم ، وقتل أريوس مع بعض مؤديه ، ثم أعلن رضاءه الكامل على من يقولون بالتثليث وألوهية المسيح .

وأعلنت الكاثوليكية ديانة عامة للدولة الرومانية واختار أربعة أناجيل ثم أمر بحرق الأناجيل الأخرى .

وقد فرض قرار مؤتمر نيقية فرضاً على المسيحيين وعذب وشرب وقتل من اعترض على ذلك (١).

ومن يومها لم تعرف أوربا إلا هذه المسيحية البوليسية .

وهي مسيحية وثنية يرفضها العقل الجاد الذي يحترم نفسه .

وهي مسيحية بعيدة كل البعد عن ما جاء به المسيح – عليه السلام – يقول برنتن :

---

(١) المسيحية ص ١٤١ / ١٤٢ نقلاً عن الإنجيل والصليب ص ٢٠ / ٢١ وراجع مؤتمر نيقية في قصة الحضارة ج ١١ مجلد ٣ ص ٣٩٤ ول ديورانت .

إن المسيحية الظافرة في مجمع نيقية – وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم – مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل ، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية نخرج من ذلك قطعاً لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً (١).

وإذا كانت أوربا لم تعرف إلا هذه المسيحية المحرفة في العقيدة ، فقد عرفت أيضاً المسيحية عقيدة فقط بلا شريعة .

أما الشريعة فهي القانون الروماني الذي أخذ الشرعية الكاملة من قوله تروى عن السيد المسيح (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

ومعلوم أن الدين الصحيح عقيدة وشريعة لا ينفصمان .

ويوم أن يحدث الفصام يكون المسخ لإنسانية الإنسان .

وهذا ما حدث في أوربا من تخبط في جميع الاتجاهات وضياع على الطريق وزلزلة للنفس الإنسانية .

(ب) الطغيان الكنسي :

أحاطت الكنيسة الكاثوليكية نفسها بهالة من الغموض والسرية ، وأوحت للناس بأنها وحدها التي تعرف الأسرار المقدسة ، وأنها تملك حق الغفران ، كما تملك حق الطرد من رحمة الله ، وأعلمت المسيحيين أن البابا هو ممثل الله في الأرض ، وأن ذاته مقدسة ، كما أن كلماته تستحق التقديس الكامل .

ونتيجة للجهل المتفشي في أوربا ، فقد أثرت هذه الإيحاءات في الشعب الكنسي تأثيراً كاملاً ، بحيث صار الجميع يخضعون في أقوالهم وأفعالهم

---

(١) أفكار ورجال ص ٢٠٧ جرين برنتن – مصر ١٩٦٥ .

خضوعاً مذلاً للكنيسة ، ويحسبون أنهم بذلك يقتربون من ملكوت الله ، ويرضون الرب يسوع إله الكنيسة الكاثوليكية والابن الوحيد لله كما يزعمون .

ولم تضيع الكنيسة فرصة الخضوع المذل من الشعب لها ، بل أخذت تنميه في جميع الجوانب بالتسلط والقهر تارة وبالادعاءات والإيحاءات تارة أخرى .

فالمسيحي لا يصبح مسيحياً حقيقياً منذ طفولته إلا إذ عمد عن طريق القسيس [١]، والقسيس هو الذي يزوجه وهو الذي يستمع لاعترافه بخطاياه ويقبل توبته أو يطرده من رحمة الله بالحرمان الذي يملكه نيابة عن الله ، ومهما كان الإنسان تقياً أو صادقاً في حبه لله فإن صلاته لا تقبل إلا إذا تقدمه القسيس والويل لمن مات وحرم من قسيس يصلي عليه .

وتقول الكنيسة بالأسرار المقدسة ، والتثليث للأب والابن والروح القدس – والنحلة – وهو ادعاء يعطي لكبار رجال الدين المسيحي حق التحلل وعدم الالتزام بأوامر الدين الكنسي[٢] والعشاء الرباني – وهو الادعاء بأن المسيحي الذي يأكل خبزاً ويشرب خمراً في يوم الفصح فإن الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه فكأن المسيحي بذلك أكل جسد المسيح وشرب دمه وبذلك يصير مسيحياً مقرباً من يسوع الرب جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس قول عيسى – عليه السلام – :

(والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ومن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية يثبت في وأنا فيه فمن يأكلني فهو يحيا بي) .

---

(١) المسيحية ص ١٦٨ د / أحمد شلبي .

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٢٠٢ .

وإنزال الرب لابنه الوحيد من السماء إلى الأرض ليصلب على الصليب تكفيراً عن خطيئة آدم وتطهيراً للبشرية من الذنوب[١] ثم امتلاك الكنيسة لحق الغفران وحق الحرمان وقداسة الصليب وغير ذلك من الأسرار [٢].

وتدعي الكنيسة أنها وحدها التي تعرف حقيقة هذه الأسرار وأنها وحدها التي تملك حق تعريفها للغير .

ولو حاول أحد من الناس أن يفهم أو يعرف ، فإنها تنهره وتتهمه بالمروق عن المسيحية وتلجأ إلى وصفه بأفظع الصفات ، ومنها الكفر والهرطقة ، ولكي يكون المسيحي حقيقياً في مسيحيته عليه أن يعطل عقله ويتقبل كل الأسرار كما هي دون أي محاولة للتساؤل أو الارتياب وإلا استحق اللعنة الأبدية .

وفي مجال التفسيرات الكونية طاردت الكنيسة كل من يقدم من العلماء تفسيراً يخالف ما تقول هي به .

فهي تقول بأن الأرض مسطحة ، وأنها مركز الكون ، وأن علاج المرضى يكون بقراءة بعض ما في الأناجيل وغير ذلك من التفسيرات التي تنم عن جهلها .

ومع هذا فلو جاء أحد العلماء بتفسير علمي ، بناء على الملاحظات المستمرة ، واستقراء ما في الكون ، واستخدام الأجهزة العلمية الدقيقة ، وكان هذا التفسير يخالف ما تقول به الكنيسة فإنه يتهم بالكفر والزندقة والهرطقة ويستحق الطرد من رحمة الله والحرمان من جنته ، ليس هذا فحسب بل تطارده الكنيسة وتقبض عليه وتعرضه لأشد العقوبات الدنيوية ، ثم تقوم

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٢٥ .

(٢) المسيحية ص ٢٤٢ .

بإعدامه حرقاً بعد ذلك ويكفي أن نعرف أن كوبرنيكوس حينما قال بأن الأرض كروية ، تعرض للعذاب الشديد من رجال الكنيسة وهموا بإعدامه إلا أن منيته وافته فاحرقوا كتبه .

وأعلن برونو بعد ذلك ما قال به كوبرنيكوس فكان جزاؤه بعد التعذيب الحرق حياً [١] وجاء بعدهما جاليليو ليؤيد بالأجهزة العلمية كروية الأرض فقبضت عليه الكنيسة وعرضته لألوان متعددة من العذاب ، وقبل أن تنفذ فيه حكم الإعدام كان هو أذكى إذ أعلن في الظاهر رجوعه عما يقول وأنه يعلن توبته وعودته لما تقول به الكنيسة فاضطروا للإفراج عنه .

يقول ويلز (ولم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها فإن الشيوخ الحصفاء المولعين بالأبهة السريعي الهياج الحقودين ، الذين من الجلي أنهم كانوا الأغلبية المتسلطة في مجالس الكنيسة ، كانوا يضيقون ذرعاً بأية معرفة) [٢].

ولم تكتف الكنيسة بالتسلط على أرواح الناس وعقولهم بل راحت تدعو الشعب الكنسي إلى الشظف والخشونة والتمسك بالفقر وتبين لهم أن من أراد ملكوت الله فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير عليه وأن مرور جمل من سم الخياط أيسر من دخول غني ملكوت الرب .

والدعوة في حد ذاتها مقبولة لكن بشرط أن تلتزم الكنيسة فهل فعلت ؟ !

يقول كربسون (كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والقناعة والصوم والورع والرحمة ، كل ذلك كان خيراً للمؤمنين والقسيسين ... أما أساقفة البلاط والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر ، البذخ

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٥٧ د / توفيق الطويل .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ٩٠٥ .

والأحاديث المتأنقة مع النساء ، والشهرة في المجالس الخاصة والعجلات والخدم والأرباح الجسيمة والموارد والمناصب) (١).

ويقول ول ديورانت (كانت أملاكها الزمنية ، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه ، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين ، ومصدراً للجدل العنيف بين الأباطرة والبابوات وهكذا أصبحت الكنيسة جزءاً لا يتجزأ من نظام الإقطاع) (٢).

لقد أخذت الكنيسة تستولي على الأراضي الزراعية الشاسعة وتجعلها وقفاً لها ، كما قامت بفرض ضرائب على الشعب الكنسي تجبى لحسابها ، منها : ضريبة العشور أي عشر الدخل وضريبة السنة الأولى أي على كل موظف جديد في وظيفة أن يدفع دخل السنة الأولى لحسابها كما ألزمت العمال أن يقوموا بعمل يوم في كل أسبوع في أراضيها بالمجان .

هذا بالإضافة إلى الهبات التي تأتيها بحسن نية أو بسوء نية .

وكانت الكنيسة ما بين يوم وآخر تلوح لأي متقاعس عن الدفع أو متذمر من تصرفاتها تلوح له بالطرد والحرمان واللعنة الأبدية .

لقد أخذت الكنيسة تكفر الناس لأوهى الأسباب ، وتحرق وتعذب كل من يخالفها يستوي في ذلك الشريف والوضيع من يهزأ بآرائها حقاً ومن يحاول أن يفهم .

انعقد المجمع اللاتيراني الرابع سنة ١٢١٥ وقرر استئصال الهراطقة وهم يعنون بالهراطقة كل من يخالف آراء الكنيسة أو يذهب للقول بتفسيرات غير تفسيراتها .

---

(١) المشكلة الأخلاقية ص ١٦٧ .

(٢) قصة الحضارة ج ١٤ ص ٤٢٦ ط الدجوي ١٩٧٥ .

لقد ذهب العالم ابيلارد إلى رأي يستريح له في تفسير قضية صلب المسيح ، ولما كان هذا التفسير يخالف ما تقول به الكنيسة فقد عقدت مجلساً لمحاكمته وكان نصيبه السجن وإحراق كتبه ، بل إن الملوك أنفسهم في أوربا خضعوا لهذا التسلط والقهر ففي ليون بفرنسا انعقد المجمع الثالث بأمر البابا اينوسنت وقرر عزل وحرمان ملك فرنسا (١).

ومن التصرفات الكنسية التي أثارت مشاعر المثقفين الأوربيين وعجلت بالثورة على الكنيسة والدين الكنسي بل جعلت المثقفين يحنقون على الأديان عموماً الإدعاء بضرورة اعتراف المسيحي بذنوبه أمام القسيس وللقسيس أن يقبل اعترافه ويتوب عليه ويمنحه حق الغفران من ذنوبه (٢).

لقد أحس الناس أن الكنيسة بهذه التمثيلية تسخر من تفكيرهم وتحركهم كدمى وفق أهوائها الشخصية .

وأحسوا أيضاً بما يقترفه القساوسة من جرائم جنسية مع المعترفات من المسيحيات تحت ستار حق الاعتراف والتوبة من الذنوب (٣).

(جـ) صكوك الغفران :

ومن المسائل التي أساءت الكنيسة وأوغرت صدور الناس عليها والمثقفين خاصة ، وعجلت بالثورة عليها ، والخروج من تحت سلطانها ، والنظر بازدراء إلى رجالها والتي (كانت خاتمة حماقتها في القرن السادس عشر بيع صكوك الغفران ، التي بها يمكن افتداء الروح من عذاب المطهر

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٩٨ وما بعدها .

(٢) المسيحية ص ٢٤٢ د . أحمد شلبي .

(٣) المسيحية ص ٢٥٥ نقلاً عن رسالة الحياة السنة الأولى العدد الثاني عشر ص ٦ والسنة الثانية العدد الثاني ص ٢٥ .

بدفعة مالية ، على أن الروح التي دفعتها آخر الأمر إلى هذه الفعلة المتبجحة التي كانت نكبة عليها ، كانت واضحة ملحوظة من قبل في القرنين الثاني عشر والثالث عشر) (١).

لقد أعطت الكنيسة لنفسها في المجمع الثاني عشر حق غفران الذنوب مدعية أن يسوع المسيح قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وذهبت إلىالقول بحرمان من يزعم أن الغفرانات غير مقبولة ، أو ينكر على الكنيسة هذا الحق .

وقد استغلت الكنيسة حق الغفران استغلالاً سيئاً من أجل جمع المال والتسلط على أرواح الناس .

(فإذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس ... وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه .

والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر فهو إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمن الجنة لهذا المحظوظ) (٢).

والصك دعوة للتسيب والتنطع والخروج على القيم النبيلة ، فلأي إنسان أن يرتكب ما يشاء من الذنوب طالما أنه يملك القدرة على شراء صك غفراني يزيل به كل خطاياه ما تقدم منها وما تأخر ويضمن به دخول الجنة .

والصك بهذا المفهوم الساخر والعابث الذي قدمته الكنيسة صار معول هدم لها ودعوة صريحة للخروج على فكرة الدين التي تدعي أنها تعمل على نشرها وحمايتها .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ٩٠٥ ويلز .

(٢) المسيحية ص ٢٥٤ ومحاضرات في النصرانية ص ٢٠٤ .

(د) محاكم التفتيش :

كانت عادة الباباوات قبل القرن الثالث عشر الميلادي التحسس وبث عيونهم في الأقاليم المختلفة للبحث عن الملاحدة والهراطقة – أي الخارجين عن الدين أو عن تفسيرات الكنيسة – ولم توقع عقوبة الإعدام إلا على عدد قليل من الملاحدة .

ومع حلول القرن الثالث عشر أنشأت الكنيسة محاكم التفتيش وجعلها أداة مستديمة للقمع والتسلط ونشر الرعب وسفك الدماء (وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب ... وشهد القرن الثالث عشر كبار رجال الكنيسة يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوربا ليراقبوا أجسام أعدائها ... تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة)[١].

لقد راحت الكنيسة تبحث عن كل مخالفيها في الدين فحسب وإنما في العلم وفي الاجتهاد في الفهم والتفسيرات الكونية وأمور الحياة العامة (ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام وما سفكت من دماء)[٢].

ويمكننا بعد هذه الرؤية الموجزة أن نعيد على الأسماع ونرى الأبصار أن من أهم عوامل نشأة المذاهب الفكرية في أوربا ما يتصل بالمسيحية .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ١٠٨ .

(٢) محاضرات في تاريخ النصرانية ص ١٩٨ .

أن أوروبا لم تعرف مسيحية المسيح عيسى - عليه السلام - ، وإنما عرفت مسيحية بوليسية محرفة في العقيدة وراضية بتطبيق الشريعة الرومانية إلا في أحوال بسيطة مثل أمور الزواج ومراسم دفن الموتى وغيرها .

ومع هذه المسيحية البوليسية تعرضت أوروبا لطغيانات كنسية في مجال الروح والعقل والعلم والاقتصاد .

وتعرضت أيضاً لإرهاب تمثل في محاكم التفتيش وخرافات تمثلت فيما يسمى بصكوك الغفران .

وقد واكب هذه الأحداث في أوروبا ظهور بعض المفكرين الذين راحوا يطالبون بالتعامل المباشر مع الطبيعة بالعقل والتجربة والأخذ بالأسباب الكاملة ، والتخلي عن الكنيسة ودينها ، وعن منطق أرسطو الذي سيطر طويلاً على الفكر البشري فأجدبه ، حيث لم يفده إلا بالجمود والتوقف عن مسايرة ركب التطور .

من هؤلاء المفكرين روجر بيكون ١٢١٤ - ١٢٦٤ الذي تأثر بروح الإسلام العلمية ، حاول أن ينقل هذه الروح إلى عالمه الغربي ، ورأى ضرورة التأكد من أقوال رجال الكنيسة بالعقل ، فإن صدق العقل ما يقولون عمل به وإلا طرح جانباً .

وليونارد دي فينشي الذي خرج عن الآراء التقليدية ورأى ضرورة الحذر من الخيال .

والفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون ١٥٦١ - ١٦٢٦ الذي طالب بضرورة الاعتماد على العقل والتجربة والتخلص من الأوهام التي تكبل حركة العقل وهي أوهام الجنس والكهف والمسرح والسوق .

وفولتير في القرن الثامن عشر الذي أخذ في توجيه النقد اللاذع لرجال الكنيسة والمعتقدات الكنسية قائلاً ، إن المسيح لم يقل قط في الأناجيل لقد جئت وسأموت لكي اجتث المعصية الأصلية ... وإن جوهري وجوهر الله واحد ... وإن لي طبيعتين وإرادتين ولست إلا شخصاً واحداً لست أباً ولكني والأب شيء واحد ، فأنا هو ولست هو ... كل الكون صائر إلى الهلاك الأبدي ، وأمي معه ولكن أمي أم الله) [١].

لقد ولدت هذه السخرية من الأفكار الكنسية التي قام بايل وفولتير واسبينو زاو وغيرهم اتجاهات تصحيحية عدة تأخذ تارة بالعقل وتعتبره كل شيء ولا معرفة إلا من طريقة . وتارة أخرى تأخذ بالحس والتجربة وفي الاتجاهين كان الخصام بين الدين والعلم وبين الدين والعقل ونتج عن الخصام مذاهب متعددة مثل المذهب العقلاني والعلماني والوضعي والماركسي والوجودي والبرجماطي . وهنا نسأل ما الذي تتناوله هذه المذاهب لنتابع معاً .

---

(١) تيارات الفكر الفلسفي ص ١٤١ اندريه كريسون غويدات بيروت .

٦- ما تتناوله المذاهب الفكرية

العقل البشري حينما لا يعقل نفسه ، فإنه ينطلق بلا هوادة يضرب هنا وهناك بلا رادع أو كابح للجماح .

ولهذا رأينا مع نشأة المذاهب الفكرية أنه لا حدود لحركة العقل ، فهو يتحرك في دائرة الطبيعة بكل مشتملاتها ، الإنسان من هو ؟ ومم ركب ؟ ومن أين أتى ؟ وإلى أين يذهب ؟ والأرض ما عناصرها ؟ ومتى نشأت ؟ وكيف نشأت ؟ وما طبيعة ما يحيط بها من كواكب ؟ وما الأبعاد بين كل كوكب وآخر ؟ وما طبيعة كل كوكب ؟ وهل في الكواكب حياة ؟ وما طبيعة الحياة ؟ وما هي المادة ؟ وهل هي قديمة أو حادثة ؟

ثم هو في نفس الوقت يشغل نفسه بحثاً عن تفسيرات للسياسة والاقتصاد والاجتماع إلخ .

وفي دائرة ما وراء الطبيعة يناقش قضايا الله ، الروح ، الموت .

والعقل إذ يجهد نفسه في دائرة الطبيعة لدرجة تجعله مقدساً لها ، نراه في دائرة ما وراء الطبيعة عدواً يدفعه الحمق للاستخفاف والتشكيك في كل ما يتصل بها .

فالوجودية كمذهب فكري تطلق العنان للإنسان الفرد باسم الحرية وتأكيد الذات ليفعل كل شيء ، وليفعل أي شيء ، ولا يهم الأخرون ، لأنهم هم الجحيم ، والوجود الحقيقي هو إيجاد الإنسان لنفسه بلا وازع من قيم أو ضمير ، وعلى الإنسان أن يتحرك ليشبع كل غرائزه ، فلا وجود بعد الموت ولا آخرة ولا حساب وقضية الألوهية لا معنى لها فالإنسان هو الخالق وليس الله .

والماركسية كمذهب فكري تعتبر الفرد مجرد مسمار صغير في عجلة كبيرة اسمها المجتمع ، فلا حرية للفرد ولا هوية ولا ملكية شخصية ، والدين في رأي الماركسية خرافة وهو أفيون الشعوب اصطنعته الرأسمالية لتخدر به الطبقات الكادحة ، والمادة أزلية أبدية كانت دائماً عبر الماضي السحيق موجودة وستظل عبر المستقبل موجودة (فليس للكون نهاية ولا حدود ، العالم أزلي وليس له أي بداية ولن يكون له أي نهاية) (١).

وكل شيء نتاج المادة ومن الأشياء الإنسان فهو إذاً من نتاجها ، وليس هناك من شيء خارج عن نطاق المادة .

وعلى هذا ففي رأي الماركسية أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان لأنه - عز وجل - غيب ، والغيب لا معنى له عندهم ، وعلى العكس من ذلك فإن قضية الألوهية هي من اختراع الإنسان وليس العكس (يجب القول بأن الله والديانة هما ظاهرتان إنسانيتان ، لأن العنصر الإلهي هو من إبداع الإنسان وليس الإنسان هو من إبداع الله) (٢).

والعلمانية مذهب فكري - بل إن شئت قلت إن المذاهب الفكرية كلها يمكن أن تندرج تحت المفهوم العلماني - تدعى العلمية في كل توجهاتها ، والحقيقة أن ما تدعيه وهم وخرافة ، ودعوى لا تستند إلى دليل فواقعها يؤكد أن أساسها اللادينية ، أو على الأقل إبعاد الدين عن أنظمة المجتمعات مثل النظام السياسي والاقتصادي والتعليمي والأسري وحصره - أي الدين - في إطار المسجد ، والتضييق عليه بالحرب النفسية حتى في هذا الإطار

---

(١) أسس المادية الديانكتيكية ص ٣٩ لسبركين ، دار التقدم .

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ص ٢٤٠ جورج بوليتزر منشورات المكتبة العصرية بيروت .

المحدود ، ودعوى علمية العلمانية – التي يكذبها واقعها – لو كانت صادقة لما رفضها الإسلام . لأنه دين ينبني في كل أسسه على العلم ، ويدعو دائماً إلى التعليم ، ويجعل العقل – الذي هو الأداة الصحيحة للتعليم والتعلم – هو أميز ما يتميز به الإنسان وهو أساس تكريمه وتحمله للمسئولية .

والإسلام يدفع لتأسيس كل نظم المجتمع على أساس علمي .

والديمقراطية مذهب فكري له رؤيته ، ويدعو فيما يدعو إلى ضرورة منح الشعب كل حقوقه المدنية والسياسية ، وإحاطته بسياج من الضمانات التي تحافظ على إنسانية كل فرد فيه وتدفعه لتأكيد ذاته .

ومن هذه الحقوق حق التعليم ، وحق العمل ، وحق الانتقال ، وحق الانتخاب ، وحق الترشيح ، وحق الاجتماع ، وحق الاعتراض ، وحق التوجيه .

ومن الضمانات ، ضمانات الاتهام وضمانات التحقيق ، وضمانات الحكم وضمانات التنفيذ [١].

وهذه حقوق وضمانات براقة ، لها جاذبيتها وتأثيرها المسعد على النفس .

لكن واقع الديمقراطية يؤكد أن البقاء للأقوى ، ومع بقائه يحصل على كل المزايا ، ولا يبقى إلا الفتات لبقية أفراد الشعب وهم كثيرون .

والأقوى دائماً هو صاحب رأس المال . أي الطبقة الرأسمالية ، وهذه الفئة هي التي تسيطر على أجهزة الإعلام ، وهي التي تخطط وتوجه وتعد للترشيح ، وتسيطر على نتائج الانتخابات لتوجيه الرأي العام عن طريق

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٨٥ وما بعدها محمد قطب – ط أولى دار الشروق ١٩٨٣م .

الدعاية المكثفة السرية والجهرية والمرغبة والمرهبة ، وهي التي تشكل الحكومات وتكون المعارضة لها ، وتتحكم في خيوط اللعبة من أولها إلى آخرها .

وإذ يبدو أن الإنسان في النظام الديمقراطي حر ، فهو حقاً حر ، إلا أن حريته مرسومة له بطريقة ذكية بحيث يفيد في حركته الرأسمالية أو على الأقل لا يضرها .

والحرية الحقيقية له أو التي يملكها هي حريته في رفض الدين وكل القيم والتمرغ في وحل الخطيئة ومهاجمة الإسلام بالذات ، والعمل على هدم كل أسسه والتشكيك في نبيه ، وقضية سلمان رشدي وكتابه الذي ملأه بالتهجم على رسول الإسلام وكل القيم الإسلامية ليست عنا ببعيد ، فقد ترك سلمان رشدي ليقول ما يقول ، وفتح الناشرون دورهم له ، وراحت أوروبا في صخب إعلامي تصفق له ، وتدافع عن ما تسميه بحريته ، وهي في الحقيقة تؤكد بغضها للإسلام ، ورسول الإسلام .

ثم هناك من المذاهب العقلانية والوضعية والبرجماطية وكلها تتحرك في إطار رفض الدين .

٧- وقفة نقدية قصيرة

كنا نود مناقشة الفكر الدخيل الذي يعمل جاهداً على غزو الإسلام والمسلمين ، لنقف معاً على ما فيه من وهاء وتضليل وتضارب ، إلا أننا أثرنا إرجاء المناقشة لبحث مستقل يتناول المذاهب والتيارات بالتفصيل عرضاً ونقداً .

ونكتفي الآن بهذه الوقفة القصيرة ، ولنبحث معاً من خلالها عن إنسانية الإنسان .

لقد رأى واضعوا المذاهب والتيارات الإلحادية بعض المجتمعات الإسلامية تسير بهوادة نحو التخلف ، وترضى بفتات الموائد والسير خلف الصفوف ، كما رأوا بعضاً ثان منها يعيش بازدواجية في فهم الإسلام فهو في قوله ذات تختلف تماماً عن ذاته في الفعل والسلوك . ورأوا بعضاً آخر يحسب أن الإسلام تعصب ومغالاة في كل شيء .

رأوا ذلك وأكثر منه ولهذا راحوا يعمقون الإحساس بالغربة بين المسلم كذات والإسلام كعقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق . وأخذوا على عاتقهم أن يكون الهدف الأول هو بلبلة فكر الإنسان المسلم وإضعاف ثقته في دينه وفي نفسه وفي أمته ، ومن ثم يكون المسخ الحقيقي لإنسانية الإنسان .

ومن الغريب – ومع انتشار التيارات الإلحادية في كثير من أجزاء العالم الإسلامي في صور من الغزو الفكري المنظم والمخيف – أننا نجد بين المسلمين من يثور – وكأنه يعيش في برج عاجي – قائلاً : لماذا نتحدث عن الغزو والتيارات ؟ ولماذا هذه المقارنة وتعاليم الإسلام واضحة ، لتذهب هذه التيارات إلى الجحيم .

وينسى هذا الذي يثور ويعيش وحده أن من تعاليم الإسلام الدعوة إليه حيث يقول تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١]، وتقضي الدعوة المعرفة المتبصرة بكل الاتجاهات .

وينسى أن معجزة الإسلام الكبرى وهي القرآن الكريم معجزة عقلية ، تحث على النظر والتأمل ، وتدعو إلى إقامة الدليل والبرهان .

نعم إن تعاليم الإسلام حقيقة ثابتة لا تتزعزع مهما اشتد الخطب ، وتكاثفت السحب ، وهي أبقى من كل شيء وأوضح من كل شيء .

لكن أليس من حقنا – ونحن نواجه أشرس معركة فكرية دعائية عدائية تستهدف الأمة كلها – أن نقف في موضوعية لنناقش بعض الأفكار الوافدة .

وفي البدء نسأل ما هي أهم دعائم الماركسية ؟

لنمعن التفكير فمبدأ النقيض هو الأساس الذي قامت عليه الماركسية .

ويعني هذا المبدأ أن كل شيء في الوجود يتضمن نقيضه .

فالإنسان كشيء مادي فيه القوة والضعف ، وفيه الوجود والعدم .

وأقول الإنسان كشيء ، لأنه ليس أكثر من هذا في الفكر الماركسي ، بل هو أحقر من أي مادة في الوجود : فعقله الذي ميز به عن سائر المخلوقات ما هو إلا أداة عاكسة ، لما في الطبيعة ، إذ ترى الماركسية أن المادة توجد قبل وجود العقل ، بل إن المادة موجودة أزلاً وأبداً ، وهي أكثر أهمية من العقل ، لأن العقل متوقف في وجوده على المادة " وليس هناك عقل بدون مادة ، تقول الماركسية (إن المادة معطى أول ، لأنها مصدر الأحاسيس والتصورات والوعي بينما الوعي – العقل – معطى ثان ، لأنه انعكاس

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

المادة ، وأن الفكر نتاج المادة متى بلغت هذه المادة في تطورها درجة عالية من الكمال ، وأن الفكر بصورة أدق هو ثمرة الدماغ) [١].

يعني هذا بمنتهى الوضوح إنكار وجود العقل الكامل المدبر للكون لأنه مبرأ عن المادة كما يعني أن العقل الإنساني ما هو إلا مظهر من مظاهر المادة ، وإذا كان الإنسان شيئاً مادياً صرفاً فبموته تقوم قيامته .

وعلى هذا لا حساب ولا جزاء فكلها ترهات في نظر الشيوعية (إن ماركس لا ينكر فقط أن يبقى العقل أو الروح بعد الجسم ، بل يرفض الفكرة الأساسية في الدين وهي الإيمان بالله كموجود أزلي مستقل تماماً ومتجرد تماماً عن المادة) [٢].

الإنسان يجاهد الشرك طمعاً في إحدى الحسنيين الشهادة أو رد طغيان العدو ورفع كلمة الله عالية ، لكنه في الماركسية لا جنة سوى جنة الحزب ، والحزب يطغى ويضرب بالنار في كل وقت كل مخالف له ، إذ لا جهاد . ولتسقط دعائم الأديان التي هي دعائم بناء المجتمع الإنساني الراقي لتبقى دعامة النقيض الماركسية والتي تقول أن كل شيء ينتقل إلى نقيضه ، ثم ينتقل النقيض والشيء إلى جامع ، فالرأسمالية تنتقل إلى العمال الذين هم نقيض لها ، وينتقل العمال والرأسمالية إلى جامع وهو الدولة ، ولا يعنون بالدولة هنا كل أفراد الشعب – وإن كانوا يروجون لذلك تزييفاً في أجهزة إعلامهم – وإنما يعنون بها السلطة الحاكمة أي طبقة الحزب .

لا ثبات لشيء فكل ما في الوجود في تغير مستمر طبقاً لهذا المبدأ ، فالمثل العليا مثل الفضيلة ولاحق والخير والكرامة والشجاعة والصدق والكرم

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية ج ١ ص ٢٥٩ جورج بوليتزر .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث ص ٣٦٠ د . محمد البهي – ط سادسة ١٩٧٣ دار الفكر .

والأمانة وما جاءت به الأديان من قيم سامية وبخاصة ديننا الإسلامي كلها خرافات بناء على مبدأ النقيض لأنه يعني أن كل شيء في صيرورة مستمرة ولا ثبات لشيء .

ولو سلمنا جدلاً بمبدأ النقيض ، وتحول الشيء إلى المقابل ، ثم انتقال المقابل مع نقيضه إلى الجامع ، فنحن نسأل أليس من المفروض أن تتحول الدولة طبقاً لمبدأ النقيض الماركسي إلى مقابلها ، والمقابل للشيوعية كاتجاه مادي إلحادي هو الإسلام .

لكن التعصب الأعمى لماركس وانجلز ولينين وغيرهم يجعلهم وهم يرددون هذا المبدأ يقفون به عند الشيوعية كمجتمع أسمى وأشمل .

يقول الدكتور محمد البهي (ثم إن الصراع بين الدول الصغيرة سينتقل بها إلى دولة كبرى ، والدول الكبرى بمقتضى الصراع بينها ستتحول إلى العالم الواحد ، نرى هل سيقف مبدأ النقيض هنا عندما تتحقق وحدة العالم أم أن هذه الوحدة العالمية ستتفتت من جديد تبعاً لأن الشيء وهو هنا وحدة العالم ينطوي على نقيضه إلى دويلات وهكذا ؟

إن الماركسية كما تؤمن بمبدأ النقيض وتلزم الناس بقبول نتائجه تؤمن أيضاً بالتخلف عن كثير من نتائجه ، تؤمن بالوقوف به في سيره عند الوصول إلى الدولة ذات الطبقة الواحدة وهي الدولة الشيوعية ، وهذا مما يجعل الفلسفة الماركسية فلسفة تبرير أكثر منها فلسفة تخدم الحقيقة بالكشف عنها ، ويجعلها فلسفة هوى ورغبة أكثر منها فلسفة فكرة لها اعتبار عام [1].

وإذا سألنا لماذا تقفون بالنقيض عند الشيوعية ؟ ولماذا لا تحمل الشيوعية كشيء نقيضها ؟ ونقيضها هنا هو الإسلام ؟

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث ص ٣٧٥ .

لا نجد إجابة سوى التضليل والخداع ومحاولة إبعاد الفرد والبعضة بالقوة والإرهاب عن الاحتكاك بأي فكر خارج عن الدائرة الشيوعية حتى لا يفهم الحقيقة .

المادة هي الأساس :

وتقول الماركسية بأزلية المادة وأبديتها ، اعتقاداً منها بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم . ويسأل الماركسيون في دهشة واستنكار ، هل يمكن أن يعطى العدم مادة ؟ ويجيبون على أنفسهم بالطبع لا ، إذاً فالمادة أزلية وأبدية ، والمادة والطبيعة شيء واحد (المادة قد وجت دائماً لأننا إذا سلمنا بأنه في وقت من الأوقات لم يكن شيء في العالم ، أي لم تكن توجد مادة فمن أين لها أن تنشأ ولكن ما أن توجد المادة فهذا يعني أنها لم تنشأ في أي وقت من الأوقات بل وجدت دائماً ، وستوجد دائماً ، فهي أبدية وخالدة .

ولهذا لم يمكن أن تخلق ، فلا يمكن أن يخلق ما لا يمكن إفناؤه) [(١)].

وأسأل بدوري هل يعني عجز الإنسان في قرننا العشرين عن إيجاد المادة من العدم أن المادة لم تأت من العدم ؟ وهل يعني عجزه عن إفناء المادة الموجودة بالفعل أن المادة لا تفنى ؟ إن واقع الأمر يعني قصور الإنسان عن الخلق من العدم أو الإفناء كلية وهذا القصور لا يثبت صحة القول (بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم) بل يؤكد العجز الإنساني ، ونستأنس ببعض النصوص دون أن نعلق عليها ، والتي تؤكد فناء المادة وزوالها ، وحدوث الكون منذ زمن بعيد ، ثم اتجاهه نحو الفناء أو الزوال .

١- يقول فرانك الن أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعات كندا " ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً ،

---

(١) أسس المادة الديالكتيكية ص ٣٠ .

وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة .

أما الشمس المستعرة ، والنجوم المتوهجة ، والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون ، أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة " [١].

٢- وهذا جون كليفلاند رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث يخرج بنتيجة بعد ملاحظات وتجارب معملية عديدة يقول فيها : " تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة ، والأخر بسرعة ضئيلة ، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية إذ أن لها بداية ... وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لابد أن يكون مخلوقاً ، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة " [٢].

٣- ويقول إدوارد لوثر رئيس قسم الأحياء بجامعة فرانسيسكو : " إن العلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية .. ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام ، وينضب فيها معين الطاقة ، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية ، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هذا الكون ، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٦ .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ٢٥ .

نشاط في الوجود ... ولا يقتصر ما قدمتــه العلــوم علــى إثبــات أن لهــذا الكون بداية ، فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايــين سنة " [١].

٤- ويؤيد هذا الرأي إيرفنج وليام أستاذ العلوم الطبيعية فــي جامعــة ميتشجان حيث يقول : " فعلم الفلك مثلاً يشير إلى أن لهذا الكون بداية قديمة ، وأن الكون يسير إلى نهاية محتومة ، وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقــد أن هذا الكون أزلي ليس له بداية أو أبدي ليس له نهاية فهو قائم علــى أســاس التغيير " [٢].

والمادة والطبيعة شيء واحد في مفهوم الماركسية ، ومن الطبيعة نــتج كل شيء حتى الإنسان ، وخارج نطاق الطبيعة لا يوجد أي شيء ، وفكــرة الألوهية هي من صنع الخيال البشري وعلى هذا فإن (الطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة فهي الأساس التي نمونا عليه ، نحن النــاس نتاجهــا أيضــاً ، وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء ، أما الكائنات العلوية التي ولدت في مخيلتنا الدينية فليست سوى انعكاس خيالي لوجودنا نحن) [٣].

وتدعي الماركسية (أن تطور الطبيعة ، وتطور المجتمعات الإنســانية يحدثان طبقاً لقوانين موضوعية لا تتوقف على إرادة الإنسان) .

النقيض إذاً يتحول إلى نقيضه والطبيعة تتطور تلقائياً ، والمجتمعات في تغير مستمر نتيجة للصراع ، والإنسان لا يدله في أي شيء ، والله ســبحانه وتعالى بل وعالم الغيب كله من اختلاق المخيلة البشرية ، وإذا سألناهم عن ما

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٣٧ .

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٣ .

(٣) لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية ، ص ١٦ انجلز .

وراء كل ما يحدث في الكون ، وعن النظام والتدبير والإتقان المستتر وراء كل ذرة في الوجود .

قالوا : وراء كل ذلك قوانين موضوعية حتمية .

وإذا سألنا ومن وضع القوانين الموضوعية الحتمية ؟

قالوا : القوة العامة التي هي الطبيعة .

وإذا سألنا هل الطبيعة عاقلة واعية مقدرة للأبعاد المختلفة ، وفاهمة للقوانين المعقدة ، ومستقرئة لأحداث الماضي والحاضر والمستقبل ، وعالمة بتكوين الظواهر قبل أن تتكون ومم تتكون وكيف تبقى على تكوينها ومتى يتغير هذا التكوين وكيف ولم هو على صورة كذا وليس على صورة كذا ؟

قالوا : لا . الطبيعة ليست بعاقلة ، وإنما هي متضمنة للعقل .

ونعجب من قولهم ومصدر عجبنا أننا نرى الطبيعة بكماء عمياء جاهلة مقهورة لا مشاعر لها ولا ضمير ولا خلق ومع ذلك فهي في رأيهم متضمنة للعقل .

ومع هذا نسايرهم ونسأل ومن ضمنها العقل ؟

يقولون : القوانين :

ونعجب من قولهم ونحن نقول : أليس هذا هو الدور الفلسفي الذي يبطله العلماء ، فالطبيعة تعود في سيرها للقوانين ، والقوانين ترجع في النشأة إلى القوة العامة التي هي الطبيعة .

أليس من الأجدى لكل ماركسي أن يتعرف على ذاته أولاً وعلى تكوينه ومم خلق ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ

الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [١] ، من ماء دافق وهو المني كان خلقه وعلى الإنسان أن يسأل نفسه هل هو الذي خلق المني الذي هو منه ، أو الذي غيره منه ؟

يقول سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [٢]
إن التكوين الإنساني كما يقول القرآن الكريم والعلم الحديث من نطفة أمشاج ، أي من خليط من مني الرجل وبويضة الأنثى ، وهنا يأتي سؤال هل في إمكان الإنسان أن يخلق ما تكونت منه هذه النطفة الأمشاج ؟

إن العلم في قرننا العشرين مع كل ما وصل إليه من تقدم عاجز تماماً عن خلق الحيوان أو البويضة اللذان هما سر تكوين الخلية ، وإذا كانت الإجابة بالنفي وهي كذلك بالطبع فعلى الإنسان أن يسأل هل في تكوينه نظام وإتقان ؟ وهل وجد النظام والإتقان فيه بطريقة عشوائية ؟

ثم عليه أن ينتقل بعد ذلك إلى مقارنة بسيطة بينه وبين الطبيعة وليسأل نفسه أيهما أقدر هو أم الطبيعة ؟

ولسوف يجد نفسه في النهاية أنه الأقدر والأعقل والأكثر اختياراً ، لأنه استطاع أن يخضع بعض ما يحيط به لخدمته ، واستطاع بتعقله أن يصل إلى القمر ، وهو بنفس العقل سوف يصل إلى كواكب أخرى في المجموعة الشمسية ، وربما في مجموعات غيرها .

وإذا كان الإنسان هو الأقدر والأعقل فكيف يكون ما لا قدرة له ولا عقل له هو أساس وجوده ، وأساس تطوره ، والقائم على حفظه ، وإمداده بكل ما يحتاج إليه .

---

(١) سورة الطارق الآيات : ٥ – ٧ .

(٢) سورة الواقعة الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

إن الإنسان لم يصل عبر الأزمنة المتطاولة وحتى الآن إلا إلى معرفة سطحية لقشور بعض الأشياء ، ولسوف يحاول طالما وجد على الأرض ، ولن يعرف الحقيقة إلا إذا عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه حق المعرفة ، فلسوف يعرف أشياء كثيرة كما يقول سقراط اعرف نفسك فبمعرفة النفس تكون معرفة الوجود .

ومن أول ما سوف يعرفه من عرف نفسه ، أنه مخلوق وليس بخالق ، وأن خالقه هو الذي خلق الطبيعة بكل مكوناتها من العدم المطلق ، وأنه هو الذي وضع فيها كل القوانين المعقدة التي تحكم جزئياتها ، وأنه وحده متصف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، ومن كمالاته قدرته على تأييس الأيسات عن ليس أي إيجاد الأشياء من العدم يقول سبحانه ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [(١)].

ويقول – عز وجل – ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ . فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا . وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [(٢)].

ومن كمالاته تسخير كل شيء لخدمة الإنسان يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ . وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

---

(١) سورة الإنسان الآية : ١ .

(٢) سورة المرسلات الآيات : ٢٠ – ٢٧ .

تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . أَفَمَن يَّخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ . وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

والعناية بكل ما يتصل بالإنسان يقول سبحانه ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ (٢).

والآيات الكريمات من سورة الطور تذكر الإنسان في كل زمان ومكان بأن العدم لم يخلقه ، وأنه لم يخلق نفسه ، وهو بالتالي لم يخلق السموات والأرض وإذا كان الأمر كذلك فإن خالقه هو الرحمن الرحيم مالك كل شيء يقول سبحانه ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ (٣).

والقرآن الكريم يقول للإنسان ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤).

ويقول له ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة النحل الآيات : ١٢ – ١٨ .

(٢) سورة النبأ الآيات : ٦ – ١٦ .

(٣) سورة الطور الآيتان : ٣٥ – ٣٦ .

(٤) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

(٥) سورة الذاريات الآية : ٢١ .

ورغم وضوح ما في الآفاق من نظام وتدبير وإتقان وعناية وقوانين تؤكد الدقة في كل شيء .

وعلى الرغم من وضوح ذلك أيضاً في الإنسان ، بل في الكون كله ، إلا أن أصحاب المذهب الماركسي يجمدون عقولهم ، ويصمون آذانهم ، ويغلقون عيونهم ويصرون على الكفر وعدم معرفة الحق وتراهم يرددون القول بأزلية المادة وأبديتها ، وبأن كل شيء هو من نتاج المادة .

والجمود على الكفر ليس بجديد ، ولا هو وليد التقدم العلمي ، بل هو قديم قدم الدهر ، ووليد حتمي للجهل والتقليد الأعمى والهوى والتسلط والعناد والمكابرة .

فنوح – عليه السلام – دعا قومه ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (١).

وقوم هود قالوا له في عناد وتكبر ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٢).

وقوم صالح قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٣).

---

(١) سورة نوح الآيات : ٣ – ٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٧٠ .

(٣) سورة هود الآية : ٦٢ .

وقوم شعيب قالوا له : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (١).

ويقص القرآن الكريم ما حدث بين إبراهيم – عليه السلام – وبين قومه في مواقف متعددة منها قوله ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٢).

ويقول فرعون وقومه لموسى – عليه السلام – كما يقص القرآن الكريم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

وموقف المشركين من رسول الله ﷺ واضح يقول القرآن الكريم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤).

وفي آية أخرى يحكي القرآن الكريم قولهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٥) والآية التالية لها في نفس السورة تواسي الرسول ﷺ وتحدد طبيعة المشركين في كل عصر ومع كل رسول يقول

---

(١) سورة هود الآية : ٩٠ .

(٢) سورة الشعراء الآيات : ٦٩ – ٧٤ .

(٣) سورة يونس الآية : ٧٨ .

(٤) سورة البقرة الآيتان : ١٧٠ – ١٧١ .

(٥) سورة الزخرف الآية : ٢٢ .

سبحانه ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (١).

لا جديد في الكفر فماركس اليهودي الألماني يتلقف الكفر والجحود من الماديين السابقين ليلقى به في ثوب مزخرف باسم الماركسية تارة والاشتراكية العلمية تارة ثانية والشيوعية تارة أخرى في أيدي من يسير على دربه من مادي هذا العصر وإذا نوقشوا قالوا إنا وجدنا آباءنا وأخذوا يلفون في متاهات لفظية جدلية . فمثلما قال آباؤهم يقولون إن الحياة أساسها المادة تكونت بفعل الطبيعة ، وعن طريق المصادفة ، التي أحدثت مزج العناصر بعضها ببعض وأحدثت التنسيق العجيب في الكون .

ونحن لا نطمع إلا في طلب واحد نريد أن يستجيب لنا فيه أي ماركسي يؤمن بصدق المصادفة .

نريده أن يبدأ من الآن وحتى نهاية عمره في تحريك صندوق به عدد كبير من حروف الطباعة ، وليأت لنا في نهاية المطاف بصحيفة واحدة من أي كتاب يحدده هو ركبت بالمصادفة ونتيجة للتحريك العشوائي للصندوق .

إن قانون المصادفة يقول " إن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتزاحمة فكلما قلت الإمكانيات المتزاحمة زادت المصادفة ، وكلما زادت الإمكانيات المتزاحمة قلت المصادفة " .

وعالمنا تتزاحم فيه الإمكانيات ، فهل يمكن أن يوجد بكل تنظيماته نتيجة للمصادفة ؟ أعتقد أن من يقول بذلك يلغي عقله .

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٢٣ .

الدين في رأيهم خرافة ومخدر :

والماركسيون يعتقدون أن العقل انعكاس للمادة ، أي أنه يعكس كل ما في الطبيعة وليس في الطبيعة إلا المادة ، وما ليس كذلك فهو خرافة ، فالروح والعقل المجرد والدين خرافة .

يقول فردريك انجلز " ومهما يكن من شيء فليس الدين إلا الانعكاس الوهمي في أذهان البشر ، لتلك القوى الخارجية التي تسيطر على حياتهم اليومية ، وهو انعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق طبيعية " (١).

إنهم يفسرون نشأة الدين – كعادتهم في كل شيء – تفسيراً مادياً صرفاً فالإنسان الأول " تدين لأنه كان جاهلاً بقوانين الطبيعة من حوله فصنع من قوى الطبيعة آلهة ... ولأنه كان جاهلاً بالبيئة وغير قادر على السيطرة عليها جعل من أشجارها وحيوانتها آلهة مصورة ... أما في العهد الإقطاعي فالناس متدينون لأن عملية الإنتاج تشتمل على جانب لا يملك الإنسان السيطرة عليه وهو جانب الإنبات والإنماء ... فيتخيل – الإنسان – قوى غيبية يسند إليها إخراج الزرع ... ومن جانب آخر فإن الطبقة الحاكمة في الإقطاع أو الرأسمالية تستخدم الدين الذي هو – أسطورة – في تخدير الجماهير الكادحة لترضى بالظلم في الأرض طمعاً في الجنة في الآخرة " (٢).

فالجهل والعجز والرغبة في تخدير الطبقات الكادحة أسباب رئيسة في نشأة الدين .

ونحن مع الشيخ محمد قطب في رفضه لهذا التفسير المادي لنشأة الدين ، واعتباره هذا التفسير فيه الكثير من التعسف .

---

(١) انتي دوهرنج ص ٣٨١ انجلز ترجمة فؤاد أيوب دمشق سنة ١٩٦٥ م .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤٤ الشيخ محمد قطب .

ولو كان الماركسيون جادين مع أنفسهم لناقشوا الأمر بطريقة علمية ، ولحاولوا استقراء الواقع البشري عبر الأزمنة المتطاولة في الماضي البعيد .

وبالموضوعية وحدها سيكتشفون أن التدين هو من طبيعة الإنسان ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١) وعلى الإنسان فقط أن يزيل عن فطرته ما ران عليها من ضباب كثيف بسبب عناده واستكباره وتعاليه وجموده .

وإذا سلمنا جدلاً بأن من أسباب نشأة الدين عند الإنسان الأول الجهل والعجز ، وأن الإقطاعيين عملوا على الترويج لفكرة الدين من أجل تخدير الطبقة الكادحة .

فنحن الآن نعيش في القرن العشرين الميلادي ، وقد عرف الإنسان كثيراً من ما كان يجهله ، وصار قادراً على السيطرة على الكثير من أمور الطبيعة ، وفي جانب الزراعة أحاط علماً بالتربة وعوامل الإنبات والإنماء وبقدرته فجر الذرة ، وصنع الكثير من أجهزة الدمار ، كما صنع الكثير من الأجهزة العملاقة والدقيقة .

وهنا يأتي سؤال لماذا مع هذا التقدم العلمي لم يختف الدين والتدين من بين البشر ؟ ولماذا نرى الكثير من العلماء والعلميين يتمسكون بالدين ، ويجهدون أنفسهم في توضيحه للناس والدفاع عنه (٢)؟ ولماذا نسمع أن فلاناً من العلماء أقلع عن إلحاده وعاد إلى الدين ؟

---

(١) سورة الروم من الآية : ٣٠ .

(٢) راجع إذا أردت – العلم يدعو للايمان ، لاكريسي موريسون – والله يتجلى في عصر العلم مجموعة من العلماء الأمريكان ، والإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، وقصة الإيمان ، نديم الجسر .

وإذا كان الدين مخدراً من صنع الطبقات الرأسمالية فلماذا يتدين الكثير من الرأسماليين ؟ ولماذا تقام الصلوات على جنائزهم بعد موتهم ؟ وبعضهم قادة عظام ؟

أليس من الأجدى للإنسانية أن تنقب في علمية وعقلانية عن أدلة أخرى لوجود الخالق ، حتى تتمكن من خلالها من إزالة ما ران على الفطرة من ضباب .

إنها لو فعلت لعرفته المعرفة الصحيحة وأن ذاك تكون قادرة على تلقي القيم الدينية التي تصلح من شأن كل إنسان .

إن الماركسية مع رفضها للدين تعتبره أكبر معوق لحركة الفرد " فالدين لا يكتفي بتشويه نظرة الإنسان العامة إلى العالم بل يشوه كذلك مشاعر الإنسان وموقفه العاطفي من الواقع " [1].

وأتباع الديانات في رأي الماركسيين لا يخرجون عن هذه الأنماط الثلاثة :

١- متواكل لا يعمل اعتماداً على غيب يعطى دون طلب وهؤلاء سلبيون يأخذون دون أن يعطوا ويؤدي أخذهم المستمر إلى إحداث خلل في الطريق إلى التقدم .

٢- مخدر يرضى بالذل ويقتات الأشواك طمعاً في جنة موهومة تدفعه الرأسمالية إلى التعلق بها وهؤلاء هم والأموات سواء .

٣- مالك متسلط بملكيته على الغير ، يأخذ كل شيء ولا يعطي إلا الفتات للجوعى بعد أن يسلبهم آدميتهم .

وهؤلاء إيجابيون مع أنفسهم ، مستعبدون لغيرهم .

---

(١) النظرية الماركسية اللينينية ص ٤٤٦ ترجمة خيري الضامن دار التقدم .

ويؤكد الماركسيون رؤيتهم هذه بقول ماركس " إن الفرد يبتعد ويتحول عن حقيقة ذاته ، باعتقاده في وجود الله ، أو في الديانات المختلفة التي تستغرق ذاته وكيانه ، ولهذا يجب إزالة كل العوامل ليتيسر للفرد أن يعود للحياة الحقة " .

قد يكون في هذا الكلام جزء من الحقيقة إذا وضع في مقابلة المسيحية ، ولا نعني بالمسيحية مسيحية عيسى – عليه السلام – ، وإنما نعني المسيحية التي جاء بها بولس كما سنوضح فيما بعد .

فهي مسيحية تلغي العقل وتدفع بالإنسان إلى التواكل والسلبية وتقبل الأمور دون أي تفكير .

ونعني بها مسيحية صكوك الغفران ومحاكم التفتيش .

أما إذا وضع كلام الماركسيين في مقابلة التعاليم الإسلامية ، فإن هذه التعاليم ترفضه شكلاً وموضوعاً .

ويكفينا أن نتعرف سريعاً على بعض النصوص التي تؤكد ما نقول .

فالإسلام دائماً يحث على النظر والتأمل والتفكر في كل شيء ، وينهى عن التقليد والتعصب ، ويطالب في أي موقف بالدليل والبرهان يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (١) ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، ويقول ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سورة الذاريات الآيتان : ٢٠ – ٢١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

وَالأَرْضِ ﴾ (١) ، ويقول سبحانه ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٢) ، ويقول ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

والإسلام لا يسوي بين العالم والجاهل ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ (٤).

ويقول سبحانه ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٥).

والإسلام دائماً يخاطب في الإنسان عقله (والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر ويتدبر) (٦).

وحركة الإنسان تصير مشلولة إذا ألغى عقله ، أما إذا كرم بالعقل وخوطب من خلال العقل ، ودفع إلى معرفة كل شيء بالعقل وصار مسؤولاً لأنه مزود به ، فلا معنى للجمود ولا للتواكل ولا للتخدير ، بل لا معنى للتسلط على الغير فالكل في ميزان الإسلام سواء ، لا فرق بين إنسان وآخر إلا بميزان التقوى والعمل الصالح يقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٥ .

(٢) سورة الروم الآية : ٢٩ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٣ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٥) سورة المجادلة الآية : ١١ .

(٦) التفكير فريضة إسلامية ص ١٧ العقاد ط بيروت .

(٧) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

والإسلام يؤكد حرية الفرد حتى في الدين يقول سبحانه ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (١)، ويقول ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢). وفي هذا الإطار يقول الرسول ﷺ " بعثت بالحنيفية السمحاء " ويقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " .

ومع المساواة والحرية في الإسلام يكون العدل في أسمى صوره يقول تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ويقول في آية أخرى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٤).

ولهذا نرى محمداً ﷺ يغضب حينما أراد أسامة بن زيد أن يشفع للمرأة التي سرقت ، ويقول لأسامة " أتشفع في حد من حدود الله " ؟! وقام ﷺ فخطب الناس وقال : " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٥).

والإنسان في الإسلام خلق من مخلوقات الله مسبوق بالعدم وليس للصدفة أو التطور كما يقول داروين أي دور في تكوينه .

---

(١) سورة الكهف الآية : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٤) سورة النساء الآية : ٥٨ .

(٥) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

وهو لم يترك هملاً بل زود بما يعرفه الطريق ، ويطلعه على كثير من المحسوسات يقول تعالى ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وليس كما مهملاً أو مادة تعيش لنأكل بل هو مستخلف على الأرض ، وهو معلم من الله سبحانه وتعالى ومكرم على بقية المخلوقات ومسخر له كل شيء في الكون وهو مسئول مسئولية كاملة عن كل ما يصدر منه ، ولم يكن التكريم وتحمله المسئولية إلا لأنه مزود بالعقل الذي يميز به بين الخير والشر وبين الفضيلة والرذيلة ، وعن طريقه حقق التوازن بين روحه وجسده " العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء ، وفي بواطن الأمور ، العقل رشد يميز بين الهداية والضلال ، العقل روية وتدبير ، العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار ، والعقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ تعي وتبدئ وتعيد " (٢).

وهذا العقل الذي هو نعمة من الله سبحانه وتعالى للإنسان ، يعلم سبحانه أنه – أي العقل – ربما يصاب بالكلل ، وربما ضللته مرئيات زائفة وربما انخدع واغتر بنفسه فأودى به الغرور في الجمود عند مواقف تضر .

ولهذا نجده سبحانه امتداداً لتكريم الإنسان وتأكيد حريته ومسئوليته يرسل له الرسل ليضعوا إجابات واضحة عن كثير من التساؤلات يقول تعالى ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣).

---

(١) سورة النحل الآية : ٧٨ .

(٢) الإنسان في القرآن الكريم ص ١٦ عباس محمود العقاد دار نهضة مصر .

(٣) سورة النساء الآية : ١٦٥ .

والإسلام إذ يتابع الإنسان الفرد ليحدد له الطريق المتوازن ويتابع الجماعة بالمبادئ التي تشعرهم جميعاً بالمساواة ، فلا تسلط من أحد على أحد ولا سخرية من أحد لأحد ولا تجسس ولا اغتياب ولا أفضلية إلا بالتقوى التي تتضمن تلقائياً السلوك السوي لكل أفراد المجتمع البشري .

والإسلام وهو يسوي بين الجميع يحدد الشكل والمضمون للحاكم المسلم .

وقف أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – بعد أن تمت بيعته ، يلقي ما اصطلحنا على تسميته في العصر الحديث بورقة عمل الحكومة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد أيها الناس : فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " [١].

ونستطيع أن نستشف من هذا الخطاب ما يلي :

١– رئيس الدولة شخص من الشعب لا يعطيه الحكم قداسة يستعبد بها المحكومين .

٢– المشاركة الكاملة في شئون الدولة بين الحاكم والمحكوم في الخير والشر من أهم الأسس لإقامة مجتمع الحب والرفاهية .

٣– النقد الإيجابي حق مكفول للجميع دون تمييز أو عنصرية .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٦٩ للإمام السيوطي .

٤- الجهاد أمانة وهو فرض حين الاعتداء على الدولة الإسلامية .

٥- التمسك بالقيم والمثل العليا رباط مقدس يربط الحاكم بالمحكوم ، وهذا الحاكم لا يصعد للحكم بالدم والصراع وأجهزة التسلط والتعنت كما في الشيوعية بل يأتي بالشورى المطلقة يقول تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

ومبدأ الشورى الذي يرفع من كرامة الإنسان يعطيه في نفس الوقت حق التعبير عن نفسه بحرية وهو في أمن على حياته وحاجاته الأساسية .

والإسلام لا يدعو إلى اعتناقه بالقهر والتزييف والتسلط الإعلامي وإنما بالحكمة والسماحة ، يقول تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١).

ويقيم علاقاته بالمجتمعات على أساس السلام حتى أن الرسول ﷺ يقول : " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة " (٢).

ويقول ﷺ : " يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " (٣).

ولا تواكل في الإسلام بل توكل أي أخذ بالأسباب واعتماد على الله سبحانه وتعالى يقول الرسول ﷺ للرجل الذي قال له يا رسول الله أعقل الناقة أم أتوكل فقال له " أعقلها وتوكل " (٤).

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

(٤) ذكره الترمذي في صحيحه .

والإسلام لا يدفع الإنسان للتكاسل بل يأمره بالعمل والأخذ بالأسباب دائماً يقول سبحانه ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (١).

ويقول عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ (٢)، ويقول سبحانه لمن ضاق عليه المكان ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٣). والخيرية دائماً للمؤمن القوي وهو ذلك الذي يحرص على الأخذ بالأسباب ، ويطلب العون من الله ثم يرضى في النهاية بالنتائج دون ضجر أو تمرد ، وهو إذ يفعل هذا يخرج نفسه من دائرة الاضطراب والقلق النفسي ، إلى دائرة الأمن والطمأنينة والسعادة الداخلية وبذلك يؤكد ذاته ويعيش سوياً مع الأسوياء يقول الرسول ﷺ " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان " (٤).

---

(١) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٢) سورة الجمعة الآية : ١٠ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٠٠ .

(٤) رواه مسلم .

ثانياً : البعد اليهودي

أ- موقفهم من الألوهية .

ب- موقفهم من الأنبياء .

ج- فكرتهم عن أنفسهم .

د- نظرتهم لمن عداهم من الشعوب .

ه- وقفة مع بروتوكولات حكماء صهيون .

و- مواقف لليهود ضد الإسلام .

البعد اليهودي

قام اليهود ومازالوا يقومون بمحاولات فكرية ، تستهدف النيل من ما عداهم عموماً ، والتشكيك في الإسلام وإبعاده عن ركب الحياة ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وتشتيت قواهم وإبعادهم عن القيم الدينية ، وسلبهم كل مقومات الحضارة ، وصبغهم بالصبغة العلمانية على وجه الخصوص ، لإحساسهم أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم إنما يكمن في الإسلام ، ولرغبتهم الشريرة في اغتصاب كل ما لدى المسلمين من ثروات ، واليهود يعتبرون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم مستحقون للحياة والسيادة على الأرض .

وبنظرة بسيطة في توراتهم المحرفة ، وتلمودهم الذي يعتبرونه التفسير الحقيقي لما في التوراة ، والحامل لشريعتهم – رغم أنه من تأليف علمائهم – وفي البروتوكولات التي هي في الأساس تقرير واف ، وخطة محكمة لحركتهم عبر الماضي والحاضر والمستقبل .

يتبين لنا ما يلي :

(أ) موقفهم من الألوهية .

(ب) موقفهم من الأنبياء .

(جـ) موقفهم من أنفسهم .

(د) نظرتهم لمن عداهم من الشعوب .

وقد تضافرت العناصر السابقة مع عنصر الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر تاريخهم الطويل ، ونتج عن هذا حنقهم الشديد على البشرية كلها ، ورغبتهم الجامحة في إبادة من عداهم من الشعوب ، إبادة جسمانية ، أو إبادة معنوية .

ولذا تراهم يزرعون الأشواك ، ويبثون الفتن ، ويعملون على نشر الأفكار الهدامة ، ويقاومون العقائد الصحيحة بأباطيل من عند أنفسهم ويفتتون وحدة المجتمعات .

ومخططهم الشرير ينص على " تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية ، وتقسيم الشعوب إلى معسكرات متنابزة فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل التي تتولى المؤامرة توليدها وإثارتها باستمرار ، ملبسة إياها ثوباً اقتصادياً تارة وأخرى اجتماعياً وثالثة سياسياً ورابعة عنصرياً ... وبث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة وإشاعة الحقد والبغضاء ... حتى تتقوض جميع مقومات المجتمع الدينية والأخلاقية والمادية ... تمهيداً لنشر الفوضى والكفر والفسق والإرهاب والإلحاد " [١].

(١) اليهود وراء كل جريمة ص ٦٢ وليم كار .

ولنعد للقضية من جديد

(أ) موقفهم من الألوهية :

يرون أن الإله ذو جسم وهو يسير أمامهم في عامود سحاب بالنهار وعمود نار بالليل (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عامود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً)[١].

وفي دائرة التجسيم أيضاً نجد إلههم جسماً بحيث رؤى تحت رجليه قطعة من العقيق الأزرق وهو ما يوضحه النص التالي من سفر الخروج (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا آله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل) [٢].

والقرآن الكريم يؤكد أنهم يجسمون الإله حيث يحكي قولهم لرسولهم عناداً واستكباراً ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ [٣] ، وقالوا أيضاً كما يحكي القرآن الكريم ﴿ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً ﴾ [٤]، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً يقول القرآن الكريم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٥] فهو – عز وجل – منزه عن الشبيه والنظير والند في الذات ، إذ أن ذاته لا تتركب من أجزاء وليست هناك ذات تشبه ذاته ، كما أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين

---

(١) سفر الخروج إصحاح ١٣ .

(٢) سفر التكوين الإصحاح ٢٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٥٥ .

(٤) سورة النساء الآية : ١٥٣ .

(٥) سورة الشورى الآية : ١١ .

وليست له - عز وجل - صفتان من جنس واحد ، وأفعاله - عز وجل - إيجاد من العدم ، أما أفعال المخلوقين فهي محاكاة أو تقليد لما هو مخلوق .

وهو إله في رأيهم يتعب ، ويبارك اليوم الذي فيه فرغ من العمل ، لأنه سيستريح فيه يحكي التوراة قصة بدء الخلق وفيها يقول " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح من جميع عمله الذي عمل " (١).

والقرآن الكريم المنقول بالتواتر المأمون من الخطأ يوضح أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما دون تعب أو مشقة لأنه الإله الحق يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (٢).

وهو إله يجهل ويخطئ ويندم على فعله بعد أن يفعله ، ويحزن لأنه خلق الإنسان ، ويخاف أن يصير الإنسان خالداً مثله .

والنظر في النصوص التالية في التوراة يؤدي إلى فهم أمور يبرأ المولى - عز وجل - عنها .

يقول التوراة " فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " (٣).

ويقول " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه ، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الثاني ، والخروج الإصحاح ٢٠ .

(٢) سورة ق الآية : ٢٨ .

(٣) سفر الخروج الإصحاح ٣٢ .

خلقته ، الإنسان مع بهائم وذبابات وطيور السماء ، لأني حزنت أني عملتهم " (١).

ويقول أيضاً " وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها " (٢).

تنزه المولى – عز وجل – عما لا يليق بجلاله ، فهو سبحانه حي قيوم ، خالق الإنسان ، له كل شيء وبيده كل شيء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وعلمه واسع يشمل كل ما في الكون وما وراء الكون ، وبقدرته وحده يكون الموجود ويكون العدم ، وهو – عز وجل – وحده المتصف بالأزلية والأبدية ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، يقول – عز وجل – : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٣).

ويقول – عز وجل – ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤).

---

(١) سفر التكوين الإصحاح السادس .

(٢) سفر التكوين الإصحاح الثالث .

(٣) سورة ق الآية : ٢٩ .

(٤) سورة الحشر الآيات من : ٢٢ – ٢٤ .

وتبين التوراة أن الإله يدعو بني إسرائيل لاستعباد الشعوب وتسخيرهم وسفك دمائهم [١].

وإلههم ينزل من سماواته ليصارع نبي الله يعقوب [٢].

إله هذه صورته وأوصافه حينما يتحقق التصديق به ينتج عن هذا التصديق بشراً ملوثين في تكوينهم النفسي والعقلي ، لا يسعدهم إلا الانقضاض على الآخرين وسفك دمائهم واستنزاف خيراتهم ونشر الفتن بينهم وتبديد طاقات البشرية فيما لا يفيد .

موقفهم من الأنبياء :

ولقد كان لفكرتهم التي كونوها وأذاعوها عن الرسل الأثر الكبير في نظرتهم للحياة وتعاملهم الشاذ مع بني البشر ، وحركتهم المشبوهة التي تهدف إلى تدمير كل جميل من القيم .

فإبراهيم – عليه السلام – من أجل أن ينجي نفسه (لما قرب أن يدخل مصر قال لسارة امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك ، قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك) .

ويمضي النص التوراتي ليبين أنه نتيجة لكذب إبراهيم – كما يدعون – أخذ الفرعون سارة لتكون زوجة له ، على الرغم من أنه لم يقربها ، وعلم حقيقة الأمر [٣].

---

(١) راجع سفر التثنية الإصحاح ٢٠ .

(٢) راجع سفر التكوين الإصحاح ٣٢ .

(٣) راجع سفر التكوين الإصحاح ١٢ والإصحاح ٢٠ .

إلا أن القصة من أولها لأخرها تسيء للشخص العادي ، فكيف يأبى الأنبياء – عليهم السلام – الذي يقول في حقه الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، فهو يقر بألوهيته سبحانه ويفرده – عز وجل – بالعبادة والخشوع والطاعة والانقياد والتسليم المطلق ، ومن كان أمره كذلك لا يخاف إلا الله ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن لخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن البشر كلهم لا يقدرون على إلحاق أي ضرر أو تحقيق أي نفع للإنسان إلا بإرادة الله عز وجل .

ويوضح التوراة في موقف مفتعل أن نوحاً تعرى نتيجة لشربه الخمر وحينما رأى حام عورة أبيه وأبلغ أخويه ، قام الأخيران : سام ويافث بستر عورة أبيهما ، وحينما علم الأب بذلك بعد أن أفاق من خمره لعن كنعان الذي هو ابن لحام .

وبارك ابنيه الأخيرين ، يقول التوراة " فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم " (٢).

وواضح التحامل المريب والخطير على كنعان الذي هو جد العرب .

ونبي الله لوط – عليه السلام – تتآمر عليه ابنتاه ، وتسقياه الخمر ، وتمارسا معه الجنس – بالتتابع – هو سكران – طمعاً في نسل أبيهما (٣).

ويعقوب يتآمر على أخيه عيسو ، ويحتال على أبيه إسحاق ويلجأ للمكر والخديعة من أجل أن يباركه الأب إسحاق فيصير نبياً .

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٠ .

(٢) راجع سفر التكوين الإصحاح ٩ .

(٣) راجع سفر التكوين الإصحاح ١٩ .

ويقع الأب فريسة لحيلة يعقوب ، وبذا يصير الأخير نبياً بعد أن باركه إسحاق الأب .

ويعلم الأب فيما بعد أن ابنه يعقوب خدعه ، واغتصب النبوة التي هي الأصل لعيسو ، ومع علمه بذلك لا ينزعج وإنما يستسلم للمؤامرة [١].

ومعلوم في منطق الإسلام أن النبوة بالاصطفاء والاجتباء وهي حق لله ، لا يعطيها لأي بشر ليعبث بها ، وأن أعطاها لأحد عصمه من الوقوع في أي منهي عنه ، وحفظ ظاهره وباطنه من ترك أي مأمور به . فكيف إذاً يقع إسحاق فيما وقع فيه ؟!! وكيف يحتال يعقوب ومعروف أنه نبي ورسول باصطفاء الله له وليس بالكذب والتطاول على حق الغير ؟!!

إذن ما نسب إلى إسحاق ويعقوب هو كذب مفتعل قام به اليهود ضمن سلسلة تآمرهم على الأنبياء ، وتلويثهم لسيرة الركب الطاهر .

وداود – عليه السلام – حينما صعد على سطح منزله ، رأى امرأة تستحم في بيت مجاور ، فحلت في عينه ، وسأل عمن تكون هذه المرأة ؟ فأخبروه أنها امرأة أوريا القائد في الجيش ، فأمر بإحضارها ، وزنى بها ، ثم تآمر على زوجها حيث دفع به إلى مقدمة الصفوف في الحرب حتى يقتل وبهذا تخلص منه [٢].

(جـ) فكرتهم عن أنفسهم :

ويعتبر الشعب اليهودي نفسه شعب الله المختار ، ولهم اعتبارهم عند الله أكثر من الملائكة ، وأرواحهم جزء من الله ، وهم وحدهم المستحقون للحياة وللسيادة على هذه الأرض ، وما عداهم من الشعوب كفار يستحقون اللعنة الأبدية .

---

(١) راجع سفر التكوين الإصحاح ٢٧ .

(٢) راجع صموئيل الثاني الإصحاح ١١ .

يقول التلمود " اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، واليهودي جزء من الله " ويقول " الشعب المختار هم اليهود " أما باقي الشعوب فهم حيوانات ، لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي لأنهم أعداء ، كما أن لليهودي أن يغش غير اليهودي " (١).

(د) نظرتهم لمن عداهم من الشعوب :

وينظر الشعب اليهودي إلى بقية الشعوب من عل ، نظرة ازدراء ، واحتقار ، وكأنهم هم كل شيء ، أما غيرهم فكم مهمل لا يعبأ به ، لا قيمة لهم ولا ثقل حتى في دنيا الأشياء " كأن هذه الأمم – أي ما عدا اليهود – أشياء جامدة لا حس لها ولا إرادة ولا فهم ، فليس لها أدنى حظ من كرامة ولا حق " (٢).

والتلمود يؤكد هذا الكلام ، بل إنه يرسم صورة كئيبة لما عدا اليهود من الشعوب إذ يعتبر الأمميين كلاباً وخنازير وحمير ركوب الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلباً أو حماراً أو خنزيراً (٣).

واليهود يعتبرون أنفسهم من جنس سام ، وأصحاب عبقريات خلاقة ويملكون القدرة على التحليل ، بينما غيرهم جاهلون لا يفهمون شيئاً (٤). ويرون أن لليهودي أن يطعم الكلاب وليس له أن يطعم غير اليهودي ، كما أن له أن يقرض الأجنبي بالربا ، وإذا وجد مالاً لأجنبي – أي غير يهودي فليس له أن يرده لأنه مال أعداء الله ، ويحرم على اليهودي أن ينجي أحد من

---

(١) اليهودية ص ٢٧٦ د / أحمد شلبي – نقلاً عن الكنز المرصود ص ٥١ – ٥٥ .

(٢) من مقدمة محمد خليفة التونسي للبروتوكولات ص ١٢١ .

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٠ .

(٤) راجع البروتوكول ١٥ ص ٢٣٥ .

الأمميين من هلاك أو يخرج من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحد اليهود أممياً يقع في حفرة فإنه يلزمه أن يسدها وراءه بحجر [١].

لقد شكلت العوامل السابقة النفسية اليهودية ، فهم لا يصدقون إلا بإله مجسم ، ولذا قالوا لموسى – عليه السلام – ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ [٢] وقالوا له في تبجح ﴿ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً ﴾ [٣].

وادعوا ظلماً وعدواناً أنهم أبناء الله وأحباؤه .

وإلههم عنصري يؤثرهم على غيرهم من الأمم ، ويدفعهم إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والتعامل الربوي وسرقة الأموال من (الجوييم) وسفك دمهم .

ولم ينج الأنبياء من عدوانهم حيث جردوهم من العصمة ، واتهموهم بأبشع وأقسى التهم .

وعن الشعوب الأخرى فقد تعامل اليهود معهم على أنهم شعب الله المختار المميزون بالتكوين الجسماني القوي والعقلية الخلاقة ، أما الشعوب الأخرى فهم حمير وخدم .

وبهذه النفسية الحاقدة الكارهة لكل جميل من القيم عاش اليهود ماضيهم ، ويعيشون حاضرهم ومستقبلهم ، لا هم لهم إلا التآمر على الغير ، والتشكيك في الأديان والأنبياء ، وتشويه القيم ، واصطناع الأفكار الهدامة وتبنيها في كل المحافل الدولية ، والدفع بها مع التزيين لها في كل الأجهزة

---

(١) الكنز المرصود ص ٥١ – ٦٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٥٥ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٥٣ .

الإعلامية من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما ونشرات دولية وبحوث علمية وأشرطة فيديو .

بل أكثر من ذلك الصعود بها إلى أعلى الدراسات الأكاديمية وتسخير كل الإمكانات المادية والمعنوية لنشرها .

(هـ) وقفة مع بروتوكولات حكماء صهيون :

ولنا وقفة قصيرة مع البروتوكولات ، نوجز من خلالها الأفكار الواردة فيها ، دون أن نكثر من التعليق عليها لوضوحها وجل همنا ما يلي :

١- إطلاع الأجيال على النظرة اليهودية الرديئة القاتمة ، وما تبيته الصهيونية العالمية لبقية الشعوب من أجل الاستبقاء على السيطرة اليهودية .

٢- تنبيه جيلنا والأجيال من بعدنا لما يحيكه أبناء صهيون من مؤامرات ضد البشرية عموماً ، وضد المسلمين على وجه الخصوص من أجل القضاء على الجميع واستغلال الأشلاء الباقية .

٣- نداء موجه إلى المسلمين جميعاً يا قومنا أفيقوا ودعوا التشرذم والتخلف جانباً ، وعودوا إلى النبعين الطاهرين القرآن الكريم والسنة المطهرة ، عودوا إليهما فهماً وتطبيقاً فبالفهم الواعي والتطبيق الأمين يأتي الانتصار الحق ، وترفع راية لا إله إلا الله عالية خفاقة وتنتصرون على كل مخططات أبناء صهيون .

وبدءا فإني أنبه إلى أن لفظة (الجوييم) ، ولفظة (الأمميين) التي تتردد كثيراً في البروتوكولات ، يعنون بها ما عدا اليهود من الأمم ، وهؤلاء الجوييم في رأي اليهود بهائم وأنجاس وكفرة وأصحاب عقول لا تعي ولا يستحقون الحياة بل القتل (أقتل الصالح من غير الإسرائيليين ، وحرم على

اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين) [١].

يبدأ البروتوكول الأول ببيان أن (خير النتائج في حكم العالم ما ينزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية) [٢].

وهذا يعني أن النفسية الصهيونية تنحو في كل تعاملاتها منحى التخويف واستخدام القسوة والتسلط .

وفي نفس البروتوكول نرى أن السياسة في رأي الصهيونية ميكافيلية أي مجردة عن الأخلاق الطيبة وتعتمد في سيرها على مقولة الغاية تبرر الوسيلة ، وعلى هذا فالسياسي البارع يجب أن يكون لا أخلاقياً .

وهذا ما نراه بوضوح في كل تعاملاتهم مع العالم ، وفي تعاملاتهم الأخيرة معنا في (كامب ديفيد) قبل تحقيق معاهدة السلام ، فقد حاولوا استخدام كل الأساليب من الغش والكذب والتشويش والتلفيق والمناورات الإعلامية ، إلا أن المحاور المصري كان أذكى من كل ما يريدون .

ونفس الأساليب الغير أخلاقية انتهجوها معنا في المناقشات حول (طابا) .

ولا أريد أن نستطرد حتى لا ننجرف نحو السياسة ، وإنما فقط نؤكد ما يتجهون إليه بذكر هذا النص (أن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع .. لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء) [٣].

---

(١) الكنز المرصود ص ٨٤ – ٨٥ .

(٢) البروتوكولات ص ١٤٦ .

(٣) البروتوكول الأول ص ١٥٠ .

ويقولون في نفس البروتوكول " أن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد " (١).

ويقولون " يجب أن يكون العنف هو الأسلوب الأمثل .. ويتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا " (٢).

وهكذا يستمر البروتوكول الأول ليوضح اتجاه اليهودية ودورها في بث الأفكار المنحرفة ومحاولة استغلال الشعوب وتغيير أفكارهم .

ويوضح البروتوكول الثاني أن اليهود هم الذين صنعوا تشارلس دارون ونظريته في النشوء والارتقاء ، ودفعوا به إلى الساحة الفكرية ، ودافعوا عن أفكاره حتى يشككوا الناس في ما تقوله الكتب السماوية عن أصل آدم ، وعن الغاية من وجود الإنسان .

إن فكرة خلق آدم وحواء ثم أكلهما من شجرة معينة وخروجهما من الجنة لمخالفتهما لأمر الله كما يقول بذلك الإسلام .

ووراثة الأبناء لخطيئة الأبوين التي استمرت حتى بعث الله ابنه الوحيد عيسى – عليه السلام – ليقتل على الصليب تكفيراً عن خطيئة آدم ، وتخليصاً للبشرية من الخطيئة كما تقول بذلك المسيحية البوليسية .

أن هذه الفكرة بشقيها الصحيح والخطأ فكرة ممجوجة أمام نظرية دارون التي تشكك في أصل الإنسان وتدعي أنه حيوان مادي نشأ بفعل التطور من الأدنى للأعلى ، إذاً فلا أدم ولا حواء ولا خطيئة وبالتالي لا عيسى ولا تكفير

---

(١) البروتوكول الأول ص ١٥٢ .

(٢) البروتوكول الأول ص ١٥٥ .

يقول ويلز " وإذا لم يكن ثمة خطيئة فأن الصرح التاريخي للمسيحية ، وقصة الخطيئة الأولى والكفارة التي أسس عليها التعليم الساري للعواطف المسيحية ، فأن كل ذلك ينهار كبيت من ورق اللعب " (١).

واليهود هم الذين دفعوا بكارل ماركس إلى الساحة ليقول أن المادة أزلية أبدية وأن الإنسان والفكر نتاج المادة وأنه لا وجود لخالق وأن الدين خرافة بل هو مخدر للشعوب وأن الملكية الخاصة تؤدي إلى تفتيت وحدة المجتمع وأنها السبب المباشر لكل المفاسد .

كما دفعوا بفردريك نيتشه ليقول في سخرية إن الله قد مات وأن السوبر مان أي الإنسان الأعلى ينبغي أن يحل محله .

ودفعوا أيضاً بسيجموند فرويد ليرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كي يبطل قداستها ويسلب الإنسان إيمانه بسموها مادامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه (٢).

تقول البروتوكولات " لاحظوا هنا أن نجاح داروِن وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي - أي غير اليهودي - سيكون واضحاً لنا على التأكيد " (٣).

ويقول البروتوكول الرابع " يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية " .

هكذا حركة يهودية خبيثة تستهدف العقائد الصحيحة وتعمل بكل الوسائل من أجل طمس معالم الدين الحق ، وإبعاد الشعوب عن الإيمان بوجود الله

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ج ٤ ص ١١١٣ .

(٢) راجع مقدمة محمد خليفة التونسي للبروتوكولات ص ١٠٣ .

(٣) البروتوكول الثاني ص ١٦٢ .

ووحدانيته ، والقذف بها بلا هوادة في الإلحاد . وإشغالها بالمادة وتوافه الأمور ، وتفريغ باطنها من أي محتوى جاد ، ودفعها للتشرذم والضياع .

واليهود وهم يشككون في الدين يحطون من رجاله ، ويظهرونهم بمظهر غير لائق أمام الشعوب ، وبذلك يفقدوهم التأثير الروحي .

يقول البروتوكول السابع عشر " وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين في أعين الناس ، وبذلك نجحنا بالإضرار في رسالتهم ... وأن نفوذ رجال الدين ليتضاءل يوماً فيوماً ... وسيكون تأثيرهم وبيلاً على الناس حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها " (١).

أن الرؤية المتأنية العاقلة للواقع تؤكد أن وراء نشأة التيارات الفكرية الإلحادية يداً يهودية ، وأن وراء التشويش المستمر على علماء الدين في الأمة الإسلامية وتوسيع جهات الخلاف بين علماء الأمة يداً يهودية ، وإن وراء انصراف الناس عن علمائهم الدينيين وتوجيه اللوم لهم واتهامهم بالقصور والسطحية يداً يهودية .

يقول العقاد " ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها ، وهي أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان " (٢).

وتعترف البروتوكولات بما قام به اليهود عبر القرون المتطاولة من وضع بذور الحقد والكراهية والتعصبات الدينية والقبلية بين الشعوب غير

---

(١) راجع البروتوكولات ص ٢٤٩ .

(٢) من مقال للعقاد بجريدة الأساس في ٢١ / ٤/ ١٩٥٠ .

اليهودية ، بهدف إضعافها ، واستفراغ كل طاقاتها فيما لا يفيد إلا الصهيونية العالمية يقول البروتوكول الخامس " لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً " (١).

وتقوم الصهيونية العالمية – من أجل السيطرة على الشعوب ودفعها إلى الحيرة والقلق وتفتيت وحدتها الفكرية والعاطفية – بدفع مجموعة كبيرة من الآراء المتضاربة في الساحة ، والعمل على إيجاد صراع حول هذه الآراء ، وتبني كل مجموعة من الناس لرأي دون آخر ، والتعصب له .

وهذا التعصب بدوره يجسم من أخطاء الغير ، ويعمق الخصومات في المجتمع ، ويجعل رؤية الأهداف غير واضحة ، ويقلل من عودة التماسك مرة ثانية ، وينمي روح العداء بين الأفراد والمجتمعات ، ويدفع الجميع إلى الاستسلام .

يقول البروتوكولا الخامس (ولضمان الرأي العام ، يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بتغيرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأميون في متاهاتهم ... ويجب ثانياً أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً) (٢).

---

(١) راجع البروتوكولات ص ١٧٦ .

(٢) راجع البروتوكولات ص ١٨٠ .

والأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع ، وتماسكها لا يكون إلا بالتعاون والحب ، وترك الأثرة والتمسك بإيثار الغير على النفس ، ورحمة الكبير للصغير واحترام الصغير للكبير .

والصهيونية لا تريد أن تكون المجتمعات غير اليهودية قوية ، ولذا تعمل على إشعار كل فرد بأهميته الذاتية ، وتنمية إحساسه بفرديته ، حتى يتمسك كل فرد برأيه ، ولا يستجيب للآخرين ، أو بتعبير آخر يكون أنانياً في كل تصرفاته ، وهذه الأنانية بدورها تؤدي إلى تدمير الأسرة بعدم الانصياع لرأي الكبير أو النابه فيها مما يؤدي إلى إضعاف المجتمع .

يقول البروتوكول العاشر (إذا أوحينا إلى كل فرد فكرة أهميته الذاتية ، فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ، ونفسد أهميتها التربوية ، وسنعوق الرجال ذوي العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة) [١].

ويصرح البروتوكول الرابع عشر بأن اليهود لن يسمحوا بدين آخر غير اليهودية حينما تتم لهم السيطرة على مقدرات الشعوب .

حيث يقول (حينما نمكن لأنفسنا فسنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين) [٢].

ويوضح البروتوكول الخامس عشر أن اليهود هم الذين أنشأوا الماسونية ، وهم الذين يعملون على نشر خلاياها في كل مكان . ويضمون إليها الشخصيات العامة ذات الثقل المادي والمعنوي ، والتي تخدم بإرادتها أو بغير إرادتها اليهودية العالمية (سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين

---

(١) راجع البروتوكولات ص ١٩٨ .

(٢) راجع البروتوكولات ص ٢٢٤ .

الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية) (١).

ويحدد البروتوكول الحادي عشر هوية اليهود بأنهم ذئاب ، أما الشعوب الأخرى فهم الأغنام ، ومعروف أن الذئاب لا يرضيها ويحد من توحشها إلا التهام الأغنام (غير اليهود كقطيع من الأغنام أن نحن فإننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحمت الذئاب حظيرتها ، إنها تغمض عينيها ، وسندفعهم إلى ذلك) (٢).

إن الصهيونية العالمية تعمل جاهدة على السيطرة على العالم ، وتسخير كل القوى العلمية لخدمتها ، ونشر الديانة اليهودية ، أو على الأقل دفع الأمميين إلى التمرد على المسيحية والإسلام ، كما تعمل على تحويل مسار الفكر إلى الجهة التي تريدها هي ولا تحتاج لتأكيد هذه القضية إلا لنظرة متأملة فيما حولنا وسنجد في البدء المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي .

يتبع الأول المذهب الديمقراطي الذي - رغم بريقه يمسخ إنسانية الإنسان ويدفعه ليدمر القيم ويزدري الدين باسم الحرية الشخصية ، ويستبدل بالمعبود الحقيق معبوداً آخر اسمه الهوى والغرائز والمال والطبيعة .

أما المذهب الثاني فيتبع المذهب الاشتراكي الذي يحطم الفرد باسم الجماعة ويحطم الجماعة باسم الدولة ، ومع التحطيم والإذلال يأتي المسخ لكل فكرة دينية صحيحة .

---

(١) راجع البروتوكولات ص ٢٣٠ .

(٢) راجع البروتوكولات ص ٢٠٩ .

ويقع تحت اللواء الغربي الكثير من الشعوب ، كما يقع تحـــت اللـــواء الشرقي الكثير أيضاً .

ويتربص المعسكران كلاهما للآخر : ومن ورائهما قـــوى الصـــهيونية تدفع بالصراع إلى أشده ، وتوسع دائرة الخلاف ، وتحصد نتاج عملهـــا أولاً بأول .

وفي نفس الوقت تحرص الصهيونية على نقل عوامل الصراع إلى العالم الإسلامي وبذا تتمكن من تفتيت وحدته وإبعاده عن قيمه وزرع القلاقل فـــي الكثير من أرجائه .

وقضايا أريتريا وأفغانستان ولبنان وفلسطين والعراق وإيران وغيرهـــا ليست عنا ببعيد .

عقد في بودابست سنة ١٩٥٢ مؤتمر لحاخامي أوربا وفيه ألقى الحاخام إيمانويل – رابينوفتيش خطاباً قال فيه ... صار لزاماً علينا أن نستغل جميـــع الوسائل التي في حوذتنا لإشعال حرب عالمية ثالثة ... وأستطيع أن أعدكم أنه لن تمر عشر سنوات حتى يأخذ شعبنا مكانه الحقيقي في العالم ويصبح كـــل يهودي ملكاً وكل جوييم – أي جميع الأمم غير اليهودية – عبداً ... نحن نثير الآن حمى الحرب عند الشعب الروسي بخلق ميل معاد لأمريكا التي يجتاحها في الوقت نفسه شعور معاد للشيوعية ، هذه الحملة ستجبر الدول الصـــغيرة على الاختيار بين أن تصبح شريكة لروسيا أو متحالفة مع الولايات المتحدة ، حتى إذا تم تدمير وإهلاك الطرفين المتحاربين سنقوم نحن بعمليـــة الـــتحكم والرقابة على بقيا ، أشلاء جميع الدول وستكون هذه الحرب معركتنا الأخيرة في صراعنا التاريخي ضد الجويم .

وقد سأل أحد الحاخامات ، الحاخام المذكور عن مصير الأديـــان بعـــد الحرب العالمية الثالثة ، فقال : لن تكون هناك أديان كما لن يكون هناك رجال دين فإن وجود الأديان ورجال الدين خطر علينا [١].

ومن نعمة الله أن ما قاله الحاخام لم يتحقق حســب تحديــده الزمنـــي ، وأعتقد أنه لن يتحقق إذا أفاق العالم من غفوته وعاد المسلمون عودة حميـــدة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ص ٢٢٤ ، ٢٢٨ وليام كار .

(و) مواقف لليهود ضد الإسلام

ولليهود مواقفهم الغريبة من الإسلام منذ نشأته ، نذكر البعض القليل منها لنتذكر دورهم في التشكيك ومحاولة غزو العقلية الإسلامية والسيطرة عليها .

١- فمع بدء بعثة النبي ﷺ أنكروا نبوته ، وراحوا في تعنت وكراهية يطالبونه عليه الصلاة والسلام بأن يأتي لهم بقربان تأكله النار ، وتجاهلوا بهذا الطلب كل معجزاته الحسية والعقلية وبخاصة المعجزة القرآنية الخالدة .

وقد حكى القرآن الكريم مقالتهم هذه ، وبين أنهم معاندون كذابون ، فقد جاءهم أنبياءهم بما طلبوا ، ومع ذلك تآمروا على قتلهم ، وأتى أنبياء كثيرون دون أن يأتوا بقربان .

فلماذا يتعنتون مع رسول الله ﷺ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴾ [١].

يقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة (يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها . قال ابن عباس والحسن وغيرهما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالحجج والبراهين ﴿ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ أي وبنار تأكل القرابين المتقبلة ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ أي فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٨٣ .

والمعاندة وقتلتموهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنكم تنقادون للحق وتتبعون للرسل " (١).

٢- وقد طلبوا ظلماً وعدواناً من النبي ﷺ أن يطلب من ربه أن يكلم اليهود ويعلمهم أن محمداً رسول الله من عنده أو يريهم آية فورية تؤكد صدق رسالته – عليه السلام – وهذا الأمر ليس بجديد على الجبلة اليهودية " فقد سألوا موسى أكثر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة " ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ .

وقد قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أزلاً ألا يراه أحد أو يسمعه أحد من البشر في الدنيا إلا من ارتضى من رسول .

والإيمان بالغيب هو الذي يصحح التكليف ويجعل الإنسان حراً في التصديق أو التكذيب ، وبهذه الحرية تصح مسئولية الإنسان ويكون الثواب أو العقاب في محله .

أما إذا ظهر الله سبحانه وتعالى وكلم القوم وسمعوه بآذانهم ، فلن يكون هناك أي معنى للإيمان ، لأن حرية الإنسان ستكون منتفية ولن يكون أمامه إلا الجبر ، ومع الجبر تنتفي المسئولية ، وينتفي الثواب والعقاب .

والشرك في كل عصر واحد ، وإن تغير الثوب الذي يلبسه ، ولهذا رأينا مشركي قريش يطالبون الرسول ﷺ لكي يؤمنوا برسالته بمطالب قريبة من مطالب اليهود يقول القرآن الكريم حاكياً مقولة المشركين ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم م ١ ص ٤٣٤ لابن كثير وراجع في تفسير الآية مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي .

بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً . وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً . قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ (١).

لقد طلب رافع بن حريملة اليهودي من الرسول ﷺ طلباً بالنيابة عن اليهود قائلاً له يا محمد (إن كنت رسولاً كما تقول ، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه) .

وهنا نزلت الآية الكريمة ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢).

والذين لا يعلمون يقول ابن عباس هم اليهود ، ولولا يكلمنا الله أو تأتينا آية " أي هلا يكلمنا الله بنبوة محمد ﷺ ، فنعلم أنه نبي فنؤمن به أو يأتينا بآية تكون علامة على نبوته .

ولقد تشابهت أقوال المشركين واليهود والنصارى في تعنتهم وجحودهم وإنكارهم وإتفاقهم على الكفر (٣).

٣- ومن المعروف أن اليهود كانوا ينتظرون نبياً سوف يأتي ، وكانوا يرددون ذلك فيما بينهم ، ويشيعونه بين الناس .

---

(١) سورة الإسراء الآيات : ٩٠ – ٩٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١١٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن م ٢ ص ٩٣ للإمام القرطبي .

وحينما أتى النبي ﷺ برسالته أنكروه بدل أن يؤمنوا به لأنه مصدق لما يقولونه ، وقالوا ليس هذا هو النبي المنتظر ، والسبب المباشر لإنكارهم هو العناد والكبر والحقد والتسلط ، لأنه لم يبعث منهم وإنما من نسل إسماعيل – عليه السلام – يقول القرآن الكريم ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

يقول المفسرون ولما جاءهم أي اليهود كتاب من عند الله أي القرآن الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ مصدق لما معهم أي لبعض ما في التوراة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون بمجيئه على أعدائهم ويقولون أنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقاتلكم معه .

ويقول محمد بن إسحاق ... عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول يأتي ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه (٢).

٤- ولقد حاول اليهود تحكمهم طبيعتهم الحاقدة أن يشككوا في القرآن الكريم قائلين إنه ليس من عند الله ، وأن الله تعالى لا يكلم البشر تقول الآية الكريمة ، حاكية قولهم ، ورادة على كذبهم وافترائهم ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة الآية : ٨٩ .

(٢) تفسير القرآن م ١ ص ١٢٤ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ٩١ .

أي قل لهم يا محمد هل تؤمنون بموسى – عليه السلام – أو . لا ؟ ثم قل لهم هل نزل عليه كتاب أو . لا ؟ ثم قل لهم من أنزل الكتاب الذي أنزل على موسى والذي هو هدى ونور للناس جميعاً ؟

والذي تبدون بعضه وتخفون البعض الآخر .

قل لهم يا محمد الله سبحانه هو الذي أنزل الكتاب على موسى ، وهو سبحانه وتعالى الذي أنزل القرآن عليك ، ثم أتركهم في غيبهم وضلالهم يتخبطون .

يقول القرطبي في تفسيره للآية الكريمة (قال الحسن وسعيد بن جبير الذي قاله أحد اليهود . قال لم ينزل الله كتاباً من السماء .

قال السدي اسمه منحاص وعن سعيد بن جبير أيضاً قال هو مالك بن الصيف) [١].

٥- واستمراراً في محاولة تشكيك المسلمين في دينهم ، والتسلل لإضعاف العقيدة في قلوبهم ، انتهز اليهود فرصة تحول المسلمين بأمر ربهم في صلاتهم إلى الكعبة المشرفة ، وأخذوا يثيرون الشبهات .

فلقد كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، وظلوا على هذا طيلة الفترة المكية " وعلى مدى يقترب من السبعة عشر شهراً بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، ثم أمروا بالتوجه في الصلاة إلى بيت الله الحرام ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم م ٦ ص ٣٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ١٤٤ .

وكان التوجه الأول إلى بيت المقدس يرضي اليهود ، ويدفعهم للاعتقاد أن محمداً وأصحابه في النهاية – طالما أنهم يصلون إلى بيت المقدس – سيدينون أيضاً باليهودية .

يقول ابن عباس ومجاهد – رضي الله عنهما – إن اليهود (كانوا يأنسون بموافقة الرسول لهم في القبلة ربما تدعوه إلى أن يصير موافقاً لهم بالكلية) .

ويروي البخاري عن البراء – رضي الله عنه – قال (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً .

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .. ﴾ .

فقال السفهاء وهم اليهود ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ .. ﴾ (١).

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى مالك الملك وخالق الجهات كلها ، وهو – عز وجل – يتصرف في ملكه وفق مشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

ولقد استجاب سبحانه وتعالى لتوجهات حبيبه محمد ﷺ ، حيث وجهه إلى القبلة التي يرضاها ، والتي هي جزء من كيانه ، منذ ولد والشوق والحنين تجاهها لا يزول .

وقد كان وقع تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام خطيراً على نفوس اليهود ، حيث رأوا فيه اهتزازاً لكيانهم ، وانتشاراً للإسلام الذي لا يرتضونه .

---

(١) روح المعاني – في تفسير القرآن العظيم م ١ ج ٢ ص ٢ للألوسي .

ولهذا راحوا يثيرون الشبهات .

قالوا في سخرية ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟

وإذا كانت القبلة هي قبلة الأنبياء ومحمد يدعي أنه نبي فلماذا تحول عن قبلتهم ؟

ثم إنه لو كان نبياً حقاً لبقي على صلاته تجاه قبلة الأنبياء .

وإذا كانت الجهات كلها لله فإن التحول من جهة إلى أخرى بدون فائدة عبث ، والعبث على الله محال ، وإذاً فالتحول محال .

ثم ما هو موقف الذين آمنوا بمحمد وصلوا في اتجاه بيت المقدس وماتوا قبل تحول القبلة هل هم على حق أو على باطل ؟

روي عن حيي بن أخطب وجماعة من اليهود أنهم قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه .

وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة ، فقال المسلمون إنما الهدى فيما أمر الله تعالى والضلالة فيما نهى الله عنه فقالوا : فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا – وكان قد مات من المسلمين جماعة قبل تحويل القبلة – فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله : كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١].

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

والمعنى : وما كان الله تعالى ليذهب ثواب صلاتكم وأعمالكم الصالحة التي قمتم بها خلال توجهكم إلى بيت المقدس لأنه سبحانه بعباده رءوف رحيم لا يضيع أجر من أحسن عملاً [١].

إن الأمكنة كلها لله وهو سبحانه المتصرف فيها ، فإذا أمر بالتوجه إلى مكان دون مكان فلحكمة يعلمها هو ، وعلى المسلم أن يمتثل لأمره عز وجل :

أن المسلمين فهموا أن الأمر بالتحول إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم – عليه السلام – وقيل لأنها كانت أدعى للعرب إلى الإسلام – وقيل مخالفة لليهود .

(وروي عن أبي العالية الرياحي أنه قال كانت مسجد صالح – عليه السلام – وقبلته الكعبة ، قال وكان موسى – عليه السلام – يصلي إلى الصخرة نحو الكعبة وهي قبلة الأنبياء كلهم) [٢].

لقد تقبل المسلمون الأمر الإلهي بالتحول من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بالسمع والطاعة :

وفهموا أن المراد بالتوجه إلى بيت المقدس ثم التحول منه إلى الكعبة المشرفة هو لتمييز المؤمنين الصادقين عن الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وبهذا التمييز يعلم المؤمن من معه من المؤمنين فيواليه ، ومن عليه فيعاديه ويحذره يقول تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾ [٣].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم م ١ ص٣٨٣ د / محمد سيد طنطاوي .

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

وعلموا أن بيت المقدس أو البيت الحرام ليس أحدهما مقصود لذاته وإنما المقصود الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، يقول – عز وجل – ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

وله سبحانه مشارق الأرض ومغاربها يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء ﴿ وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (٢).

ولقد كان معلوماً عند العرب وما يزال معلوماً أن الكعبة شرفها الله بإضافتها إليه تعالى ، فهي بيت الله الحرام . ومن المعلوم أيضاً أنها أول بيت وضع للناس للعبادة يقول تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ومن المعلوم أن الذي بناها هو سيدنا إبراهيم وساعده في بنائها سيدنا إسماعيل – عليهما السلام – ومحبة الكعبة هي محبة لكليهما ، ومن نسل إسماعيل جاء محمد ﷺ كما جاء العرب فإتباع الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل أقرب للعرب بالذات من غيرها ، وبشير بظهور دولتهم ودينهم الذي هو الإسلام على الجميع :

ولقد كانت الكعبة قبل الدعوة الإسلامية وفي بدءها مشغولة بالأصنام والأوثان ، ولذا كان توجيه الله لنبيه – عليه السلام – وللمسلمين أولاً بالتوجه

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١١٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٩٦ .

إلى بيت المقدس إلى أن يتم تطهير بيت الله الحرام ، مما فيه حتى يكون التوجه حقيقة لله عز وجل .

وحينما تحول ﷺ وأمر المسلمين بالتحول إلى بيت الله الحرام ، لم يكن تحوله بأمر نفسه وإنما بأمر الله عز وجل ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وكما قلنا سابقاً إن القبلة ليست مقصودة لذاتها ، وإنما المقصود الحقيقي هو الله – عز وجل – ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يصطفي الأنبياء من بين خلقه ويميز شهراً عن آخر ويوماً عن آخر ومكاناً عن آخر .

وهو وحده خالق الجهات كلها وفعله كله حسن بمعنى أنه لا تبعة عليه فيه ولا لائمة تلحقه لأنه يفعل في ملكه (٢).

والعبث فعل ما ليس فيه فائدة ولا غرض ، وفعل ما يلحق الضرر : والله سبحانه منزه عن احتياجه للفائدة أو الغرض وهو – عز وجل – لا يلحقه أي ضرر فهو خالق الكل ومالك الكل .

والتحول من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام لغرض يرجع إلى المسلمين ولفائدة لهم . والمسلمون ليسوا مقصودين لذاتهم ، وإنما لأنهم أسلموا الوجه لله ، واتبعوا دين الله الحق الخاتم للأديان السماوية .

ولا عنصرية ولا تفريق بين الخلق وإنما ميزان واحد للعدل ، وهو الإيمان والتقوى .

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٤٤ .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٤١ لأبي حامد الغزالي .

٦- ومن الحيل التي لجأ اليهود إليها لتشكيك ضعفاء المسلمين في عقيدتهم الدخول في الإسلام بأن ينطقوا بالشهادة بلسانهم ويتظاهروا أمام المسلمين بأنهم رضوا بالإسلام ديناً ، وحقيقة أمرهم أنهم يضمرون الكفر والحقد على الإسلام ويهدفون إلى إخراج المسلمين من إسلامهم أو على الأقل دفعهم إلى الشك في الإسلام يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

يقول المفسرون إن سبب نزول الآية الكريمة أن أثنى عشر حبراً من أحبار يهود خيبر نصح بعضهم بعضاً أن يدخل في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ، ثم في آخر النهار يعلنون الكفر بالإسلام ، ويرددون بين المسلمين أنهم نظروا في التوراة وشاوروا علماءهم وتأكدوا أن محمداً ليس هو الرسول المنتظر وأنه ليس برسول .

وبهذا التصرف الخبيث يوقعون الشك في قلوب بعض ضعفا الإيمان من المسلمين (٢).

والآيات الكريمة قبل هذه الآية توضح غرض اليهود وتبين أنهم لن يضلوا إلا أنفسهم ، وأنهم حاقدون منكرون يلبسون الحق بالباطل يقول سبحانه ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٧٢ .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازي م ٤ ج ٨ ص ١٠٣ ، وتفسير ابن كثير م ١ ص ٣٧٣ .

(٣) سورة آل عمران الآيات : ٦٩ – ٧١ .

٧- عمل اليهود على التشكيك في دعوته ﷺ بقولهم : إن القول بجواز رسالة محمد ﷺ يؤدي إلى نسخ دين موسى - عليه السلام - ، ونسخ دين موسى محال لأمرين :

الأول : النسخ إما أن يكون لا لغرض أو لغرض :

فإن كان لا لغرض فهو عبث ، والعبث محال على الله تعالى .

وإن كان لغرض ، فإن كان لغرض لم يعلمه الله ثم علمه فهذا جهل ، والجهل عليه سبحانه محال .

وإن كان يعلمه الله إلا أنه رأى إرجاءه ثم بدا له إظهاره فهذا تردد ، والتردد أساسه الجهل ، ويستحيل أن يكون سبحانه وتعالى متصفاً بهذه الصفة لأنها نقص والنقص عليه محال .

الأمر الثاني : الذي يؤكد استحالة نسخ دين موسى ، وبالتالي استحالة بعثة محمد ﷺ أنهم يقولون : إن موسى - عليه السلام - صرح بدوام دينه وأبديته بقوله " تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض " ، وبقوله " عليكم بديني مادامت السموات والأرض " وبقوله " أنا خاتم الأنبياء " .

ويقولون : إذا كان موسى قد قال ذلك وصرح به فكيف يأتي محمد ويدعي أنه رسول جاء لكل البشر ؟ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين إن قوله هذا ينسخ رسالة موسى ، ويكذبه في نفس الوقت فيما قال والنسخ محال وتكذيب موسى محال لأنه نبي معصوم من الكذب .

وفي نفس هذا الإطار التشكيكي ، راحت جماعة من اليهود تسمى بالعيسوية تردد القول بأن محمداً رسول إلا أن رسالته خاصة بالعرب وحدهم .

وهذا يعني إنكارهم لعموم رسالته عليه الصلاة والسلام .

ولنا وقفة :

نقول من خلالها إن هذه القضايا الثلاث التي يقول بهـا اليهـود وهـي إنكارهم للنسخ ، وقولهم بأن موسى صرح بأبدية رسالته وبأنه خاتم الأنبياء ، وقول العيسوية منهم إنه رسول للعرب فقط :

هذه القضايا وغيرها والتي أريد بها التشكيك في رسالته عليه الصـلاة والسلام ، ذكرها المتكلمون في كتبهم وناقشوها بإسهاب وبينوا فساد ما يقوله اليهود :

ومن أراد الوقوف على المناقشات فليراجع على سبيل المثـال التمهيـد للباقلاني ، والإرشاد للجويني والمطالب العالية للفخـر الـرازي ، والمغنـي وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ، وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسـفي ، والمواقف للإيجي مع شرحه للسيد الشريف ، وشرح المقاصد لسـعد الـدين التفتازاني ... إلخ .

واستكمالاً للفائدة فقط نقول إن النسخ ليس بمستحيل بل هو جائز واليهود يعرفون ذلك ، فهم يعرفون جيداً إن آدم – عليه السلام – زوج بناته بنيه مع المخالفة في البطون . وجاء موسى – عليه السلام – بشريعته التي تمنع زواج الأخت من أخيها . أي أنه نسخ بعض ما جاء في شريعة آدم .

ولقد كان من لجائز الجمع بين الاختين في شرع يعقوب ونسخ موسى – عليه السلام – هذا الجمع أي حرمه ، يقول القاضي عبد الجبار (يقال لهم أي لليهود القائلين باستحالة النسخ – ما قولكم في شريعة موسى هل نسخت مـا قبلها من الشرائع أو لا ؟ فإن قالوا لا بل لم يأت موسى إلا بما قد أتـى بـه الأنبياء قبله . نقول كيف يمكنكم ذلك وقد علمتم أن آدم – عليه السلام – زوج بناته من بنيه ، وقد حظره موسى ، وكذلك اختتن إبراهيم – عليه السـلام –

في الكبر ، وأوجبه موسى في الصغر ، وجاز الجمع بين الاختين في شرع يعقوب ولم يجز في شرع موسى – عليه السلام –) [١].

النسخ إذاً جائز وهو لمصلحة تعود إلى الخلق وليس إلى الخالق سبحانه وتعالى إذ أنه منزه عن الغرض .

والناس يخلف بعضهم بعضاً مع مرور الزمن ، وتتحدد أغراضهم وتتعدد في كل جيل من الأجيال ، فما يناسب من جاءوا من صلب آدم بعد خلقه لا يناسب الذين عاشوا في عصر إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وهكذا .

فالإنسانية في طفولتها غيرها في القرن الخامس عشر الهجري : وما يناسبها في طفولتها قد لا يتناسب معها الآن .

ولقد علم الله سبحانه وتعالى ذلك أزلاً وقضى بحكمته – عز وجل – أن يتتابع إرسال الرسل يقول سبحانه ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ [٢] ومع كل رسول يأتي كان المشرع ينزل من التشريعات التي تتناسب مع الخلق في وقتها يقول سبحانه ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٣].

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر ، وأرسل لهم الرسل ، وعلم بعلمه الأزلي الشامل ما يصح لكل فترة من الفترات ، وعلم أن البشرية ستصل بقدرته – عز وجل – إلى دورة الكمال الاستعدادي في وقت كذا . وقضت حكمته – عز وجل – أن يرسل مع مجيء هذه الدورة الرسول الخاتم والمتمم والمهيمن والناسخ لبعض الأحكام التي سبقته محمداً ﷺ .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٩ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية : ٤٤ .

(٣) سورة فاطر من الآية : ٢٤ .

فلا تجدد في علمه إذاً ولا بداء . فهو عالم بالعدوم الذي سيظل في العدم معدوماً ، وبالمعدوم الذي سيتحول إلى موجود متى سيدخل الوجود ، وكيف يكون ، وماذا سيلازمه ، وإلى متى يستمر ، ومتى يخرج من دائرة الوجود إلى العدم .

التجدد الحادث إذاً ليس في علمه فقد علم أزلاً كل شيء ، وإنما التجدد في الأحكام الشرعية التي تتناسب مع كل جيل ، وهو سبحانه وحده يعلم بها قبل أن تكون ومع كونها وإلى متى ستستمر ومتى سيبدلها بأحكام أخرى أو يلغي أو ينسخ بعضها ويبقي البعض الآخر لتكون متناسبة مع القابلين للتلقي والتنفيذ .

ونلخص ما قلناه في أن النسخ جائز وهو لغرض ومصلحة تعود إلى البشر ، ولا جهل ولا بداء لشمول علمه الأزلي سبحانه وتعالى لكل ما يحدث في الكون . إذ هو يحدث بأمره كن فيكون ، وبمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

أما قولهم بأن موسى صرح بدوام رسالته فيكذبه واقعهم ، فقد كانوا يتوقعون نزول نبي . وكانوا يرددون ذلك وينتظرونه لينصرهم على أعدائهم . وهذا التوقع في حد ذاته ينقض القول بالدوام والأبدية للرسالة والقول بأنه خاتم الأنبياء .

ولو أن موسى – عليه السلام – قال هذا الكلام لنقل بالتواتر ، ولما خفي على أحد ، ولكان أولى الناس بإظهاره أولئك اليهود الذين عاشوا وعاصروا البعثة المحمدية .

يقول الغزالي (إن هذه الشبهة إنما لقنوها بعد بعثة نبينا ﷺ وبعد وفاته ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها) [١].

والكلام بدوام رسالة موسى وبأنه خاتم الأنبياء هو من اختلاق زنديق اسمه أحمد بن يحيى بن إسحاق والمشهور بابن الراوندي والمتوفى سنة ٢٩٣ هـ .

أراد هذا الزنديق أن يشكك في الإسلام وفي نبي الإسلام فاختلق هذا الكلام الذي يكذبه الواقع التاريخي وواقع الأنبياء عليهم جميعاً السلام .

ويبقى معنا العيسوية وهم أتباع رجل يسمى أبو عيسى إسحاق بن يعقوب ادعى النبوة في عصر الدولة العباسية وقال بأنه مبعوث ليخلص اليهود مما هم فيه يقول الجويني (وذهبت طائفة من اليهود يسمون العيسوية إلى إثبات نبوءة محمد ﷺ ولكنهم خصصوا شرعه بالعرب دون من عداهم) [٢] وهؤلاء يكذبهم اعترافهم بنبوته عليه السلام .

فالأنبياء معصومون عصمة كاملة من كل ما يؤدي إلى الشك فيهم . ومن هذا الكل ، الكذب .

ولقد اعترفوا بأنه نبي ، فيلزمهم الاعتراف بعصمته ، كما لا يلزمهم الاعتراف بأنه صادق في كل ما ينقله عن الله – عز وجل – وفي كل ما يقوله ويفعله .

ومن الذي نقله عن الله – عز وجل – القرآن الكريم ، وفيه من الآيات ما يؤكد أن محمداً ﷺ مبعوث للجميع ، ومن الجميع اليهود والنصارى ن وأن رسالته عامة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٤ .

(٢) الإرشاد ص ٣٣٨ إمام الحرمين الجويني .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١). والفرقان هو القرآن الكريم وعبده أي عبد الله هو محمد ﷺ ، والعالمين هم كل ما سوى الله تعالى ومنهم الإنس في أي جيل من الأجيال أتى مع مبعثه أو بعد البعثة إلى قيام الساعة .

ومنهم أيضاً الجن : ويقول سبحانه وتعالى لرسوله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

ومن أقواله – عليه السلام – قوله للعرب " أنا رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة " (٣)، وقوله عليه الصلاة والسلام " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " (٤).

ومن أفعاله أنه ﷺ دعا اليهود والنصارى للدخول في الإسلام ، لأنه مأمور بتبليغ الرسالة إلى الجميع – وأرسل إلى ملوك وقياصرة العالم يدعوهم إلى الدخول في الإسلام .

يقول الغزالي (إنهم اعترفوا بكونه رسولاً حقاً ، ومعلوم أن الرسول لا يكذب . وقد ادعى هو أنه رسول مبعوث إلى الثقلين وبعث رسله إلى كسرى

---

(١) سورة الفرقان الآية : ١ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه مسلم .

وقيصر وسائر ملوك العجم وتوافر ذلك منه فما قالوه محال متناقض) [١] فإذا كان العيسوية مصدقين حقاً بأنه رسول فيلزمهم أن يتراجعوا عن قولهم بخصوصية رسالة محمد ﷺ . ويؤمنوا بأنه مبعوث للناس عامة وللناس كافة :

أما إذا كان الهدف من قولهم هو التشكيك في عموم رسالته وفي رسالته ككل ، فليخلعوا القناع ولينضموا إلى إخوانهم المشككين الضالين .

هذا ولليهود دورهم الخطير في بث الإسرائيليات في التفسير والحديث . كما أن لهم دورهم في الإنشاء والترويج للتيارات الإلحادية ، والاتجاهات الفوضوية الإباحية ، التي تفسد الضمائر ، وتقتلع الأخلاق الفاضلة ، وتشكك في العقائد الصحيحة ، وتنشر الفرقة والصراع والأحقاد بين الناس ، وتكثف من ضباب الأنانية والكراهية .

وما ذكرناه هو مجرد سطور من مواقف رهيبة لليهود ، تؤكد دورهم الضالع في الغزو الفكري للشعوب وبخاصة الشعوب الإسلامية .

---

(١) الاقتصاد ص ١٧٢ .

البعد الاستشراقي

أ- الاستشراق والمستشرقون .

ب- مدارس الاستشراق .

ج- مجالات عمل المستشرقين .

د- أهم ما يتميز به المستشرقون .

هـ- بعض أهداف الاستشراق .

و- منهج المستشرقين في دراسة الإسلام .

البعد الاستشراقي

للاستشراق دوره الخطير في الغزو الفكري ، وبخاصة على البيئة التي يتعامل معها وهي في الغالب بيئة المتعلمين والمثقفين .

وللتعرف على هذا الدور يلزمنا أن نعرف في إيجاز معنى الاستشراق والمستشرقين ، وأهم مدارسهم والمجالات التي يعملون فيها ، وأهم أهدافهم ، ومنهج البحث عندهم وبعض سماتهم ، وأثرهم على الفكر الإسلامي .

الاستشراق والمستشرقون :

(أ) يقصد بالاستشراق الدراسات التي يقوم بها غير المستشرقين وهم في الغالب من الأوربيين لكل ما يتصل بالشرق من أديان وثقافات ولغات وعادات وتضاريس وموارد ، بهدف التعرف على كل ما يتصل بهذه الظواهر من سلبيات وإيجابيات .

ويدخل الإسلام والمسلمون ضمناً في هذا التعريف .

ويحدد البعض الاستشراق بأنه الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لكل ما يتصل بالإسلام والدول الإسلامية ، وبالتالي تقدم هذه الدراسات لخدمة التبشير من جهة والاستعمار العسكري من جهة ثانية وبقية قوى الغزو الفكري من جهة أخرى .

ويمكننا أن نقول إن (للاستشراق أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام ، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة ، ولا يزال الأوربيون حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام

من كتابات المختصين في هذا المجال من الأوربيين وهؤلاء هم بطبيعة الحال من طبقة المستشرقين) [١].

والمستشرقون هم أولئك الغربيون أو غير الشرقين الذين يقومون بدراسة كل ما يتصل بالشرق وبالأخص الشرق الإسلامي ، ومن هؤلاء من يدين باليهودية ، ومنهم من يدين بالمسيحية كما أن منهم من لا يعترف إلا بالإلحاد .

ولا يعرف بالضبط متى بدأت الدراسات الاستشزاقية لكن مما يذكر أن من طلائع المستشرقين (الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، و بطرس المحترم ١٠٩٢ – ١١٥٦ ، و جيراردي كريمون ١١١٤ – ١١٨٧) [٢].

وتتابعت فيما بعد الدراسات المنظمة لكل ما يتصلب بالشرق ، وقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣ ثم توالي انعقاد المؤتمرات الاستشراقية التي يلقي فيها المحاضرات عن الشرق وأديانه وحضاراته [٣].

(ب) مدارس الاستشراق :

وللاستشراق مدارسه والتي يمكن تحديدها في ثلاث وهي :

المدرسة المسيحية والمدرسة اليهودية والمدرسة الإلحادية .

ولكل مدرسة أهدافها ووسائلها الخاصة ، إلا أن الأهداف والوسائل تتداخل لتخدم كلها هدفاً واحداً للجميع وهو القضاء على الإسلام والمسلمين .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ١٤ د . محمود زقزوق .

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص ١٤ د . مصطفى السباعي ط الثانية ١٩٧٩ م .

(٣) نفس المرجع ص ١٥ .

وتقوم المدرسة المسيحية بتقديم الدراسات التي تخدم الاستعمار الأوربي ، وتساعد على نهضة أوربا وفي نفس الوقت تساعد المبشرين في عملهم لنشر المسيحية بين المسلمين أو على الأقل إخراجهم من الإسلام .

أما المدرسة اليهودية فتعمل على خدمة المخططات اليهودية العالمية .

بينما تعمل المدرسة الإلحادية على التشكيك في الأديان ، ونشر الإلحاد وإقامة الحياة على مفاهيم مادية (١).

(جـ) مجالات عمل المستشرقين :

تتعدد مجالات عمل المستشرقين لتشمل تقريباً كل مناحي الفكر والثقافة ، ومن هذه المجالات .

١- مجال تحقيق المخطوطات ، فقد واصلوا التنقيب عنها في كل مكان ، وقاموا بجمع الكثير منها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ثم قاموا بتبويبها وفهرستها وتنظيمها ، وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً ، يشتمل على مقابلة المخطوطات للمخطوطة الواحدة ، وذكر المفارقات ، والتأكد من سلامة النص ، وشرح ما غمض فيه ، وعمل مقدمة للمخطوطة موضوع التحقيق ، تتناول الخطوط العريضة لما فيها من أفكار ، مع مقارنتها بأفكار أخرى في نفس الموضوع ، ثم عمل فهارس تفصيلية لما اشتملت عليه المخطوطة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأعلام وأماكن وشعر وحكم وأمثال وغير ذلك .

ومن أمثلة من قام بالتحقيق قيام المستشرق ستوري بنشر الفاخر للمفضل الضبي ، وتذيله له بفهارس للشعراء والرجال والأمثال والقوافي .

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٢٤ عبد الرحمن حبنكة .

وقيام دي خويه بتحقيق تاريخ الرسل والملوك للطبري ، وحقق مرجليوت معجم الأدباء لياقوت ، وكتاب المواقف ثم كتاب المخاطبات للنفري قام بتحقيقهما المستشرق إريري .

وقام كورتون الإنجليزي بنشر الملل والنحل للشهرستاني . وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة ، وكنز الدقائق للحافظ النسفي .

(وكثيراً ما كانوا يتعاونون في هذا كما حدث في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ... وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد) [١].

٢- مجال الترجمة ، في هذا المجال قام الكثير من المستشرقين بترجمة بعض كتب التراث الإسلامي والعربي إلى لغات عدة مثل الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية . وقد ترجموا إلى الفرنسية وحدها وحتى عام ١٩٥٩ عدداً من الكتب يزيد عن ألفين وخمسمائة والهدف هو إرساء النهضة الأوروبية عليها .

ومن الكتب التي ترجمت كتاب القانون في الطب لابن سينا قام بترجمته جيراردي كريمونا وترجم المستشرق فانيه عجائب المقدور في أخبار تيمور لابن عرب شاه ، وعلم المنطق والأمراض العقلية لابن سينا وخلاصة الكلام في تأويل الأحلام [٢].

وما أنكره هو مجرد عينات أما الواقع فيؤكد أنهم قاموا بترجمة عشرات الآلاف من أمهات الكتب الإسلامية والعربية إلى العديد من لغاتهم . وكان الهدف هو الإطلاع والاستفادة من العلوم الإسلامية ومعرفة أسرار نهضة

---

(١) المستشرقون ج ٣ ص ٣٩٥ وما بعدها نجيب العقيقي دار المعارف ط ٤ .

(٢) المستشرقون ج ٣ ص ٤٣٠ .

المسلمين . ومحاولة إعادة البناء الأوربي على أسس علمية صحيحة مستمدة من حضارة الإسلام .

وقد ساعد على فهمهم للتراث الإسلامي معرفتهم باللغة العربية وكثير من اللغات القديمة ، وقد ساعدتهم هذه المعرفة أيضاً على وضع المعاجم اللغوية مثل المعجم العربي لوليم بدويل في سبع مجلدات .

٣- كما أن لهم دوراً كبيراً في مجال الآداب ويعد بروكلمان من أبرز من عمل في هذا المجال وكتابه تاريخ الأدب العربي خير شاهد على ذلك . ولينكولون الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للإسلام ، ولقد كان السير هاملتون جيب من أعضاء المجمع العربي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكان يكتب العربية كأدبائها وهو صاحب كتاب المدخل إلى تاريخ الأدب العربي .

ولم تقتصر اهتمامات المستشرقين على ترجمة الكتب بل امتدت أيديهم لترجمة القرآن الكريم حيث قام روبوت أوف تشستر بترجمته إلى اللاتينية لأول مرة ثم ترجمه مرة ثانية المستشرق جيرمانوس سنة ١٦٦٨ .

ثم تتابعت ترجماتهم للقرآن الكريم وقدم برانكي المستشرق الإيطالي ترجمة حرفية للقرآن سنة ١٩١٣ وقام فلايشر الألماني بترجمة تفسير البيضاوي للقرآن الكريم سنة ١٨٤٦ .

٤- وفي مجال التأليف عن حياة النبي ﷺ كتب المستشرقون الكثير وعلى رأسهم ديرمنجهام فقد كتب كتب حياة محمد كما كتب السير وليم موير سيرة النبي والتاريخ الإسلامي في أربعة أجزاء ومونتجمري محمد ﷺ في مكة وردنسون محمد وعلم الاجتماع وفايل النبي محمد في حياته ودينه وهو كتاب في ثلاثة مجلدات .

كما قام المستشرقون بدراسة كتب الحديث الشريف دراسة تتناول المتن والسند ، ووضعوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ونشروا الكثير من كتب السنة مثل تاريخ الحديث في الإسلام لفريد كانتول سميث ومدخل إلى علم الحديث لألفريد جيوم .

وفي مجال الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف والفرق ، تحركوا بذكاء وقدرة على الجمع والهضم ثم الإخراج ، ونذكر أمثلة بسيطة لما قدموه في هذا المجال .

فقد كتب كارلو تللينو عقيدة المعتزلة والفلسفة الإشراقية لابن سينا ، وكتب شمولديرس مبادئ الفلسفة للفارابي متناً وترجمة لاتينية ، وكتب ديتريش دراسة العرب للطبيعة والفلسفة الطبيعية في ضوء رسائل إخوان الصفا ، وديجا تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم من عام ٦٣٢ إلى عام ١٣٥٨ هـ .

كما كتب كارادي فو الغزالي وحكمة الاشراق ، وابن سينا ، وماسينيون تاريخ أليف رسائل إخوان الصفا ، وآسين بلاسيوس الغزالي ، وابن رشد ، وابن مسرة ، وابن حزم ، ومادونالد علم الكلام في الإسلام وعقيدة الوحي في الإسلام ، ونكولسن ، التصوف الإسلامي ، ومارجريت سميث المحاسبي متصوف بغداد .

وقد كان لهم كتابات عدة عن حضارة الإسلام ، وأكاد أقول إنهم كتبوا في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين .

٥- وفي مجال التدريس الجامعي نشط المستشرقون حيث انشأوا أقساماً للدراسات الإسلامية والعربية (تقوم بمهمة التدريس الجامعي وتعليم العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه ممن سيواصلون أعمالهم

في المجال الاستشراقي الأكاديمي أو غيره من مجالات أخرى في السلك الدبلوماسي ... أو في مراكز البحوث المهتمة بالشرق) [١].

كما يقومون بالتدريس للعديد من الأبناء المسلمين النابهين الذين ترسلهم بلادهم إلى بعثات علمية للحصول على الليسانس والماجستير والدكتوراه .

كما يقوم الأساتذة المستشرقون بالتدريس في البعثات الإسلامية أو إلقاء محضرات أو عمل ندوات وذلك بناء على دعوات توجه إليهم من الدول المضيفة .

ويقومون بالكتابة في الحوليات الجامعية وحضور المؤتمرات العلمية التي يلقون فيها أبحاثهم .

وهكذا تتعدد أنشطة المستشرقين مما يساعدهم على فهم كل شيء يتصل بالإسلام والمسلمين ، وعمل أي شيء يريدون عمله إن بالإيجاب وأن بالسلب .

ويوصلهم إلى هدفهم استعدادهم الخاص أو بتعبير أصح تمتعهم بسمات ربوا عليها بحيث أصبحت جزءاً من كيانهم وهنا نسأل ما هي هذه السمات ؟

(د) أهم ما يتميز به المستشرقون :

لو حاولنا أن نستنطق أو نستقرئ واقع المسلمين في القرن الخامس عشر الهجري والذي نعيشه ، لألفينا في البدء الألفاظ الآتية : السلبية – التخلف – الكسل – الجهل – وكلها عوامل تساعد على التقهقر والجمود ، وتدفع بالمسلمين ليكونوا توابع للآخرين ، يرضون بفتات الموائد ويسعدهم أن ينظر إليهم من عل .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٥٩ – ٦٠ د / محمود زقزوق .

لقد كانت السمات السابقة طابعاً مميزاً للغرب في فترة ما وبالتحديد في العصور الوسطى ، لكنهم استطاعوا أن يتعاملوا مع واقعهم فيما بعد بذكاء وأخذ صحيح بالأسباب ، وأن يغيروا ما في الإمكان تغييره ، وأن يتخلصوا من الكثير من السلبيات التي تعوق حركتهم ، وبهذا أهلوا أنفسهم للاندفاع إلى الأمام .

وحينما تحركت بهم عجلة الحياة ، لم يركنوا لحركتها ، بل راحوا يدفعونها وبعقلانية ووعي في كل المجالات ، ولم يكن الدفع عشوائياً ، بل نتيجة تخطيط ذكي واع صبور .

لقد رأت أوروبا أنها في حاجة ماسة لمعرفة كل ما يتصل بالشرق الإسلامي ، وكان يمكن أن يستمر ما رأته مجرد رغبة أو أمنية ، لكنها لم تفعل ، بل أعدت الخطة بذكاء ، واختارت من بين أبنائها من تتوفر فيهم نباهة الذهن ، وسرعة البديهة والقدرة على تحمل الصعاب ، والاستعداد للتعلم والفهم ، والميل للتضحية ، والرغبة في خدمة قضية الاستشراق .

وأخذت تعلم من تتوفر فيهم مثل هذه الصفات اللغات واللهجات المنتشرة بالشرق من كلدانية وأشورية وسريانية وعبرية وعربية وفارسية وتركية بالإضافة إلى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات .

وبهذا التعلم ملك أبناؤها أول سرح يمكنهم من التعامل مع الآخرين .

ثم قامت أوروبا بتعريفهم الكثير من عادات الشعوب وتقاليدها وأديانها ومكنتهم من توسيع مداركهم بالإطلاع على الثقافات المختلفة وكانت هذه خطوة ثانية على الطريق .

أما الخطوة الثالثة فتتلخص في تقسيمهم إلى مجموعات تختص كل مجموعة بدراسة جانب واحد ، أو جزء من جانب لمجتمع الدراسة مع توفير كل الإمكانيات المادية والمعنوية التي تساعد على مواصلة الطريق .

فمجموعة تقوم بعمل دراسة كاملة لكل ما يتصل بأديان الشرق ، وثانية تدرس اللغات والآداب ، وثالثة تختص بدراسة التاريخ ، وهكذا في كل مناحي المجتمعات الشرقية .

وتقوم كل مجموعة بتقديم الدراسات الوافية والجادة التي تحتاجها أي مجموعة من المجموعات الأخرى .

وبهذا يتحقق التكامل ويتمكن الكل في النهاية من رصد كل ما يتصل بالمجتمع الشرقي ، وبخاصة المجتمع الإسلامي في ماضيه وحاضره ومستقبله .

ولقد ربى المستشرقون على مقابلة أي معوقات أو معاناة بالصبر والجلد والتحمل من أجل هدفهم الأساسي .

ولو أمعنا النظر في أعمالهم لألفيناها توضح أنها صدرت عن قدرات خاصة ، ورجال تمرسوا على التعامل بصبر وتريث مع كل المشكلات وفي كل الظروف .

ويمكننا بعد هذا أن نوافق نجيب العقيقي في تحديده لأهم الميزات الخاصة بالمستشرقين فيما يلي :

١- أخذهم بأمهات اللغات ، وتصنيفهم في قواعدها وفقهها ومعاجمها ولهجاتها وتاريخا والمقارنة بينها .

٢- وقد ساعدتهم معرفتهم بلغات عدة على توسيع دائرة ثقافتهم ، والإطلاع بل والتعامل مع التراث الثقافي الإنساني لكل شعوب الأرض .

٣- انقسامهم إلى فرق تخصصية ، تقوم كل فرقة بالتعامل الجاد مع جانب ما من جوانب الفكر أو اللغة أو الدين .

٤- قدرتهم على التحمل واستمرارهم الجاد في العمل الشاق (وربما ينقضي عمر أحدهم في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب فأدموند كاستل قضى في وضع مجمل معجم اللغات السامية ثمان عشرة سنة ، يعمل بين ست عشرة وثمان عشرة ساعة في اليوم وبارا نوف خص القاموس العربي الروسي بعشرين سنة من عمره) (١).

ما قلناه لم نقصد منه مدح المستشرقين ، وإنما أردنا أن نعرف بني قومنا بما يتسلح به الذين يحاربون الإسلام وقديماً قالوا من عرف سلم ، وقبل القديم قال القرآن الكريم ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (٢).

والإعداد لمن يحاربون الله ورسوله لا يكون بالسلاح فقط وإنما بكل وسيلة تتناسب لمقاومته ، وهم يحاربوننا بالفكر ويتسلحون بما بينا من أسلحة فلا أقل من أن نكون مثلهم حتى تستطيع أن نقاوم ونرد الكلمة بالكلمة ، والهجمة الفكرية بالهجمة الفكرية .

ونحن مطالبون بالدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الواعي فكيف يتسنى لنا أن نفعل هذا ، إن لم نأخذ بالأسباب كاملة .

---

(١) المستشرقون ج ٣ ص ٦٠٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

إننا إذا تأملنا في السمات التي يتمتع بها المستشرقون ، ووضعنا بجوارها مستشرقين من أمثال أريري ، والفريد جيوم ، وكارادي فو ، وماسينيون ، وجولدسيهر ، وجب وغيرهم .

وعلمنا أن الكثير منهم تعامل مع الإسلام والفكر الإسلامي فهماً وتحقيقاً وكتابة وتدريساً في الجامعات والمعاهد العلمية .

وعلمنا أيضاً أن للاستشراق أهدافاًخاصة يرنو إلى تحقيقها في العالم الإسلامي ، وأن الكثير من المستشرقين درسوا وأثروا في عدد ليس بالقليل من المفكرين المسلمين .

إننا إذا تأملنا بروية فيما يحدث لنا وحولنا ، سنجد أنفسنا حتماً في أشد الحاجة إلى اليقظة الفكرية ، وإلى الفهم العميق ، وإلى تصحيح المسار الإسلامي في كل جنبات حياتنا وبخاصة في الجامعات والتجمعات الثقافية .

وإذا نحن فعلنا ذلك سنكون قادرين بمشيئة الله تعالى على مقاومة الغزو الفكري ورد أصحابه خاسئين .

(هـ) بعض أهداف الاستشراق :

الدافع أو الداعي هو الحافز أو المحرض لعمل ما من الأعمال ، ولقد دخلت أوروبا في حرب عسكرية صليبية سافرة ضد الإسلام والمسلمين جندت فيها كل قواها ، وكانت تهدف إلى استعمار البلدان الإسلامية والقضاء على الإسلام باستبداله بالمسيحية .

وظلت الحرب قرابة القرنين وهما القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر من الميلاد .

وانتهت حروب أوروبا الصليبية بالهزائم النكراء ، ولم يستطع المحاربون من أبنائها أن يحققوا ما تصبوا إليهم قلوبهم ، مما دفع بالأوربيين جميعاً إلى الإحساس بالمرارة .

وهذا الإحساس بالمرارة هو الدافع وراء كل تطلعات المستشرقين وما يرنون إلى تحقيقه في العالم الإسلامي .

إن دوافع الاستشراق متعددة منها الدافع الديني والدافع السياسي والدافع التجاري والدافع العلمي .

إلا أن من أبرز هذه الدوافع الدافع الديني والدافع السياسي ، فالمستشرق ينطلق من خلال خصومة قائمة بين اعتقاده وبين الدين الإسلامي وفكرة راسخة لديه وهي تحقيق الزعامة للمسيحية والانتصار لكل ما هو مسيحي ، يقول المستشرق الألماني كارل بيكر (إن هناك عداء من النصرانية للإسلام ، بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى ، أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها) [١].

كما ينطلق من قناعة بضرورة التعرف على كل الاتجاهات والأفكار والإمكانيات في العالم الإسلامي ، رغبة منه في توجيهها الوجهة التي تتمشى مع ما يريده الغرب .

ويمكننا بعد هذه المقدمة تحديد بعض الأهداف الاستشراقية فيما يلي :

١- محاولة التعرف على كل الجوانب الإيجابية والسلبية في الشرق الإسلامي ، وبالتالي يمكنهم بعد هذا التعرف الاستفادة من الإيجابيات بنقلها إلى عالمهم الغربي ، ثم محاولة إضعافها في العالم الإسلامي .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٦ د / عمر فروخ وآخر .

ومحاولة إبعاد بني قومهم عن السلبيات ، والعمل على تعميقها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية .

٢- العمل بشتى الطرق على تنفيذ العبارة الاستعمارية التي تقول فرق تسد ، وهذا يتم بإحياء القوميات القديمة والعنصريات التي تدفع بالمجتمع إلى التفكك والصراع ، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين في وحدتهم ، وأن الكيان الإسلامي لا يتم له النماء والانتشار إلا من خلال التعاون والتحاب والاعتصام بدين الله ، يقول لورانس براون (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير) [١].

٣- محاولة حجب الإسلام عن بني قومهم ، وتقديمه في صورة مشوهة منفرة . وإظهاره كدين مصطنع يستخدم العنف في انتشاره ، ويتعامل مع الإنسان كمادة فقط ، ويلغي حرية الإنسان وبخاصة المرأة ويدعو إلى التواكل والسلبية ، ويورث أتباعه الذل والضعف والتخلف الثقافي والمادي .

وبهذا العمل والإدعاء الكاذب الذي يناقض تماماً واقع الإسلام يضمنون بقاء المسيحي على مسيحيته ، كما يضمنون ردود أفعال مضادة للإسلام من شعوبهم ومن حكوماتهم .

وأوضح دليل على ذلك ما أثاره كتاب سلمان رشدي – الحاقد على الإسلام والمسلمين – فقد خرج الموتورون من الشباب المسيحي في مظاهرات تهتف ضد الإسلام وتردد عبارات ممجوجة ، وناصرتهم بعض الإذاعات والصحف الأوروبية بعمل دعاية لسلمان والدفاع عنه وعنهم باسم الدفاع عن الحرية .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٧ .

وأصدق دليل أيضاً موقف الولايات المتحدة وهي قوة عظمى في عالمنا المعاصر حيث نراها شعباً وحكومات متعددة ومتتابعة ، تناصر الصهيونية بكل ما تملك حتى تبقيها قوة مميتة ومضيعة لكل قوى المسلمين ومبددة لأموالهم .

ولا تكتفي بهذا بل تعادي التيار الإسلامي وتعمل في السر والعلانية على القضاء عليه .

ثم هي تناصر بعض المسلمين على بعض بهدف إضعاف الجميع ، كما هو الحادث بين إيران وبين العراق ، وبين أهل أفغانستان والسودان ، وأريتريا ، والصومال .... إلخ .

٤- التفاني في تقديم الدراسات عن الإسلام والمسلمين التي يحتاج إليها التبشير ، حتى يواصل حركته بين الطبقات العاملة والفقيرة وبخاصة الغير مثقفة .

وأيضاً تقديم كل ما يلزم من دراسات للاستعمار العسكري من أجل المساعدة على نجاحه في استعمار واستغلال البلدان الإسلامية .

(وأغلب المستشرقين يجمعون بين العمل مع الكنيسة ومع دوائر الاستعمار في وقت واحد وأبرز هؤلاء . جب . في الاستعمار البريطاني وماسينون . في الاستعمار الفرنسي . وستوك هرنجو في الاستعمار الهولاندي) [١].

٥- العمل على نزع الأفكار الصحيحة عن الإسلام من العقلية الإسلامية ، وزرع أفكار أخرى مكانها بهدف جعل المسلم دائماً في كل سلوكياته يتبع المسيحيين أو اللادينيين (وذلك يتم عن طريق التشكيك في

---

(١) الإسلام في وجه التغريب ص ٢٦٨ أنور الجندي .

فائدة ما في أيدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم) [١] واستبدال ذلك بقيم وأفكار استشراقية يلبسونها الثوب المنهجي ويروجون لها بكل الوسائل .

٦- تكوين طبقة من المثقفين المعادين لكل ما هو إسلامي بصراحة وظهور في كل المناسبات وفي كل الأجهزة الإعلامية ، أو معاداة مستترة تدس من خلالها الأفكار العلمانية والقيم الاستشراقية وسط أفكار إسلامية صحيحة . ثم العمل على دفع هؤلاء إلى مناصب قيادية ذات تأثير عال في المجتمع الإسلامي .

٧- تشويه الأصول الإسلامية بالحذف أو الإضافة ، والتشكيك فيها ، وإثارة الشبهات حولها لعزل المسلمين عن جذورهم الأصلية (وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين) [٢] وكذا محاولة إدخال الفكر الإسلامي في الدائرة التي تحول بينه وبين الانطلاق إلى آفاق أرحب ، وذلك بالإدعاء بأنه فكر محلي تقليدي محدود يخالف حركة الحياة ، والتجني عن الإسلام بالقول بأنه مقلد . يقول نلسون وهو مستشرق مبشر في نفس الوقت (أن أحسن ما في الإسلام مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل) [٣].

٨- ولا ينسى المستشرقون - وهم يعملون من أجل إحداث البلبلة والتشكيك والتشويه - أن يضعوا أي فكر أو رأي أو حل يطرحه المصلحون الإسلاميون تحت مجهر الدراسة والتحليل (فإن كان خاطئاً زادوا في شحنة خطئه بطريقة أو أخرى ، وإن كان فيه ما يفيد حاولوا كل جهدهم للتقليل من

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ١٧ .

(٢) الإسلام في وجه التغريب ص ٢٧٦ .

(٣) التبشير والاستعمار ص ٤٠ .

شأنه وتخفيض قيمته حتى لا يفيد ... وكلما لاحت في العالم الإسلامي أي بادرة ذات مغزى .. فإن مجهر أولئك الأخصائيين يلتقطها على الفور ليجري عليها كل طرق التحليل) [١].

ومتابعة الأفكار الإسلامية التي تطرح في أي جيل ، وفي أي مجتمع من أخطر أهداف الاستشراق ، لأنها تجعل الفكر الإسلامي دائماً تحت المنظار وتبقيه في دائرة التغيير لصالح المغيرين .

ما ذكر هو بعض من كل لأهداف المستشرقين ، وليس من غرضنا أن نشوه صورة الاستشراق والمستشرقين في أعين المسلمين ، وإنما الغرض هو إبراز الجانب الذي يتصل بموضوعنا ، وهو دور المستشرقين في الغزو الفكري ، وعملهم المستمر على تشويه كل ما يتصل بالإسلام .

وإذا كان من المستشرقين وهم الكثرة من جعل جل همه العداء للإسلام والمسلمين واستخدام كل الوسائل لخدمة المسيحية أو اليهودية أو الإلحاد ، فإن هناك من المستشرقين من نزه نفسه عن التعصب والهوى ، وخلص قلبه من الحقد والكراهية ، وأخذ يبحث في أمانة عن الحقيقة ، ويبحث في العلم للعلم ، واستهواه التراث الإسلامي فاندفع نحوه بالتحقيق والدراسة ثم راح يقارن فيما بعد بين الإسلام والمسيحية ، وحينما عرف أن الحق في جانب الإسلام اقتنع به وأنصفه ، وأعلن البعض نتيجة لهذا الإقتناع الدخول في الإسلام .

ومن أمثال البعض من المستشرقين الذين دخلوا الإسلام (بوكهارت . وكرنكوف . وزونستين . وشنيستر . وجرمانوس ... كما أسلم بعض المستشرقين على يد شيخ الأزهر مثل الدكتورة وارزولايان الألمانية والتي تسمت باسم سامية الأزهرية ، ومثل الأمريكية خديجة دلنك – والأمريكي

---

(١) إنتاج المستشرقين ص ١٩ – ٢٠ .

ليورس ... ومثل السويسريان جميلة زوستزنج وألبرت كادلر ، ومثل المستشرق البريطاني جونس) [١] وغيرهم كثير .

بل إن منهم من دخل الإسلام ثم جعل بقية عمره وقفاً للدفاع عن الإسلام والكتابة عنه وسط بني قومه من الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسي دينيه والذي تسمى فيما بعد ناصر الدين دينيه فقد ألف بالاشتراك مع عالم جزائري كتاب عن سيرة سيدنا محمد ﷺ ، وقد عرض في كتاب له – تحت اسم أشعة خاصة بنور الإسلام أكاذيب بني قومه على الإسلام ورسوله ورد على هذه الأكاذيب بعقلية واعية وبقلب مؤمن [٢].

---

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامي ص ١٠٢ علي حسن الخربوطلي .

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص ٢٥ .

(و) منهج المستشرقين في دراسة الإسلام :

يعرف البحث العلمي بأنه التتبع والتقصي والتفتيش الذكي الواعي عن كل ما يتصل بموضوع ما من حقائق ، ثم عرض النتائج بموضوعية مطلقة .

ويشترط في الباحث مع ذكائه ووعيه وقدرته على الغوص في الأعماق وسرعة بديهته واستعداده التام للتحليل والتركيب ، يشترط أيضاً النزاهة والأمانة والموضوعية ، ويعني هذا التجرد من الهوى والتعصب والغرور والبعد عن التجريح ، ثم التمتع بالحيدة التامة والاعتماد على المصادر الأصلية مع القدرة على فهمها واستخلاص ما فيها .

وإذا نحن وضعنا هذه المفاهيم أمامنا ، وحاولنا التعرف على حركة المستشرقين ، وجدنا الدافع للكثير منهم في دراسة الإسلام وما يتصل بالأمة الإسلامية ، هو الانتصار للمسيحية وخدمة أغراض التبشير والاستعمار .

وهناك دافع آخر يتلخص في العمل على اختراق العقلية الإسلامية ، بأفكار تشوش القيم الإسلامية ، وتهز الثوابت منها ، وتدفع إلى الاغتراب والتغريب ، ونعني بالاغتراب إحساس المسلم بغربته عن دينه وقومه ولغته وعاداته وثقافته ونفسه .

كما نعني بالتغريب دفعه للأخذ بكل ما هو غربي مع تقديسه له وانصرافه عن كل ما هو شرقي مع النفور منه والإحساس بحقارته .

ولكي يضمن المستشرقون استمرار بني قومهم في النفور من الإسلام والابتعاد عنه ، ويضمنوا في نفس الوقت نجاح حركتهم في الغزو والاختراق نراهم – رغم معرفتهم للأسس الصحيحة للبحث والمنهج العلمي – يصطنعون منهجاً خاصاً يسيرون عليه في التعامل مع كل ما يتصل بالإسلام .

ويمكن تحديد نقاط منهجهم المصطنع فيما يلي بإيجاز مع ذكر أمثلة لما يقولون ومناقشتها لبيان دورهم في الغزو الفكري :

١- تحديد ما يريدون قوله عن الإسلام من افتراءات وأكاذيب تحديداً مسبقاً . ثم البحث عن أي مصادر أو نصوص - ولتكن ضعيفة أو واهية لا يعتمد عليها في مثل الحالة التي يدرسونها - لتأييد ما يقولون .

لقد ادعى أو افترض جولد تسيهر أن الحديث الشريف من صنع القرون الثلاثة الأولى ، وليس من قول الرسول ﷺ .

وليؤيد دعواه الكاذبة هذه ، ادعى أن أحكام الشريعة الإسلامية لم تكن معروفة في الصدر الأول من الإسلام ، وأن الجهل كان ملاصقاً بكبار الأئمة .

فأبو حنيفة النعمان والذي نسب إليه المذهب الحنفي في الفقه لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أو كانت أحد قبلها ؟

وقد تجاهل جولد تسيهر بقوله هذا مصدرين أصليين لتلميذين من تلاميذ الإمام أبو حنيفة وهما كتاب الرد على سير الأوزاعي لأبي يوسف وكتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني .

والكتابان يؤكدان إلمام التلاميذ مع أستاذهما بتاريخ الغزوات الإسلامية .

لكن غرور ورغبة جولد تسيهر في الكذب دفعته لتصيد ما يؤيد دعواه ، ويتوافق مع غرضه المريض ، من روايات ضعيفة وآراء شاذة من كتب النوادر والفكاهات ، والتي هي في الغالب تشتمل على الكثير من التلفيق والتحامل على بعض الأعلام :

ومع ادعائه بأنه يلتزم الموضوعية والمنهجية (فإنه لا يخفى عليه أمر هذين الكتابين ، وكان بإمكانه لو أراد الحق أن يعرف ما إذا كان أبو حنيفة

جاهلاً بالسيرة أو عالماً بها من غير أن يلجأ إلى رواية الدميري في الحيوان - والدميري هذا - ليس مؤرخاً وكتابه ليس كتاب فقه ولا تاريخ) [١].

٢- اتباعهم للهوى . والتعصب للأفكار التي يريدونها ، والميل لتشويه الحقائق بالحذف أو الإضافة أو التأويل الخاطئ أو الاعتماد على روايات ساقطة وكذا تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف) [٢].

ومن أمثلة التحريف المتعمد ما ذهب إليه جولد تسيهر حيث قال : (يقول وكيع عن زياد بن عبد الله البكائي أنه مع شرفه في الحديث كان كذوباً) .

وهذا الكلام يوحي بأن وكيعاً يعترف بشرف زياد إلا أنه في نفس الوقت يقول بأنه كذوب .

والأمر بهذه الصورة جد خطير ، والحقيقة أن جولد تسيهر قام بتحريف النص بهدف التشكيك في راو ثقة ، وصحة النص كما يذكر الإمام البخاري في التاريخ الكبير هكذا (وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع وهو - أي زياد بن عبد الله البكائي - أشرف من أن يكذب أي أن صدقه في رواية الحديث بلغ المرتبة القصوى ، وهو المعبر عنه بأفعل التفضيل أشرف ، بمعنى البعد كل البعد عن الكذب لطبيعته النقية [٣].

٣- إتباع أسلوب التمويه والنعمية والميل للتعتيم والتشكيك فيما صح من روايات :

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ٤٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٨٨ د / مصطفى السباعي .

(٣) المستشرقون والتراث ص ٢٨ د / عبد العظيم الديب ط ثانية ١٩٨٨ .

من ذلك مثلاً قول ول ديورانت عن رسول الله ﷺ (ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره ، وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة) (١).

والذي يهمنا في هذا الموقف قوله وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم ... عرضه لحميات ونوبات غريبة .

وقول ديورانت يهدف من ورائه إلى ما يلي :

(أ) التشكيك في كل الروايات التي تؤكد صحة وضع اليهود السم للرسول ﷺ ومنها رواية البخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس ورواية الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس ورواية الدارمي في سننه عن أبي هريرة .

(ب) تبرئة اليهود مما نسب إليهم من وضع السم للرسول في الطعام مع أن الروايات تؤكد ما فعلوا باعترافهم .

(جـ) الإيحاء بأن الرسول في هذه الفترة لم يكن معتدل المزاج بل كان عرضة لتقلبات صحية ، وهذا يعني التشكيك في كل ما صدر منه في هذه الفترة من قول أو فعل أو إقرار .

لقد اعترف اليهود صراحة بوضعهم السم للرسول ﷺ ورواية الدارمي في سننه عن أبي هريرة تؤكد هذا (لما فتحنا خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ " أجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود ، فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا نعم ، قال " هل جعلتم في هذه الشاة سماً ؟ " قالوا نعم قال : " ما حملكم

---

(١) قصة الحضارة ج ١٣ ص ٤٦ .

على ذلك ؟ " قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك " [١].

٤- التركيز على كل ما يؤدي إلى تفتيت الأمة الإسلامية ، بإحياء القوميات القديمة ، والنعرات العنصرية ، والخلافات المذهبية .

والعمل على إبراز الحركات الهدامة مثل حركة القرامطة والقاديانية والبهائية واعتبار أمثال هؤلاء (المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي) [٢]، والتشكيك في التراث الفكري الصحيح للمسلمين ، وتضخيم الأخطاء الصغيرة وإبرازها وكأنها أساس الإسلام .

٥- الاعتماد على الوهم والاستنتاج الخاطئ ، فقد توهم ما يوران أهل البدو كانوا يهتمون بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان .

ثم استنتج من ذلك أنه لا يبعد أن يكون النبي ﷺ قد مارس هذا الفن حتى نبغ فيه .

وهو يريد باستنتاجه الخاطئ هذا أن يقول : إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ [٣].

ومن الغريب أن الكثير من المستشرقين يقول بأن القرآن الكريم من صنع محمد ﷺ ومن هؤلاء جورج سيل الذي يجزم بذلك ، ويجزم أيضاً بأنه أي الرسول حصل على معاونة من آخرين .

ولا ندري حقيقة أي منهج يستخدمه سيل ليصل من خلاله إلى هذه القناعة ، اعتقد أنه التعصب والكراهية والافتراء والوهم .

---

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ٣٣ دار الفكر .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ١١٦ دكتور / محمود زقزوق .

(٣) الاستشراق والمستشرقون ص ٤٨ .

يقول سيل (أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن ، والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة) (١).

ويدعي بلاشير (أن فكرة تدوين الوحي لم تنشأ إلا بعد إقامة النبي في المدينة) (٢) .

وما يقوله المستشرق مايور هو من نسج خياله ، وليس معه من دليل واحد يؤكد صحة ما يقول ، وواقع العرب يكذبه : فلقد كانوا بلغاء فصحاء بطبعهم ، ولم يشتغلوا بتعلم البلاغة ، ولم يعرف عن الرسول قط أنه اشتغل بتعلمها أو أنه درس النثر أو كتب فيه ، أو درس الشعر أو ردده ، ولو فعل ذلك لكان العرب أول من يقولون به ، وأول من يقدمون الدليل على أنه شاعر .

وإذا كان البعض منهم مع بدء الإسلام قد ردد في الماضي مثل ما يقوله هذا المستشرق وغيره ، فإن قولهم كان مجرد ترديد لا يقوم على أساس ولا على قناعة ممن يردد ، وإنما بسبب الغيظ المسيطر على قلوبهم والحسد الكامن في داخلهم .

لقد قالوا تشكيكاً في القرآن الكريم أنه أساطير الأولين ، وقالوا إن محمداً ساحر وإنه شاعر ، وإنه يأتي بالقرآن من عند نفسه بمعاونة بعض الناس ، وإن أحد النصارى ساعده على كتابة القرآن الكريم وهو بحيرة الراهب – حكى القرآن الكريم هذه الافتراءات وفندها في أسلوب موجز بليغ ، وأظهر أنها هراء ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٠ .

وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

ويقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢).

لقد كانوا يعرفون أن محمداً أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ويعرفون أنه لم يقرض الشعر أبداً في حياته ، ثم جاءهم محمد ﷺ بالقرآن الكريم ، وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله في البلاغة والفصاحة والبيان . وفي كل ما يتصل بالقرآن من إعجاز ، فعجزوا وهم أصحاب المعلقات .

فلو كان القرآن الكريم من عند محمد ومن تأليفه لاستطاعوا أن يأتوا بما يطالبهم أن يأتوا به ، لأن ما يأتي به إنسان من عند نفسه مهما بلغت قدراته ، يستطيع إنسان آخر أن يكون نداً له ، أما إذا كان الأمر من عند الله ، فلا أحد يستطيع أن يدخل في دائرة التحدي .

ولقد حاول مشركوا قريش البلغاء الفصحاء أن يقابلوا التحدي بمثله . لكنهم باءوا بالخسران .

وعلم الكثير منهم أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه ، فأعلنوا إيمانهم .

أما من جمد عقله مثل مايور وجورج سيل وبلاشير ، فبقي على عناده وكذبه يردد الافتراءات دون أي دليل .

---

(١) سورة الفرقان الآيات من : ٤ – ٦ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٣ .

أما عن أدعاء بلاشير فإن وهمه يدفعه إلى تجاهل ما هو ثابت عند الثقات من أن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فيقرؤها بعد نزولها مباشرة على الصحابة الأطهار فمنهم من كان يحفظها ومنهم من كان يكتبها ، ومنهم من كان يجمع بين الأمرين .

ولقد أخذ ﷺ منذ بدء نزول القرآن إلى أن تم النزول كتاباً للوحي في مقدمتهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وعمرو بن العاص وأبي بن كعب .

٦- اختيار ما يرونه محققاً لأغراضهم وما يتمشى مع هو أهم وإسقاط ما عداه مثال ذلك ما قام به المستشرق جاستون فيت في كتابه " مجد الإسلام " فقد عرض تاريخ الإسلام من خلال صفحات اختارها بهواه من أقوال المؤرخين .

ولما كان يتعصب منذ البدء لمسيحيته ، ويحقد على الإسلام ، فقد اختار النصوص التي تتمشى مع رغبته ، وتظهر عداءه ، وكراهيته للإسلام والمسلمين [١].

٧- التمسك بتفسير محدد لبعض الألفاظ العربية ، بهدف إظهار الإسلام بصورة الدين الذي يشجع على العنصرية ، وغرس العداء بين العرب المسلمين الفاتحين والأعاجم الداخلين في الإسلام ، مثل تفسير بروكلمان في كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " لكلمة " الرعية " بأنها تعني القطيع ، وانصرافه عن المعاني اللغوية الأخرى التي للكلمة حتى يتمكن من إظهار العرب بأنهم قوم متعالون متميدون على الغير . بينما الغير هذا من الأعاجم هم قطيع من الأغنام .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٧٨ د / محمود زقزوق .

يقول بروكلمان (وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي القطيع ، وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان مألوفاً حتى عند الآشوريين) (١).

وتفسيره للرعية بأنهم القطيع هو أحد التفسيرات الموجودة بالمعاجم اللغوية ، وقد أغفل عن عمد بقية التفسيرات والتي منها كما في لسان العرب لابن منظور ، الرعية أي العامة ، والراعي أي الوالي ، وكل من ولى أمر قوم فهو راعيهم وهم رعيته ، وفي الصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، الرعي كل ولي أمر قوم ، والقوم رعية وراعيته ، ومن معاني الراعي الحافظ والقائم بالأمر .

وعلى هذا فإن اللفظة تتسع لتشمل معاني متعددة ، وقصرها على معنى القطيع تحكم لا معنى له ، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد .

والإسلام حينما أطلق اللفظة أراد بالرعية القوم لا الأغنام ، وبالراعي الوالي والحاكم والقائم بأمر الناس والحافظ لشئونهم لا راعي الغنم .

يروي البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قوله : " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وينسى بروكلمان أن منطق الإسلام هو المساواة بين الناس جميعاً ، لا فرق بين عربي وأعجمي ، ولا فرق بين أسود وأبيض ، فالكل أبناء آدم ، وآدم مخلوق من تراب – وميزان الحق بين الجميع هو التقوى يقول سبحانه

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ٤٦ نقلاً عن تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان .

وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

لقد جمع الإسلام بين العرب والفرس والهنود والأتراك وغيرهم من جميع بقاع العالم – كما جمع بين أشراف قريش كأبي بكر وعمر وعلي وعثمان ، ووضع في صفهم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي ولا يعرف عن الإسلام أنه فرق بين مسلم وآخر وإنما جعل الجميع أخوة يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

٨- تعمد إسقاط أجزاء كاملة من النص الديني ، بهدف إعطاء صورة مبتورة مشوهة عن شخص الرسول ﷺ ، وذلك مثل تعمد المستشرق سرجليوت ذكر حديث لرسول الله ﷺ الآتي بهذه الطريقة يقول عليه السلام (إنما حبب إلي من الدنيا النساء والطيب) وبقية الحديث (وجعلت قرة عيني في الصلاة) فهو يذكر القسم الأول فقط ويتجاهل القسم الثاني من الحديث ، حتى يظهر للقارئ صورة مشوهة لشخص الرسول تتمثل في شغفه بالطيب والنساء أي في اهتمامه بالدنيا دون الآخرة (٣) .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٠ .

(٣) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٤٣ أنور الجندي والحديث ذكره أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ١٢٨ عن أنس وذكره النسائي في سننه كتاب عشرة النساء وقيل إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحيي من ذكره ، وقيل زيادة في الابتلاء في حقه حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة .

٩- الكذب على الإسلام ، والإدعاء بأنه لم ينتشر إلا بالسيف ، وأن حركة السيف في الإسلام كانت حركة همجية متوحشة لم تراع حرمة لطفل أو شيخ هرم أو امرأة ، كما أنها دمرت الزرع والضرع .

يقول المونيسنيور كولي في كتابه " البحث عن الدين الحق " (في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين أتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق . ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب) [١].

ويقول و . س . نلسون (وأخضع سيف الإسلام أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب) [٢].

ولا نريد أن نستطرد كثيراً في مناقشة هذه الدعوى فواقع المسلمين منذ بعثة محمد ﷺ وحتى يومنا هذا يؤكد أنها دعوى باطلة أساسها الحقد والكراهية والتعصب ضد الإسلام .

ونضع فقط بعض النقاط على الحروف لتستبين الحقيقة .

(أ) الإسلام في جوهره دين عقلاني مبني على التدبر والتفكر والإقناع والاقتناع .

(ب) ما بعث محمد ﷺ إلا مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وما جاء إلا رحمة للعالمين .

والعقلانية والرحمة لا يتفقان مع الإكراه والتسلط .

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٢٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٢٩ .

(جـ) إن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام ديناً دموياً ولو كان لما وصل إلينا ، لقد كانت سماحته ومرونة تعاليمه وثبات عقائده وقيمه العليا هي السبب المباشر في انتشاره .

(د) وبناء على ما سبق نبين أن الإسلام لم يحمل السيف رغبة في الانتشار أو تعطشاً للدماء أو من أجل استغلال ثروات الشعوب أو من أجل إكراه الناس على اعتناقه يقول تعالى ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ويقول عز وجل لرسوله ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ (٢).

ويبين سبحانه وتعالى أن إيمان الناس واقع كأي شيء تحت قدرته وبمشيئته يقول عز وجل ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

لقد حمل الإسلام السيف دفاعاً عن نفسه وتأميناً له من الهجمات الشرسة التي توجه إليه من الأعداء .

ولسنا بحاجة لبيان ما تعرض له الرسول ﷺ من ضغط نفسي وإيذاء جسماني ليترك دينه ويبتعد عما يدعو إليه .

ولقد تعرض المؤمنون أتباعه ﷺ لمثل ما تعرض له وحوصروا وجوعوا لكي يتركوا ما هم عليه من إيمان بمحمد ورب محمد ، واضطرتهم

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الغاشية الآيتان : ٢١ – ٢٢ .

(٣) سورة يونس الآية : ٩٩ .

الضغوط العدائية للهجرة من بلدهم الأمين مكة المكرمة إلى الحبشة ومرة ثانية إلى المدينة المنورة .

والذين يدعون أن الإسلام انتشر بالسيف يستشهدون بغزوات الرسول ﷺ .

ونحن نطالبهم بالتخلي عن الإلف والعادة والهوى والتعصب ونطالبهم أن يعودوا لدراسة تاريخ الإسلام وبخاصة الغزوات بتجرد كامل وأن يعيشوا مع القرآن الكريم والسنة المطهرة بحياد العالم المدقق .

ولسوف تطالعهم الحقيقة المشرقة التي تقول ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ (١) ، وتقول ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ (٢)، وتقول ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣).

وامتداداً لهذه الحقيقة نجد القرآن الكريم يقول ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (٤).

ويقول ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٥).

وانطلاقاً من هذه الحقيقة يبني الإسلام علاقته مع جيرانه على المحبة والسلام والتعارف والتآلف والتسامح والاحترام المتبادل .

ويحاول أن يوجه للقيم العليا ولكل ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٩٩ .

(٢) سورة فاطر الآية : ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٥) سور الكهف الآية : ٢٩ .

فإن رضي الجار بهذه المعاني السامية عاش الجميع في وئام وتعاون يظلهم الإطار العام الذي يقول ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (١).

أما إذا عمل هذا الجار على المناوئة والعداء وبث الفتن والتدبير للاعتداء على المسلمين ، فإن الإسلام لكي يأمن شره يدخل معه في معاهدات ليحافظ كل جار على جاره ، ومعاهدات الرسول ﷺ مع بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وغيرهم خير شاهد على ما نقول .

فإن استمر الجار في محاولة العدوان والاندفاع بالكراهية لتفتيت الصفوف وقهر الدعوة الإسلامية ، فإن الإسلام يتحرك دفاعاً عن نفسه وتأميناً لمستقبله .

ولا تعني حركته حمل السيف مباشرة ، وإنما تبدأ هذه الحركة بدعوة هذا الجار المناوئ إلى الدخول في الإسلام ، فإن أبى فعليه أن يدفع الجزية ، ليكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

فالمسلمون يدفعون الزكاة لبيت المال وتقوم الدولة الإسلامية بحمايتهم وتوفير الأمن لهم .

أما الجار المناوئ فإنه يدفع الجزية وهي أقل بكثير من الزكاة ، وبها يحافظ على نفسه وتوفر له الدولة الإسلامية كل الظروف التي تجعله يمارس حياته بما فيها عباداته الخاصة بحرية مطلقة .

فإن أبى هذا الجار المشاكس الدخول في الإسلام ، وأبى في نفس الوقت دفع الجزية ، فإن معنى هذا إصراره على معاداة الإسلام والمسلمين وتفكيره في القضاء على القيم الإسلامية .

---

(١) سورة الكافرون الآية : ٦ .

وهذه المراحل الثلاث الدعوة إلى الإسلام أو دفع الجزية ثم حمل السيف يعترف بها صراحة المستشرق ول ديورانت رغم تهجمه الواضح على الإسلام في كثير من كتاباته يقول (ولم يكن الأعداء يخيرون بين الإسلام والسيف بل كان الخيار بين الإسلام والجزية والسيف) (١).

وهنا يحمل الإسلام السيف ليرد الهجمات الموجهة إليه وإلى قيمه السامية وليبعد الفتنة عن نفسه يقول سبحانه وتعالى ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢).

وعلى هذا فإن الإسلام لم يحارب لمجرد الحرب أو ليفرض نفسه بالإكراه على غيره ، ولم يحارب لقهر الناس واستعبادهم واستغلال ثرواتهم .

وإنما حمل السيف ليدافع عن نفسه وعن المقهورين تحت سيطرة الدول الباغية وليؤمن طريقه .

ونذكر أمثلة تطبيقية من واقع الإسلام تؤكد هذا الكلام :

(أ) قبل غزوة بدر تعرض المسلمون الأوائل مع رسولهم ﷺ للتعذيب والتشريد والتجويع والمقاطعة ، ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم قالوا ربنا الله ، حتى اضطروا إلى الهجرة تاركين كل شيء .

ولم يقنع المشركون بذلك بل راحوا يطاردونهم في كل مكان ، ويعدون العدة للقضاء عليهم وقد انتهزوا فرصة تعرض بعض المسلمين لعير قريش

---

(١) قصة الحضارة ج ١٣ ص ٧٣ .

(٢) سورة الممتحنة الآيتان : ٨ ، ٩ .

لاسترداد بعض الأموال التي اغتصبت منهم ، فانقضوا بعد أن جهزوا جيوشهم لكن الله نصر جنده المسلمين رغم قلة عددهم وعتادهم [١].

(ب) في غزوة أحد عاد المشركون لينتقموا لقتلاهم وليأخذوا بالثأر من المسلمين بعد الهزيمة التي لحقتهم في بدر يقول بن هشام (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع جمعهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، أن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا) [٢].

(جـ) ولقد حارب المسلمون بني قينقاع – وهم يهود المدينة – لنقضهم العهد مع الرسول وهتكهم حرمة القيم الإسلامية بالاعتداء على سيدة مسلمة يقول ابن هشام قال ابن إسحاق (إن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد) [٣].

ويقول أيضاً إن امرأة مسلمة قدمت لصائغ في سوق بني قينقاع لتبيع شيئا فحاولوا – أي اليهود – إقناعها بكشف وجهها ولما أبت عقد الصائغ دون علمها طرف ثوبها في ظهرها وحينا قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها [٤].

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٨٢ وما بعدها .

(٢) السيرة ج ٢ ص ١٤ .

(٣) نفس المرجع ج ٣ ص ٥ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ٥ .

ولقد أثار هذا الموقف حمية بعض المسلمين وكان من أهم أسباب الغزوة .

(د) أما بنو النضير فقد تآمروا على قتله ﷺ بإلقاء صخرة عليه وهو في ديارهم ونقضوا العهد مع الرسول والمسلمين ، فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة المنورة بسبب ذلك [١].

(هـ) ولقد كانت دومة الجندل بسبب تفكير القبائل هناك في الإغارة على المدينة المنورة للقضاء على المسلمين .

فقد جاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ بأن القبائل حول دومة الجندل تتحرك صوب المدينة وتنهب كل شيء في طريقها وهي تفكر في مهاجمة المدينة ، فخرج إليهم الرسول ﷺ على رأس جيش من المسلمين وأجبرهم على الفرار [٢].

(و) وكانت غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة بسبب مساعدة القوم للمشركين وتجميع الجموع ضد الرسول ﷺ والمسلمين ، فقد بلغ الرسول – عليه السلام – أن الحارس بن ضرار سيد بني المصطلق قبل إسلامه جمع لحرب الرسول من قدر عليه من قومه ومن العرب [٣].

(ز) ولقد تحزب اليهود مع المشركين في عداء سافر وخروج غادر لحرب المسلمين فكانت غزوة الأحزاب أو الخندق والتي كان من نتائجها القضاء بعد انتهائها على يهود بني قريظة لنقدهم العهد [٤].

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٠٨ .

(٢) فقه السيرة ص ٣٠٦ الشيخ محمد الغزالي – عالم المعرفة .

(٣) السيرة الحلبية م ٢ ص ٥٨٣ علي بن برهان الحلبي دار المعرفة .

(٤) راجع السيرة النبوية ج ٣ ص ١٢٧ ، والسيرة الحلبية م ٢ ص ٦٢٨ ، ص٦٥٧ .

(ح) وكانت غزوة مؤته بسبب تعرض شرحبيل بن عرمر للحارث ابن عمير رسول رسول الله ﷺ وقتله واستمرار عدائه للمسلمين (١).

(ط) وكان السبب المباشر لغزوة خيبر أن أهلها كانوا من أشد المحرضين للمشركين وأكثرهم تدبيراً للمكائد ضد الإسلام .

(ي) أما حرب فارس فلما ارتكبه كسرى بتمزيقه كتاب رسول الله ، ثم كتابته لأميره باليمن قائلاً : بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه ليكتب إلي الكتاب وهو عبدي .

وحينما علم الرسول ﷺ بما فعله كسرى قال : مزق كتابي اللهم مزق ملكه كل ممزق ثم نظر إلى أصحابه قائلاً : أما أنكم ستملكون أرضه .

وقد تحقق ما قاله الرسول ﷺ بخروج جيش المسلمين لقتال فارس وانتصارهم على الظلم والعدوان .

عن جابر بن سمرة – رضي الله عنهما – أنه ﷺ قال : " لتفتحن عصابة من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الأبيض فكنت أنا وأبي فيهم " (٢).

(ك) وكانت غزوة تبوك لما بلغ المسلمون أن الروم جمعت الجموع لحربهم والقضاء على الإسلام ، وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة لقد (رأى الروم أن يعيدوا الكرة فيضربوا الإسلام في شبه الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء ، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع

---

(١) راجع السيرة النبوية ج ٤ ص ٧ ، وفقه السيرة ص ٣٩٥ .

(٢) راجع السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩١ وما بعدها .

التسرب منها ... وترامت إلى النبي ﷺ في المدينة أنباء هذا الإعداد الماكر ... فلم ير بداً من استنفار المسلمين لملاقاة هذا العدوان المبين) [١].

وبعد هذه النماذج يلزم كل من يتصور أن الإسلام انتشر بالسيف ، أن يعود بعقلانية وتجرد لدراسة الحرب في الإسلام ، حتى يتأكد بنفسه أن قوله لا ينبني على أي أساس صحيح ، بل الأساس هو الوهم والتعصب والخيال الجامح .

فالإسلام في حقيقته دين السلام والعقل وليس دين الحرب والإكراه والجمود .

وهو في الحقيقة يدعو المسلمين إلى إعداد القوة لا للعدوان على الغير ، وإنما لإرهاب الذين يفكرون في العدوان ، ومع دعوته للإعداد فإنه يطالب المسلم بمسالمة من يسالمه يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ [٢].

ويكفي أن نذكر الموقف التالي لرسول الله ﷺ الذي يؤكد حرص رسول الإسلام على المسالمة ، وحقن الدماء ، مع توفر القدرة والدواعي على شن الحرب لتأديب العدو .

ويتلخص الموقف في موافقته ﷺ على صلح الحديبية رغم الشروط القاسية التي وضعها الأعداء ، وأسلوبهم المتعنت في كتابة وثيقة الصلح .

أتى سهل بن عمرو وهو من المشركين إلى رسول الله ﷺ يعرض الصلح فدعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ليكتب الوثيقة ، وقال – عليه

---

(١) راجع فقه السيرة ص ٤٣٦ الشيخ محمد الغزالي .

(٢) سورة الأنفال من الآية : ٦١ .

السلام – لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فاعترض سهيل قائلاً : لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم .

فنزل الرسول – عليه السلام – لكلام سهيل ، ثم قال الرسول هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

فقال الرسول الكريم لعلي اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .

لقد كان من الممكن لو أن الإسلام يميل لسفك الدماء ، ألا يقبل الرسول ﷺ هذا الأسلوب من سهيل ، وينهي الصلح من بدايته وبخاصة أنه الجانب الأقوى .

وورد ضمن شروط الصلح أن من أتى محمداً من قريش فعلى محمد أن يرده ، ومن أتى من المسلمين قريشاً ، فلا يلتزم القرشيون برده .

ورغم الإجحاف الشديد في هذا الشرط ، فإن الرسول الكريم ﷺ قبله حفاظاً على أمن الناس وحقناً للدماء [١].

وعن حروب الردة فإن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – ، رأى أن الإسلام طالما أنه لا يكره أحداً على الدخول فيه ، فإن من دخله يجب أن يلتزم به حتى لا يؤدي خروجه إلى فتنة ، كما رأى أن حركة الردة هي حركة تستهدف التشكيك في الإسلام والعمل على القضاء عليها ، وأنها سابقة خطيرة لم تنشأ من فراغ ، وإنما وراءها الكثير من المشركين والمنافقين واليهود .

---

(١) راجع السيرة الحلبية م ٢ ص ٧٠٦ وما بعدها ، وفقه السيرة ص ٣٦٠ .

لقد تصور الذين في قلوبهم مرض أنه بموت محمد ﷺ مات الإسلام ، وعليهم أن يتحركوا بسرعة ليأخذوا بزمام الأمر وليعيدوا الناس إلى ما كانوا عليه من تيه وضلال وفساد عقدي وأخلاقي .

وراح هؤلاء يجسون النبض فمنعوا الزكاة ، وحرض بعضهم بعضاً في محاولة للتجمع ضد الإسلام .

وادعى طليحة الأسدي نبوة كاذبة وتبعته بعض القبائل بغبار حسداً ، وكذلك ادعت امرأة متنطعة اسمها سجاح النبوة .

ثم ادعى من أهل اليمامة كذاب كبير وهو مسيلمة النبوة ، وتبعه أيضاً عدد كبير ، وتكون من أتباع هؤلاء المدعين الكذبة جيش كبير تعدى العشرة آلاف .

وكان لابد من وقفة من أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – .

فالقضية ليست قضية ارتداد نفر عن الإسلام أو منعهم للزكاة .

وإنماهي فتنة وعصيان وتمرد ، يراد به القضاء على الإسلام والمسلمين .

ولهذا لم يتردد الصديق في الخروج للدفاع عن الإسلام ، ورد كيد المفسدين إلى نحورهم ، فإذا سكنت الفتنة وأمن الناس على أنفسهم من شرها ، وتيقن الجميع أن دين الله لا يهادن من يعاديه أو يتلاعب به ، ترك كل شخص ودينه .

إن الإسلام يعطي العهود والمواثيق لأهل الذمة ، ويحافظ دوماً على عهوده ومواثيقه .

وهو إذ يفعل هذا يعتبر نقض العهد عدواناً عليه ، كما يعتبر الارتداد عنه عدواناً موجهاً إلى كل المسلمين .

وحركة السيف في الإسلام لا تكون إلا للضرورة ، رداً للعدوان الموجه إليه ، أو تأميناً لطريقه من العدوان المبيت له .

وهي دوماً حركة أخلاقية يقول سبحانه ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) ، ويقول عز وجل ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

إنني أطالب في نهاية هذه الوقفة التي طالت رغماً عني – كل مستشرق ادعى أو يدعي أن الإسلام انتشر بالسيف ، وادعى أن حركة السيف في الإسلام حركة همجية متوحشة لا تبقي ولا تذر .

أطالبه بالتخلي عن الألف والتعصب والهوى والجمود ، والنظر بعقل متجرد في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ الإسلامي ، ومقارنة ما يخرج به بالحروب الصليبية ، وبما يفعله اليهود عبر تاريخهم الطويل بالبشرية ، بل بما حدث بالأمس القريب في الحرب العالمية الأولى والثانية من أمم تدعي أنها تحافظ على إنسانية الإنسان .

وأطالبه وهو يقارن أن يضع أمامه هذه الوصية التي انقلها من كتاب لمستشرق شغب كثيراً على الإسلام أنه كتب وصية أبي بكر الصديق لجيوشه وهو في شيء من الدهشة .

يقول ول ديورانت عن جيوش المسلمين (ولكنهم لم يكونوا في حروبهم همجاً متوحشين – انظر إلى ما أوصاهم به أبو بكر " أوصيكم بعشر فاحفظوها مني ولا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٩٤ .

طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان من الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون قوماً قد محضوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله " (١).

ولا تعليق لي فهي شهادة للإسلام وحركة السيف فيه من مستشرق معاد للإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ .

اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، سبحانك ما أعظم شأنك ، تباركت في علاك ، لا معبود سواك .

والحمد لله أولاً وآخراً .

---

(١) قصة الحضارة ج ١٣ ص ٧٢ – ٧٣ .

البعـــد البهائي

جذور البهائية

تعتبر الشيخية والرشتية المدخل الرئيس للبابية ، كمـــا تعتبـــر البابيـــة المدخل الرئيس للبهائية .

ولهذا يلزمنا لكي نتحدث عن البهائية كنحلة أو طائفة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ، الرجوع للوراء قليلاً لنتعرف على الشيخية والرشتية ثم البابية بإيجاز شديد .

أ- نسبة الشيخية :

تنسب الشيخية إلى أحمد بن زين الدين بن إبـــراهيم الإحســـائي ولـــد بالمطير سنة ١١٦٦ هـــ وتوفى ١٢٤١ هـــ والمطيـــر قريـــة مـــن قـــرى الإحساء ، ويقال أنه دفن بالبقيع بالمدينة المنورة .

وهو شيعي ينتمي إلى الشيعة الإمامية الأثنى عشرية . ويقول بمثل مـــا يقولون من عصمة الأئمة ، وأن الإمامة في علي بن أبي طالب بالنص مـــن الرسول ﷺ ، ثم كل إمام ينص على الذي يليه إلى الإمام الثاني عشر الغائب غيبة كبرى في سرداب بسر من رأى بالعراق ، ويقولون أيضاً بأنه لا يصح إمامة المفضول مع وجود الأفضـــل ، وأن الأئمـــة يعلمـــون القبـــب وأنهـــم سيرجعون وأول من يرجع منهم هو محمد المهدي بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر ليقضي على الظلم وينشر العدل ويمهد الطريـــق لعـــودة الأئمـــة الباقين بدءاً بعلي ابن أبي طالب وانتهاء بالحسين العسكري الإمـــام الحـــادي عشر .

وأنه يجب على كل شيعي أن يلزم التقية أي يخالط الناس بالبرانية ويخالفهم بالجوانية ولا يظهر إلا بعد رجوع الإمام الغائب إلى أخر ما يقولون [١].

ومع أن انتماءه العقدي إلى الإثنى عشرية إلا أنه انفرد بعد ذلك بالتسمية باسم المذهب الشيخي أو الشيخية ، والسبب في هذا مغالاته في بعض الأقوال ، وتأييده لما يقول بالرجوع إلى التفاسير الباطنية .

من ذلك زعمه بأن العلة في خلق جميع المخلوقات هم الأئمة لأن الله سبحانه وتعالى خلقها من أجلهم .

وأن محمداً ﷺ خلق من نور الله تعالى ، وهذا النور عقل واحد ظهر في محمد ﷺ ، ثم يظهر في علي فالحسن فالحسين [٢]. والشيخية يقولون أن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء قبل محمد ﷺ تجلياً ضعيفاً ، ثم تجلت تجلياً أقوى في محمد ﷺ والأئمة الإثنى عشرية ثم اختفت زهاء الفاسته وتجلت في الشيخ أحمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي " [٣].

---

(١) راجع الشيعة بين الاعتدال والغلو – القسم الأول المعتدلون – د / محمد الأنور ط ثانية ٢٠٠٦ م .

(٢) حقيقة البابية والبهائية ص ٤٥ وما بعدها د / محسن عبد الحميد المكتب الإسلامي ط ثانية ١٣٩٤ هـ .

(٣) حقيقة البابية والبهائية ص ٤٥ وما بعدها د / محسن عبد الحميد المكتب الإسلامي ط ثانية ١٣٩٤ هـ .

والشيخ أحمد الإحسائي كان يبشر بقرب مجيء المهدي المنتظر ويكثر من ترديد القول بالمجيء في أماكن مختلفة وفي كل الأوقات مما دفع النـاس للاعتقاد بأن زمن المجيء ليس ببعيد (١).

ب- الرشتية :

فإذا تركنا أحمد الإحسائي ومذهبه المعروف بالشيخية ، وجدنا أنفسنا مع الرشتية والتي تنسب إلى كاظم الرشتي التلميذ الوفي للإحسائي . وقد ولد سنة ١٢٠٥ هـ في بلدة رشت بإيران وتوفي سنة ١٢٥٩ هـ .

وقد تبنى الرشتي فكر أستاذه ، وعمل على نشره وتبيينه بين القوم .

ثم سار بفكرة قرب مجيء المهدي المنتظر خطوة إلى الأمام حيث لـم يكتف بقول شيخه بقرب زمن مجيئه ، بل قال بحلول زمن مجيئـه ، وفـرق كبير بين قرب المجيء وحلول زمن المجيء ، ثم راح يـوحي للقـوم بأنـه موجود بينهم ، وشجع علي محمد الشيرازي الذي كان قـد التحـق بالتلمـذة عليه ، شجعه على الإدعاء بأنه المهدي المنتظر ، حيث راح يقول له ويقـول لمريديه أن أوصاف المهدي المنتظر تنطبق كل الانطباق على الشـيرازي ، ولم يكتف بتحديد المهدي ، والقول بانطباق كل الأوصاف عليه ، بـل أخـذ

---

(١) وقضية المهدي المنتظر أو المسيح المنتظر أو المهدي الموعود اخترعها اليهود فهـم ينتظرون المسيح الذي يحقق لهم الغلبة على كل البشر ويقيم دولة داود التي تحكـم العالم من أورشاليم (القدس) . وقال الزرادشتيون بها حيث ينتظرون موعـودهم بهرام شاه الذي يعيد قيادتهم للعالم ، والشيعة وبالـذات الإثنـى عشـرية يقولـون بالمهدي القائم أو المنتظر ، ويتمسك بعض أهل السنة بمهدي سـيأتي فـي أخـر الزمان ، ونحن نوافقهم إذا وجد نص صحيح وصريح بهذا أما إذا لم يوجد فرأينـا يختلف تماماً .

يعامله باحترام زائد يصل إلى التقديس ، مما دفع القوم للانخداع والسقوط أو التصديق بما يقوله الرشتي .

جـ- الشيرازي يعلن أنه الباب :

ونسى علي محمد الشيرازي أن كل ما يحدث هو تمثيل سخيف أو تناسى ، وانساق لإيحاء أستاذه الرشتي ، وأعلن أنه الباب الموصل للمهدي المنتظر ، وأن صديقه البشروتي الذي كان أول من تبعه في دعواه هو باب الباب أي المدخل إلى المدخل إلى المهدي المنتظر .

د- علي الشيرازي والأفكار :

وعلي محمد الشيرازي هذا الذي لقب نفسه بالباب ولقبت نحلته بالبابية ، ولد بشيراز بإيران سنة ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م أو ١٨٢٠ م وأعدم رمياً بالرصاص سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ أو ١٨٥٠ م في عهد الشاه الإيراني ناصر الدين .

لما بلغ العشرين من عمره سفره خاله الذي كان يتولى تربيته إلى العراق ، وهناك تتلمذ على كاظم الرشتي ، وأخذ كثيراً من فكره ، وتأثر به في كل تصرفاته ، واستجاب له حينما أوحى إليه أنه المهدي المنتظر ، وراح يعد نفسه للإعلان عن مهدويته .

ولقد ساعدته قراءاته في الفلسفة والتصوف والمذاهب الشيعية المتعددة وبالذات المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي توغل في القول بالباطن .

كما ساعدته طبيعته الميالة إلى حب الظهور إلى الاستجابة السريعة لإيحاءات الرشتي له ، واستعداد القوم الذين كانوا ينتظرون مهدياً .

ولهذا نراه يعلن دعوته سنة ١٢٦٠ هـ وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاماً .

أدعى أولاً أنه الناطق يعلم الإمام الغائب ، وأنه الباب إليه ، وأنه مصدر الهداية والمعرفة الحقيقية ، وأنه أوتي العلم النوراني للإمام .

ولما كان الرشتي قد مهد لهذا الأمر لهذا نجد القوم يتبعون الشيرازي في دعواه البابية دون أي نقاش ، ودفع هذا الإتباع العشوائي للشيرازي ، وتقديس القوم له إلى التمادي في الدعاوى وتطوير الفكرة فهو ليس الباب إلى المهدي ، بل هو المهدي المنتظر نفسه ، الذي غاب طويلاً غيبة صغرى بدأت سنة ٢٦٠ أو ٢٦٤ هـ وانتهت مع بداية الغيبة الكبرى سنة ٣٢٨ هـ وامتدت لقرابة العشرة قرون .

ثم ادعى أنه نبي ورسول ، والنبوة لم تختم بمحمد ﷺ ، وإنما تتعدد دورات النبوة ، وقد انتهت الدورة الخاصة بمحمد سنة ١٢٦١ هـ - ١٨٤٤ م وتبدأ الدورة الجديدة بالشيرازي بعد التاريخ المذكور لتجدد عبر الأزمنة المتطاولة بعد ذلك وتنتهي بمجيء أنبياء آخرين .

ثم طور دعواه أخيراً ليقول إن الله حل فيه حتى يراه الناس في صورته - أي صورة محمد علي الشيرازي - لأن المعرفة الصحيحة لا تتم إلا برؤيته ، ولكي يراه الناس لابد أن يظهر في صورة إنسان بعد حلوله في هذه الصورة (١).

---

(١) راجع البابية والبهائية ومصادر دراستهما - عباس كاظم مراد ص ٣ ط ١٩٨٢ م - الإرشاد بغداد .

هـ- عقائد مشتركة بين الباب والبهاء :

ومن عقائد الباب والبابية ، والتي قال بها فيما بعد البهاء والبهائية :

- إنكار القيامة وما جاء في وصفها في القرآن الكريم ، والزعم بأن المعني بالقيامة ، قيامة الروح الإلهية في مظهر بشري وهذا المظهر يتمثل هنا في الباب ثم بعده يتمثل في البهاء .
- وأن البعث هو الإيمان بألوهية هذا المظهر أي الباب ثم البهاء .
- وأن لقاء الله يوم القيامة أي لقاء الباب الذي هو علي الشيرازي .
- وأن الجنة تعني الفرح الذي يحس به الإنسان حينما يؤمن بالباب .
- وأن النار هي الحرمان من معرفة الله وتجلياته ومظاهر بشريته .
- والبابيون والبهائيون يقولون مثل ما يقول اليهود بأن المسيح عليه السلام صلب ، ومثل ما يقول النصارى بأنه قتل وصلب وقبر وخرج من قبره والتقى بحواريه .
- كما يقولون بنبوة بوذا وكونفوشيوس وزرادشت وبراهما .
- وهم ينكرون بشدة معجزات الأنبياء ، كما ينكرون القول بوجود الملائكة [١].
- ويقولون بقدسية كتاب البيان للباب وبأفضلية هذا الكتاب على القرآن الكريم ، يقول الباب " وأنا أفضل من محمد ، كما أن كتابي أفضل من قرآن محمد ، وإذا كان محمد يقول بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف كتابي " [٢] أي البيان .

---

(١) راجع البابية والبيانية ص ٣٧ عباس كاظم .

(٢) مفتاح باب الأبواب ص ٢٠ .

قال الباب مخاطباً علماء المسلمين " إن نبيكم لم يخلف بعده إلا القرآن ، فهاكم كتابي البيان فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن الكريم ، وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن " [١].

وقفة قصيرة :

سبحان الله تنزه في علاه ، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ أقول ليس على القارئ العزيز إلا أن يعود إلى كتاب البيان فهو مطبوع بلغات عدة ومنها اللغة العربية ليتعرف بنفسه على الوهاء والتناقض والتراكيب المفتعلة العقيمة ، والسقطات النحوية والإسلامية الكثيرة ، والدعاوى التي لا معنى لها إلا العبث بالقيم الدينية الإسلامية وإهدار قيمة العقل الملتزم به الإنسان .

ولا أريد أن أتوقف كثيراً في هذه النقطة ، فقد أغناني أساتذة أجلاء نقلوا الكثير من النصوص من كتاب البيان بأمانة علمية كاملة ، وبكل نزاهة توقفوا معها بالنقد الجاد الموضوعي الذي لا هدف له إلا معرفة الحق .

وما على القارئ العزيز إلا أن يعود بنفسه قراءة وفهماً لكتاب البيان لعلي محمد الشيرازي المعروف بالباب .

وعلى سبيل الاستئناس يمكنه أن يقرأ كتاب البابية لإحسان إلهي ظهير ليتعرف من خلاله على كتاب البيان وما فيه والنقد الموجه له .

وكذا حقيقة البابية والبهائية للدكتور / محسن عبد الحميد ، وقراءة في وثائق البهائية للدكتورة / عائشة عبد الرحمن ، وسوف يقف بنفسه على ركاكة أسلوب كتاب البيان ، والتخبط في المعاني والتناقض مع كل القيم النبيلة والأديان السماوية .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ص ١١٧ .

- والباب في كتابه البيان الذي قال بأنه ناسخ للقرآن الكريم وأفضل منه تحدث عن الوضوء والسواك وأهميتهما فقال " أنتم بالخلال والمسواك بعدما تفرغون من رزقكم ، أفواهكم تلطفون ، ثم وجوهكم وأيديكم من حيث الكف تغسلون ، إن تريدون أن تصلون ، ثم بمنديل تلطفن وجوهكم وأيديكم ، وتتوضئون على هيكل بماء طيب مثل ورد ، لعلكم بين يدي القيامة بماء الورد والعطر تدخلون ، وأنتم إن تقرأون البسملة - باسم الله الأجل الأقدس - خمس مرات تكفيكم عن وضوئكم ، إذ أنتم الماء لا تجدوه ، ويصعب الأمر عليكم لعلكم تشكرون .

عفواً أيها القارئ العزيز من هذه الركاكة التي تحس بها وتعاني بسببها وأنت تقرأ النص المقتبس من كتاب البيان الذي يدعي مؤلفه أنه أفضل من القرآن الكريم . دعنا نواصل الحديث عن ما في البابية والبهائية من أفكار ومعتقدات مشتركة .

- إن الصلاة عند البابية والبهائية لا هوية لها وربما تأخذ شكلاً مسطحاً وأيما بعد في البهائية . والقبلة هي البيت الذي ولد فيه الباب بشيراز ثم الأماكن الذي يقيم فيها ، وكذا الأمر بالنسبة للبهائية ، واستقر الوضع أخيراً ليكون المكان بفلسطين المحتلة والتي دفن فيها حسين علي المازندراني - البهاء - هي القبلة وهي الحرم المقدس لحج البهائيين .

- والصوم مفروض على كل من بلغ أحد عشر عاماً ، ويظل الفرض عليه إلى أن يبلغ الثانية والأربعين ، فليس عليه أن يصوم بعد ذلك .

وللصائم قبل بدء الصوم ، وعلى مدى خمسة أيام متصلة أن يلهو ويرتع ويعب من المفاسد قبل أن يدخل في صومه .

وللصائم الامتناع كلية عن الأكل والشرب فقط من الفجر إلى المغرب ، أما إذا أراد أن يعاشر زوجته معاشرة جنسية ، وقت الصوم فيحل له ذلك .

ومدة الصوم تسعة عشر يوماً هي فترة الشهر المسمى بالعلاء وهو أخر شهر في السنة عندهم والتي تبلغ تسعة عشر شهراً كل شهر تسعة عشر يوماً . ويتوافق مع بداية شهر الربيع .

والزكاة في البابية نسبة محددة تعطى في آخر العام للمجلس البابي المؤلف من تسعة عشر عضواً .

- وعلى كل بابي أو بهائي أن يتزوج إجبارياً إذا بلغ أحد عشر عاماً .
- والطلاق عندهم تسع عشر طلقة ، وعدة المطلقة تسعة عشر يوماً .
- ويعطى الميراث لسبع أنواع : الولد : الذكر والأنثى بالتساوي ، والزوج والزوجة ، والوالد والوالدة والأخ والأخت والمعلم .
- والبابيون والبهائيون يوجبون دفن موتاهم في قبور من البلور ، وإلباسهم قبل الدفن خاتماً منقوش عليه فقرة من كتاب البيان ، ويحفظ جثمان الميت ويبقى في بيته تسعة عشر يوماً قبل أن يدفن ، وتضاء المصابيح طيلة التسعة عشر يوماً .

يقول البهاء " حكم الله دفن الأموات في البلور أو الأحجار الممتنعة ، أو الأخشاب الصلبة اللطيفة ، ووضع الخواتيم المنقوشة في أصابعهم أنه لهو القدير العليم ، يكتب للرجال ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وكان الله لكل شيء عليماً . وللورقات ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وكان الله على كل شيء قديراً " (١).

---

(١) الأقدس للبهاء ص ١٢٣ وراجع كتاب النبيان لعلي الشيرازي والبهائية تاريخها وعقيدتها ص١٢٨ والبابية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٣٢ ط ١٩٨١ م ط ثانية .

- والعدد ١٩ مقدس عند البابيين والبهائيين ، لأنه في رأيهم يجمع النقطة التي هي الباب ، مع المؤمنين الأوائل بدعواه ، وعددهم سبعة عشر رجلاً وامرأة واحدة وقد سموا بحرف الحي (١).

ومنهم على سبيل المثال : حسين البشروتي ، والذي لقبه الباب بباب الأبواب ، والملا محمد علي البارقوش والميرزا يحيى الملقب بصبح الأزل ، والذي أوصى للباب قبل موته أن يكون وريثاً له في قيادة البابيين ولكن أخاه غير الشقيق والذي ليس من حروف الحي ، حسين علي المازندراني استطاع بالمكر والخديعة وقوة الدهاء اغتصاب زعامة البابية وإقصاء يحيى صبح الأزل .

ثم حولها بعد ذلك إلى نحلة سماها بالبهائية .

ومن حروف الحي أيضاً القزويني ، والملا البزدوي كاتب وحي الباب .

والمرأة الوحيدة هي قرة العين رزين تاج وهي تلك المرأة التي تزعمت الموقف في مؤتمر بدشت ، والذي عقد للمطالبة بإخراج الباب من سجنه ، وهي التي أعلنت أمام المؤتمرين نسخ الشريعة الإسلامية .

وحينما أعدم الباب وبالتحايل صار حسين علي المازندراني على رأس البابية ، ساعدته قرة العين ، وشجعت على إتباعه ، ويقال إنها هي التي أطلقت لقب البهاء أو بهاء الله .

---

(١) جاء في تقديسه أنه حاصل جمع كلمة واحد أو كلمة وجود ، حسب النظام اليهودي في دلالة الأحرف على الأرقام ، فالواو = ٦ . والألف = ١ . والحاء = ٨ . والدال = ٤ والسنة عندهم ١٩ شهراً ، والشهر ١٩ يوماً وجمعية بيت العدل التي تسير شئونهم عدد أعضائها ١٩ شخصاً - راجع بيان للناس ج ٢ ص ٢٧ ط مجمع البحوث الإسلامية .

وقد تم إعدامها بعد فترة وجيزة من ظهور البهاء .

– وإذا كان الباب قد ادعى أن كتابه البيان كتاب مقدس ، فقد ادعى حسين المازندراني البهاء فيما بعد أن كتابيه الإيقان والأقدس كتابان مقدسان .

المؤسس للبهائية

قلنا إن الشيخية والرشتية هما المدخل الرئيس للبابية ، وأن البابية بفكرها ومعتقداتها هي نفسها – فيما بعد – البهائية . مع تطوير بالإضافة والحذف والتغيير والتبديل أحدثه المؤسس للبهائية .

فمن هو إذاً المؤسس ؟

هو الملقب بالبهاء أو بهاء الله ، ولهذا يقال البهائية .

أما اسمه فهو حسين علي بن عباس بزرك المازندراني ولد سنة ١٨١٧ م – ١٢٢٣ هـ وتوفى ١٨٩٢ م – ١٣٠٩ هـ وكان مولده ببلدة نور وهي إحدى ضواحي مازندران بإيران .

أما مدفنه ففي مقبرة يسميها البهائيون بمقبرة البهجة وهم الذين أقاموها لزعيمهم بعكا بفلسطين المحتلة (١).

خالط حسين علي المازندراني الصوفية ، وقرأ بعض كتبهم – وحينما علم بدعوة الباب الشيرازي تعرف على بعض أقواله ، ثم سارع بالانضمام إليه والتلمذة عليه ، ووجد صدراً رحباً في الباب وترحيباً جاداً به .

وكما يقولون : الطيور على أشكالها تقع – فما قال ويقول على الباب وجد قبولاً عند البهاء .

---

(١) راجع البابية والبهائية ص ٣٥ عباس كاظم .

وعمل الأخير بجدية على نشر الأفكار البابية في طهران ومازندران .

ولما أعدم الباب وكان قد أوصى بأن يخلفه في رئاسة البابية يحيى الملقب بصبح أزل ، سارع البهاء بالانقضاض عليه ، وجعل رياسة البابية لشخصه .

" وبعد مؤامرة البابيين على حياة الشاه قبض عليه وأودع السجن لبضعة أشهر .. وبقي في السجن حتى تدخل الصدر الأعظم بضغوط من السفارتين الروسية والبريطانية ، فنفي إلى بغداد في أول يوم من المحرم سنة ١٢٦٩ هـ .... ومن بغداد انتقل إلى السليمانية وعايش الطرق الصوفية ثم عاد إلى بغداد – وبعد مشاورات بين الحكومتين الفارسية والعثمانية صدر القرار بإبعاده إلى أدرنة سنة ١٢٨٠ هـ .

ولما وقع الصدام بينه وبين أخيه صبح أزل قررت الدولتان المذكورتان إبعادهما ... فنفي الميرزا حسين علي مع أتباعه إلى مدينة عكا ، ونفي الميرزا يحيى صبح أزل إلى جزيرة قبرص " (١).

وفي عكا أحس الميرزا حسين علي المازندراني أن الفرصة صالحة ومناسبة للانقضاض على البابية والبدء بالدعوة إلى نفسه حيث قال إنه الموعود الحقيقي ، والمسيح المنتظر وأن الباب علي محمد الشيرازي لم يكن إلا مبشراً بمجيئه ، وأن شريعته تنسخ الكثير من شريعة الباب وأنها لا تتغير إلا بعد ألف سنة وأنه خالف الباب " وقد سمى نفسه البهاء أو بهاء الله وبه عرف أتباعه وهؤلاء يعتقدون بألوهيته ويعلقون في بيوتهم قطعة كتبت عليها – بهاء الله إلهي الأبهى – " (٢).

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ١٤٨ .

(٢) البابية والبهائية ص ٣٥ .

ثقافة البهـــاء :

لقد حرص حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء أو بهاء الله علـى أن تكون ثقافته خليطـاً مـن البوذيـة والزرادشـتية والمزدكيـة والبرهميـة والكونفوشيوسية واليهودية والنصرانية والإسلام والفكر الباطني المنتشر عند الفرق الباطنية التي تقول بالظاهر والباطن وأن الظاهر قشـر غيـر مـراد والباطن هو اللب وهو المراد وهو فكر إسماعيلي قالت به الإسماعيلية الباطنية ومن سار على نهجها مثل القرامطة والبهرة والدروز والنصيرية المنبثقة عن الإثنى عشرية ... إلخ .

كذلك قرأ في الفكر الصوفي وبالذات فكر الذين يقولون بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

وقد ساعده هذا الخليط من الثقافة على تكوين مذهب لا ينتمـي لاتجـاه معين واضح سوى الإلحاد والتناقض والادعاء بأن ما يذهب إليه هو الـوحي الحقيقي الذي ينسخ الإسلام .

" وجعل البهاء الأمر من بعده لنجله الأكبر عباس المسمى عندهم بفيض الله الأعظم – وبعبد البهاء – وقد ولد في طهران سنة ١٢٦٠ هـ ورضع من لبان أبيه ، وعمل جاهداً في نشر دعوته حتى وفاته في ٢٨ ربيع الأول سـنة ١٣٤٠ هـ – ١٩١١ م "[١].

ولما لم يكن لعباس أفندي ابن ذكر فقد أوصى لابن بنته شوقي أفنـدي بتولي أمر الدعوة البهائية ، وقد سماه الأتباع ولي أمر الله ، وسـمى نفسـه الغصن الممتاز وشوقي الرباني وقد توفى سنة ١٩٥٧ م ودفن بلندن[٢].

---

(١) البابية والبهائية ومصادر دراستهما ص ٣٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٣١ .

ووفقاً للشريعة البهائية شكل شوقي أفندي قبل وفاته جماعة اختارها من وجهاء البهائية وسماها بأيادي الله ومهمتها القيام بكل ما يتصل بالبهائية في العالم وفي سنة ١٩٦٢ أسس ما يسمى ببيت العدل البهائي ، وله وحده حق التشريع ومتابعة الفكر البهائي والعمل على نشره في العالم ويعتبر الآن المرجعية الأساسية لكل البهائيين (١).

مؤلفاته :

وللبهاء مؤلفات عدة منها على سبيل المثال :

١- الشيخ طبع في مطبعة السعادة بمصر ١٣٣٨ هـ ونسخة الأصيل كتبت سنة ١٣٠٩ وهي سنة موته .

٢- كتاب افتراءات مجموعة ألواح باللغتين العربية والفارسية .

٣- الكتاب المبين ويشتمل على صورة الهيكل وألواح السلاطين طبع بالعربية .

٤- كلمات مكنونة باللغتين العربية والفارسية نشر في باريس عام ١٩٠٥ .

٥- مجموعة الألواح المباركة طبع بالقاهرة مطبعة السعادة سنة ١٣٣٨ .

٦- نبذة من تعاليم حضرة البهاء طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٣ في ١٦٠ صحيفة ، وقد ضمت نماذج لما يسمونه بالإشراقات والبشارات .

ومن أهم مؤلفاته الأقدس نسخ فيه كما يقول بعض ما جاء من أحكام في كتاب البيان لعلي محمد الشيرازي ، وزعم أن الأحكام التي وردت فيه نزلت من عند الله ، وأن الأحكام التي كانت قبل ذلك لم تعد صالحة للبشرية ، وهذا يعني أن الأحكام المنزلة في الأقدس نسخت كل الأحكام السابقة .

---

(١) راجع البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ص ١٤٦ .

طبع في الهند سنة ١٣٠٨ هـ ، وطبعه ميرزا محمد مهدي في صلب كتابه مفتاح باب الأبواب ، وطبع في بغداد في مطبعة دار الآداب سنة ١٣٤٩ تحقيق المبشر البروتستانتي جذوري إلياس عنابة ، ويقع في ٩٢ صحيفة ، وطبع أيضاً في عكا وفي لندن . وتوجد منه نسخة مخطوطة في قسم المخطوطات بالمؤسسة العامة للآثار والتراث تحت رقم ٢٢١٦ .

وأيضاً من مؤلفاته الهامة الإيقان ويوجد نسخة منه بمكتبة باريس ، وأخرى بالمتحف البريطاني وقد ترجمه كل من دريفوش وحبيب الله الشيرازي ونشر بباريس عام ١٩٠٤ م كما طبع في لندن باللغة الإنجليزية [١].

- بعض مؤلفات عباس أفندي - عبد البهاء - الرجل الأول بعد حسين المازندراني :

١- ألواح وصايا عبد البهاء طبعت في الهند في ٣٢٩ صحيفة .

٢- تاريخ ومبادئ البهائية في محادثات عبد البهاء في لندن وباريس وأمريكا طبعت في القاهرة مطبعة رمسيس في ٣٨ صحيفة .

٣- مكاتيب عبد البهاء المسمى هو الله طبعة في ثلاثة أجزاء في بطرس برج سنة ١٩٠٨ . ثم طبعت بمصر في لجنة الترجمة والنشر البهائية القاهرة مطبعة كردستان العلمية ١٩١٠ م في ٤٨٨ صحيفة ثم طبعة في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٩ .

---

(١) راجع كل ما ورد بالتفصيل عن مؤلفات البهاء وبخاصة الأقدس والإيقان ، والنقد العلمي الجاد لما ورد في بعض هذه المؤلفات ، البابية والبهائية ومصادر دراستهما . عباس كاظم . وحقيقة البابية والبهائية د / محسن عبد الحميد . والبهائية نقد وتحليل - إحسان إلهي ظهير .

٤- النور الإلهي في مفاوضات عبد البهاء طبعت في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

- بعض مؤلفات شوقي أفندي الرجل الأول بعد عباس أفندي والثاني بعد حسين علي المازندراني :

١- الإدارة البهائية يشمل دستور التشكيلات البهائية وهو باللغة الإنجليزية .

٢- دين بهاء الله دين عالمي ترجم عن الإنجليزية وطبع في بغداد سنة ١٩٤٩ م .

٣- نظم بديع يشتمل على سبع رسائل ترجم إلى العربية وطبع في مصر [١].

---

(١) البابية والبهائية ومصادر دراستهما ص ٨٢ وما بعدها .

أسباب ساعدت على نشأة ونمو البابية والبهائية في إيران

١- الجهل بالدين الإسلامي ، وعدم المعرفة الصحيحة بشرائعه وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، وتفشي الأمية العقدية ، والتخبط في أقوال ومعتقدات مجوسية تقول بإلهين إله للخير يسمى يزدان هو خالق النور والملائكة والسماء والأرض ، وإله للشر يسمى أهرمن هو خالق للشياطين والأمراض وكل الشرور وبين الإلهين صراع مستمر .

والقول إن زرادشت نبي أوحى إليه من قبل إله الخير ، وأن العالم ينقسم إلى أخيار وأشرار يتبع القسم الأول يزدان إله الخير ، ويتبع القسم الثاني أهومن إله الشر ، والصراع بين الإلهين والقسمين سينتهي حتماً بانتصار إله الخير وتحول القسمين إلى قسم واحد كله خير والدنيا دار ابتلاء وتكليف للجميع أما الجزاء فيكون بعد الموت .

ومعتقدات يهودية تقول بتجسيم الإله وأنه يظهر في صورة بشرية ، وأنه يأكل ويشرب ويعمل ويستريح وأنه يعلم ويجهل ويخطئ ويندم ويدعو للعنصرية وسفك الدماء ... إلخ .

ومعتقدات نصرانية تقول بالتثليث الأب والإبن وروح القدس وبحلول اللاهوت في الناسوت وبصلب المسيح وقتله وقبره ثم قيامه ولقائه بالتلاميذ والأكل والشرب معهم أي بالعشاء الرباني ... إلخ .

ويمكننا أن نقول إن هذا الجو العام العقدي من أهم أسباب نشأة البابية والبهائية في القرن التاسع عشر .

٢- نظام الحكم في إيران في القرن التاسع عشر ، والذي يتمثل في كسروية تطبق الدكتورية في البلاد بصورة مذهلة ، دكتورية مستبدة تنشر

الخوف وتقضي تماماً على أمن الفرد والجماعة ، وتعمل على نشر الفقر والجهل والبطالة .

وهذا الجو العام المكفهر دفع الإيرانيين دفعاً إلى البحث عن مخلص غائب .

٣- إن الشيعة في إيران يربون الناس تربية عقدية على الإيمان بإمام غائب سوف يرجع يوماً ليكون المخلص للجميع من الشرور وينشر العدل ويقضي تماماً على الظلم وهذا الإمام من آل البيت ، والإثنا عشرية من الشيعة يقولون إن الإمام الغائب الذي سوف يرجع هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الإثنا عشر والإسماعيلية يقولون برجعة إسماعيل أو ولده محمد بن إسماعيل ... إلخ البيئة إذا معدة إعداداً خاصاً لمجيء إمام أو مخلص .

٤- عند الفرس اعتقاد خاص بان نبياً من العجم أي منهم - سوف يأتي يوماً لينسخ شريعة محمد ﷺ ، ويأتي بكتاب غير القرآن الكريم ، وينسب هذا الكلام إلى رجل يسمى يزيد بن أنيسه مؤسس فرقة اليزيدية من الخوارج .

٥- جهل عدد كبير من المشتغلين بالعلوم الدينية بأمور الدين الحقيقية وبمنهج الإسلام وموضوعاته وأهدافه ، واشتغالهم بأمور الدنيا ، صرفهم تماماً عن معرفة المؤمرات التي تحاك للإسلام والمسلمين " وكان من جهل كثير منهم أنهم كانوا يحجمون عن مهاجمة الميرزا - أي حسين علي المازندراني - بدعوى انتسابه لآل البيت ... ويجب أن لا ننسى أن الدول الاستعمارية - وبخاصة في وقتها الإنجليز والروس - ممن وضعوا الخطط للقضاء على الإسلام كانت لهم اليد القوية في دفع هذه الحركة وإمدادها بالمال والسلاح والتمكين لمبادئها في نفوس أعوانها وعملائها " (١).

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ٧٤ د / محسن عبد الحميد .

أركان العقيدة الإسلامية والبهائية

١- أركان الإيمان :

حدد القرآن الكريم والسنة المطهرة الركائز الأساسية للعقيدة الإسلامية وتتلخص في قوله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ (النساء: ٣٦) ، وفي قوله تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (البقرة : ٢٨٦) ، وفي إجابة لرسول الله ﷺ على سؤال جبريل عن الإيمان قال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)[١].

الأركان إذاً محددة في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وبالقدر خيره وشره .

ولسنا بصدد الحديث التفصيلي عن كل ما يتصل بالإيمان ، ولكننا فقط نتناول بإيجاز بعض ما يتصل بالأركان السابقة لنتعرف من خلال الإيجاز على عقيدة البهاء والبهائية وموقفهم من الأركان الإيمانية .

الكفر لغة واصطلاحاً :

ونذكر بأن الكفر في اللغة يعني الستر والتغطية والجحود والتكذيب . وهو في الاصطلاح ، تكذيب النبي ﷺ في ما جاء به من عند ربه ، هو جحود أو إنكار ما يكون به المؤمن مؤمناً .

هو الرفض والتعالي والإباء والاستكبار على ما علم من الدين بالضرورة .

---

(١) ذكره مسلم في صحيحه ك الإيمان ١ / ٣٧ .

ولهذا كان من أنواع الكفر الارتداد عن الدين الصحيح ، والنفاق العقدي أي إبطان الكفر وإظهار الإيمان ، واتخاذ إلهين أو أكثر أي الشرك ، والفسق العقدي أي الإباء والرفض والاستعلاء عن أحكام الشرع ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة : ٣٤ .

وإنكار الصلاة والزكاة والصوم والحج ، والإصرار على تحريم ما أحله الله أو تحليل ما حرمه الله تعالى . وإنكار الإله أصلاً أو القول بحلوله في أي مخلوق من مخلوقاته أو اتحاده به أو أنه يماثل المخلوقات في الذات أو الصفات أو الأفعال . أو إبطان عقائد تتناقض كلية مع أركان الإيمان والإسلام أو إتباع دين حرفت وبدلت أسسه الصحيحة ... إلخ .

الإيمان في اللغة والاصطلاح :

والإيمان في اللغة هو التصديق ، ومحل التصديق القلب لقوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ النحل : ١٠٦ ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ المائدة : ٤١ ، وقوله سبحانه ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات : ١٤ .

ويقول الرسول الكريم ﷺ في دعائه " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " (١).

وهو في الاصطلاح التصديق القلبي الجازم الذي لا يداخله أي شك بأركان الإيمان السابقة مع الإذعان والخضوع التام والطاعة المطلقة .

---

(١) ذكره الترمذي في صحيحه كتاب الدعوات ج ١ ص ٥٣٨ .

بعد هذا الموجز نحيل القارئ العزيز إلى ما ذكرناه سابقاً عن بعض معتقدات الباب والبهاء .

ولنترك الباب علي محمد الشيرازي ولنتوقف قليلاً مع البهاء الحسين علي المازندراني لأنه الأشهر الآن ، وهو التطور الأخير للباب والبابية ، ولأن الباب وضع الأسس ونماها ونشرها البهاء وبالتالي ما ينطبق على البهاء ينطبق بالضرورة على الباب .

الله سبحانه والبهائية :

يدعي البهاء أن الله لا اسم له ، ولا صفة له ولا فعل له – أي أنه في رأيه عدم – ولكي يظهر لابد أن يحل في موجود جسم ، ويكون هذا الموجود هو المظهر له .

وفي دورات متتابعة في الماضي ، كان الأنبياء هم المظهرون للإله ، حيث حل في أجسامهم فهم بشر من ناحية الأنسية وآلهة من ناحية الحلول .

ثم حل في الأئمة الإثنى عشرية ، وحدث نفس الحلول في الباب ، وفي الدورة الأخيرة حل في شخص حسين علي المازندراني ، وهو الحلول الأكمل والأعظم والأظهر – وبالتالي تحول المازندراني من الإنسية إلى الآلهية . هو إذا الإله الأكمل أو المظهر للإله أو بهاء الله .

يقول حسين علي المازندراني (لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله ، ولا في جمالي إلا جماله ، ولا في كينونتي إلا كينونته ، ولا في ذاتي إلا ذاته ، ولا في حركتي إلا حركته ، ولا في سكوني إلا سكونه ، ولا في قلمي إلا قلم العزيز المحمود ، قل لم يكن في نفسي إلا الحق ، ولا يرى في ذاتي إلا الله) (١).

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد لاسلمنت ص ٥٠ وانظر البهائية لإحسان إلهي ظهير ص٧٣ .

ويقول (يا ملأ الإنشاء ، اسمعوا نداء مالك الأسماء إنه ينـاديكم مـن شطر سبحته الأعظم أن لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المتسخر المتعال العلـيم الحكيم لا إله إلا هو المقتدر على العالمين) (١).

ويقول البهاء (يا قوم طهروا قلوبكم ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارئكم في هذا القميص المقدس اللميع) (٢).

ويقول عن يوم ظهوره (هذا يوم لو أدركه محمد ﷺ لقال قد عرفناك يا مقصود المرسلين ، ولو أدركه الخليل لوضع جبهته على التراب خاضـعاً لله ربك ويقول قد اطمأن قلبي يا إله من في ملكوت السموات والأرضين) (٣).

البهاء إذا يدعي إنه هو الله تعالى لأن الله كما يقول حل فيـه الحلـول الأخير ، هو المظهر لله وما كان لله أن يرى أو يعرف إلا من خلال حلولـه تعالى في شخصه .

٥- فكرة الحلول فكرة قديمة :

وفكرة حلول الله أو اللاهوت في الناسوت ليعرف اللاهوت من خـلال الناسوت ، أو ليعرف الله ويتفاعل ويؤثر في الوجود من خلال حلولـه فـي الناسوت موجودة في الفكر البشري من زمن قديم .

وأقرب الأمثلة لنا ما يقوله النصارى بحلول الله في جسد المسيح عيسى بن مريم وبالتالي تحول بهذا الحلول الناسوت الـذي هـو عيسـى - عليـه السلام - إلى اللاهوت الذي هو الإله .

---

(١) الأقدس للمازندراني الفقرة ٢٨٢ وانظر البابية والبهائية ص ٤١ .

(٢) مبين ص ٣٠ .

(٣) الأقدس للمازندراني وانظر البهائية لظهير ص ٧٢ .

والفكرة نفسها قال بها عبد الله بن سبأ حين ادعى أن الله تعالى حل في علي – رضي الله عنه – وبالتالي تحول علي من إنسان إلى إله وحينما قتل علي – رضي الله عنه – قال ابن سبأ إن الإله لا يموت وقال لمن نعى علياً كذبت يا عبد الله ولو جئتنا بدمائه في سبعين جرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك [١].

وقال بها محمد بن نصير النميري المتوفى سنة ٢٧٠ هـ والتي تنسب إليه فرقة النصيرية وهي من فرق غلاة الشيعة وتقول مثل ما يقول النصيري إن الله تعالى حل في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وبهذا الحلول تحول علي من الناسوت إلى اللاهوت [٢].

وقال محمد بن إسماعيل الدرزي المتوفى سنة ٤١٠ وحمزة الزوزني المتوفى سنة ٤٣٠ بألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي المتوفى سنة ٤١١ لأن الله حل فيه [٣].

وقال بفكرة حلول اللاهوت في الناسوت بعض المتصوفة في الإسلام مثل الحسين بن منصور الحلاج والذي أعدم نتيجة لأفكاره هذه سنة ٣٠٨ هـ .

فقد كان يعتقد أن الله حل فيه ويقول بناء على هذا الحلول (أنا الحق) ، (وما في الجبة غير الله) .

ومن أشعاره التي تؤكد قوله وإيمانه بالحلول :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

---

(١) راجع فرق الشيعة للنوبجتي ص ٣٢ .

(٢) راجع الشيعة بين الاعتدال والغلو د / محمد الأنور ص ٢٤٣ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٣٢ .

فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

ومنها :

مزجت روحك بروحي كما
تمزج الخمرة بالماء الزلال
وإذا مسك شيء مسني
فإذا أنت أنا في كل حال

يقول محب الدين الخطيب موضحاً تأليه البهائية لبهاء حسين علي المازندراني (استقرت عقيدة البهائيين كما مررها لهم البهاء حسين علي المازندراني في ألواحه ووحيه وكما فسرها رعاية في كتبهم ونشراتهم على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف لله من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص مختارين من البشر قديماً وحديثاً ، هم مظاهر أمر الله ، ومهابط وحيه في زعمهم ، وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة في مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندراني الذي لقب نفسه بهاء الله ، فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل وهو الموعود ، ومجيئه الساعة الكبرى ، وقيامه القيامة ، ورسالته البعث ، والانتماء إليه الجنة ، ومخالفته النار) (١).

وقفة نقدية موجزة :

ولا نريد أن نقف طويلاً في المناقشة مع البهائية لوضوح وهاء دعواهم .

---

(١) البهائية – محب الله الخطيب ص ٢٦ ط المكتب الإسلامي بيروت .

فالله سبحانه وتعالى موجود ووجوده عين ذاته هو واجب الوجود واحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

واحد في ذاته بمعنى أن ذاته تعالى غير مركبة من أجزاء لأن ما يقبل التركيب محتاج إلى مركب له وما يقبل التركيب محتاج إلى أجزائه وما كان أمره كذلك فهو حادث وليس بإله .

واحد في ذاته بمعنى أنه منزه عن الشريك بأي صورة من الصور التي يمكن أن يفرضها العقل لأن وجود الشريك معه يعني الاحتياج والاحتياج نقص والنقص عليه سبحانه وتعالى محال لأنه أكمل من كل كمال ، لأنه معطي الكمال لبعض مخلوقاته ويستحيل أن يكون المعطي أقل أو مساو للمعطى له .

واحد في صفاته مثل صفة الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وهي ما تسمى في علم التوحيد بصفات المعاني وهي صفات قديمة موصوف بها منذ الأزل وإلى الأبد ، وإذا كان البشر يتصفون بمثل هذه الصفات فهذا اتصاف نسبي أما الله تعالى فاتصافه اتصاف مطلق اتصاف البشر بالصفات المذكورة ، هو اتصاف في الإطلاق أو التسمية لا في الحقيقة ، فكوني أنا حي وهو سبحانه وتعالى حي - حياة نسبية - ومسبوقة بعدم وهي متغيرة وتنتهي إلى عدم وليست حياته كذلك .

وهكذا كل صفات المعاني .

وهناك صفات تسمى بصفات الأفعال مثل الخلق والرزق والإعطاء والمنع والإحياء والإماتة ... إلخ والتي تعود إلى صفة أساسية وهي صفة التكوين يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يس : ٨٢ .

وصفة التكوين وما يعود إليها من صفات صفة قديمة مثل القدرة والإرادة ... إلخ عند الماتريدية وهو ما نميل إليه بقول أبو المعين النسفي الماتريدي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ (إن التكوين صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر ، فكان التكوين أزلياً والمكون حادثاً ، كالقدرة كانت أزلية والمقدور حادثاً وكذا الإرادة والمراد) (١).

وهو تعالى واحد في أفعاله فلا محيي ولا مميت ولا معطي ولا مانع على الحقيقة إلا هو عز وجل ، ولا موجد للأشياء من العدم إلا الله سبحانه ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج : ٧٣ ، ٧٤ . ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ الطور : ٢٥ ، ٢٦ . ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر : ٦٧ .

واجب الوجود لذاته سبحانه كان قبل وجود الزمان والمكان لأنهما مخلوقان وهو تعالى خالقهما ، وخالق ما فيهما من الحيوانات والنباتات والحشرات والفيروسات والمعادن والبشر والجن والملائكة والبحار المالحة والأنهار العذبة والمحيطات ، خالق السموات والأرض وما فيهما من تنوعات .

واجب الوجود لذاته أزلي أبدي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى : ١٠ .

---

(١) تبصرة الأدلة لأبي معين النسفي تحقيق د / محمد الأنور ج١ ط أولى ٢٠١١ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث .

وما كان أمره كذلك لا يحل بشيء أياً كان هذا الشيء إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، لأن الأشياء كلها هو خالقها ، فهي كلها تتصف بالحدوث والاحتياج إليه ، لا باحتياجه هو إليها .

لأنه لو حل بها لكان حادثاً مثلها ، ويستحيل عقلاً أن يتحول واجب الوجود لذاته إلى ممكن الوجود لذاته أو مستحيل الوجود لذاته .

كما يستحيل عقلاً أن يتحول الممكن الحادث إلى قديم بالذات .

الله تعالى هو الأول قبل أي شيء بلا بداية ، والأخر بعد كل شيء بلا نهاية .

فلو حل في شيء لتحول من القدم الذاتي إلى الحدوث الذاتي فلا يكون أولاً بلا بداية ، بل يكون قابلاً لكل ما تقبله المحدثات ، وما كان كذلك لا يكون إلهاً .

ولا يكون أخر بلا نهاية لأن حلوله في المحدث المتناهي يكسبه التناهي وبالتالي لا يكون متصفاً بصفة القدم التي هي من أخص خصائصه سبحانه ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد : ٣ .

وحلوله في الشيء يعني الاحتياج ، والاحتياج فقر يتنافى مع اتصافه بالقيام بالنفس ، أي عدم الاحتياج إلى الغير ، ويجعله مماثلاً للحوادث ، وهذا يتنافى مع اتصافه تعالى بعدم المماثلة للحوادث .

ثم القول بحلول الله تعالى في الحسين بن علي المازندراني كما تدعي البهائية حلول كلي أو حلول جزئي .

وحلول جسمي أو حلول عرضي .

أي هل حل الله تعالى كله في المازندراني أو حل جزءه فقط فيه .

فإن قالوا حل الله تعالى وهو جسم كله في المازندراني فقولهم هذا يؤدي إلى تداخل جسم الله مع جسم حسين المازندراني ، وهذا التداخل يؤدي إلى التركب والتجزؤ .

والله سبحانه وتعالى واجب الوجود منزه عن التركب والتجزء وعن الجسمية ، لأنها كلها من أمارات الحدوث وهو قديم بذاته وصفاته .

وإن قالوا حل في المازندراني وهو عرض ، فالعرض يحتاج إلى محل ليقوم به ، والاحتياج من أمارات الحدوث ، وهو نقص والنقص عليه تعالى محال .

وإن كان الحلول جزئياً أي حل جزء من الله في المازندراني فهذا يعني تجزؤ الله ، والتجزؤ من أمارات الحدوث كما يعني أنه بانفصال الجزء صار ناقصاً ، وبعودته صار كاملاً .

وهذه الأمور كلها يتنزه عنها واجب الوجود لذاته المتصف بكل كمال والمنزه عن أي نقص .

يقول عضد الدين الإيجي (إنه تعالى لا يجوز أن يحل في غيره ، لأن الحلول هو الحصول على سبيل التبعية فإنه ينفي الوجوب .

وأيضاً لو استغنى عن المحل لذاته لم يحل فيه وإلا احتاج إليه لذاته ولزم قدم المحل .

وأيضاً فإن المحل إن قبل الانقسام لزم انقسامه وتركبه واحتياجه إلى أجزائه وإلا كان أحقر الأشياء .

وأيضاً فلو حل في جسم فذاته قابلة للحلول والأجسام متساوية في القبول ، وإنما التخصيص للفاعل المختار ، فلا يمكن الجزم بعدم حلوله في البقة والنواة وأنه ضروري البطلان ...

وكما لا تحل ذاته في غيره لا تحل صفته في غيره ، لأن الانتقال لا يتصور على الصفات ، وإنما هو من خواص الفرد لا مطلقاً بل الأجسام) [١].

الركن الركين في الإيمان هو التصديق القلبي الجازم الذي لا يدخله أي شك بوجود الله واتصافه بكل كمال وتنزهه عن أي نقص وتفرده في الذات والصفات والأفعال .

وهذا الركن تناقض معه تماماً الحسين بن علي المازندراني في أقواله وأفعاله ، وتصادم مع القرآن الكريم والسنة المطهرة وما عليه إجماع الأمة – ما عدا غلاة الشيعة وأذنابهم بل تصادم مع العقل الجاد الذي هو من أهم وسائل المعرفة . ومن كان أمره كذلك فمكذب ومستكبر وجاحد ومتكبر ومطل لما ميز به عن غيره من المخلوقات وهو العقل .

وأترك الحكم لك أيها القارئ العزيز عليه فأنت وحدك وبكامل إرادتك ومن خلال معرفتك الصحيحة تستطيع أن تحكم على البهائي والبهائية ....

الملائكة والبهائية

والحديث عن الركن الثاني من أركان الإيمان ، شغل حيزاً كبيراً في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة .

ومن خلالهما عرفنا أن الإيمان بالملائكة جزء لا يتجزأ من العقيدة الإيمانية ومن ينكرهم كافر كفر ملة .

---

(١) المواقف للإيجي ص ٢٧٤ ط عالم الكتب – بيروت ، وراجع شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ج ٢ ص ٦٨ ط ٢٠٠٧ .

وعرفنا أن الملائكة خلق من خلق الله تعالى ، خلقوا من نور كما ورد في الحديث الصحيح المذكور في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) ماء – تراب – طين – حمأ مسنون – صلصال كالفخار .

وأنهم خلقوا قبل آدم يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ الحجر : ٢٨ – ٢٩ .

وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك يقول سبحانه ﴿ الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فاطر : ١ .

وأنهم يسكنون في الغالب السموات وبعضهم يسكن الأرض .

وأنهم يتشكلون بأشكال حسنة بخلاف الجن إذ المؤمنون منهم يتشكلون بأشكال حسنة ، بينما يتشكل الكافرون بأشكال قبيحة .

وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا يوصفون بذكورة أو أنوثة .

هم عباد مكرمون مجبولون على الطاعة معصومون عصمة كاملة لهم أعمال مختلفة فمنهم ملاك الوحي جبريل ، ومنهم ميكائيل ملاك الأمطار والأرزاق ، وإسرافيل الموكل بأمر النفخ في الصور يوم القيامة ، وملاك الموت الموكل بقبض الأرواح ، وحملة العرش ، وخزنة جهنم ، والموكل بأمر الجنة ، والكتبة والحفظة ... إلخ

هؤلاء الأطهار الذين يشكلون الركن الثاني من معتقد الإيمان لم نر في كتب الباب ، وكتب البهاء من بعده ما يشير إلى الاهتمام بهم أو الاعتقاد بأن الإيمان بهم واجب .

مع أن الباب والبهاء ادعيا النبوة والألوهية وهما معاً ترتبطان ارتبطاً وثيقاً بكل ما يتصل بالملائكة .

ومرور الباب والبهاء على هذا الركن مر الكرام يؤكد عدم اعترافهما بهذا الركن وبالتالي عدم إيمانهما به .

الكتب السماوية والبهائية

ونحن نؤمن على وجه الإجمال أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتباً سماوية كثيرة على بعض أنبيائه ورسله .

أما على التفصيل فإننا نؤمن أن صحفاً أنزلت على خليل الله إبراهيم – عليه السلام – ، وأن التوراة الصحيحة نزلت على كليم الله موسى – عليه السلام – ، وأن الزبور نزل على داود – عليه السلام – وأن الإنجيل الصحيح نزل على عيسى – عليه السلام – ، وختمت الكتب السماوية بالكتاب المتمم والمكمل والناسخ لبعض الأحكام والمهيمن الذي أنزله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ – القرآن الكريم – .

والوحي من لوازم النبوة ومع ختم النبوة بمحمد ﷺ ختم الوحي فلا نبوة بعد محمد ولا كتاب بعد القرآن الكريم .

أما من قال أن كتاباً اسمه البيان أنزل على الشيرازي وأن الحسين علي المازندراني نزل عليه كتاب اسمه الأقدس .

وأن البيان للباب نسخ الشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن الكـــريم وأكد كتاب البهاء نسخ الشريعة الإسلامية ليس عليه إلا أن يعمل عقله بطريقة صحيحة وبنزاهة وموضوعية في البيان والأقدس ، وليقل لنا شــيئاً واضـــحاً ومفيداً عن الألفاظ والأسلوب والأفكار والمعتقدات والأحكـــام الـــواردة فـــي الكتابين المذكورين .

أما نحن فنشير إشارات سريعة إلى بعض هذه الأفكار حينما نتحدث عن موقف الباب والبهاء من القرآن الكريم وبعض تشريعات الباب والبهاء .

أما الألفاظ والأسلوب والجديد الناسخ والنافع فنترك القارئ وحده ليحكم بنفسه .

وكتبه مطبوعة بالعربية وموجودة ببعض المكتبات لمـــن أراد أن يقـــرأ ويعرف ويقارن ويحلل .

وليس من حقنا أن نثقل هذا الإيجاز عن البهائية بنصوص مطولة وإنما فقط نذكر عينات موجزة للمساعدة على الفهم والتعرف على ما قالـــه مـــدعي النبوة والإلهية المازندراني .

يقول في الأقدس (أنا أمرناكم بكسر حدودات النفس لاقارقم في العلـــم الأعلى ، أن لروح الحيوان لمن في الإمكان قد ماجت بحور الحكمة والبيـــان كما هاجت نسمة الحيوان . اعتنموا يا أولي الألباب ... تفكـــروا يـــا أولـــي الأفكار) [١].

هل فهمت شيئاً ؟

---

(١) الأقدس .

ويقول (قل قد جعل الله مفتاح الكنز حي المكنون ، هأنتم تعرفون لولا المفتاح لكان مكنوناً في أزل الآزال لو أنتم توقنون . قل هذا المطلع الـوحي ومشرق الإشراق الذي به أشرقت لو أنتم تعلمون) (١).

هل فهمت شيئاً ؟

ويقول (قد حكم الله دفن الأموات في البلـور والأحجـار الممتنعـة أو الأخشاب الصلبة اللطيفة ، ووضع الخواتيم المنقوشة في أصابعهم أنـه لهـو المقدر العليم) (٢).

ويقول (احرقوا الحجبات بنار حبي ، والسبحات بهذا الاسم الـذي بـه سخرنا العالمين ، وارفعن البيتين في المقامين ، والمقامات التي فيها اسـتقر عرش ربكم الرحيم ، كذلك يأمركم مولى العارفين) (٣).

هل فهمت شيئاً ؟ هل في ما قال بلاغة وفصاحة وبياناً هل هناك أحكام جديدة تفيد البشرية وتصلح لتكون ناسخة لما جاء في القرآن الكـريم ؟ هـل وهل ؟ أنت وحدك زودك القادر الحكيم سبحانه وتعالى بالعقل وجعله منـاط التكليف فلتعمله بطريقة موضوعية في الأقدس والإتقان والمبين ومـن قبلـه البيان للباب ولتقل لنفسك بصراحة هل هذه الدعاوى الواردة في كتب البـاب والبهاء هي دعاوى مقدسة وصالحة لنسخ القرآن الكريم أم ماذا ؟!!

دعني انتقل بك إلى ركن أخر من أركان الإيمان :

---

(١) الأقدس .

(٢) الأقدس .

(٣) الأقدس – وراجع حقيقة البابية والبهائية ص ١٦٦ .

الأنبياء والرسل

وهذا الركن عند البهائية مهد له البهاء كما مهد أستاذه الباب لنفسه أولاً ثم لتلميذه البهاء .

فقد ادعى البهاء أنه المهدي الموعود الذي قال الباب بحلول زمانه ثم بداله أن يطور دعواه بعد أن رأى استجابة عفوية من أتباعه فادعى أنه المسيح (قل يا ملأ القرآن قد أتم الموعد الذي وعدتم به في الكتاب ، اتقوا الله ولا تتبعوا كل مشرك أثيم ، إنه ظهر على شأن لا ينكره إلا من غشته أصحاب الأوهام ، وكان من المدحضين ، فل قد ظهرت الكلمة التي بها قرت نقباؤكم وعلماؤكم) [١].

وإذا كان النص يشير إلى الموعود فإن النص التالي يترك الموعود وشأنه ليؤكد أن البهاء هو المسيح كما يدعي (قل يا قوم قد جاء الروح – أي المسيح – مرة أخرى ليتم ما قال من قبل كذلك وعدتم به في الألواح إن كنتم من العارفين ، إنه يقول كما قال ، وانفق روحه كما أنفق أول مرة حبا لمن في السموات والأرض ... ثم اعلم بأن الذي صعد إلى السماء قد نزل بالحق ، وبه مرت روائح الفضل على العالم ، وكان ربك على ما أقول شهيداً ، قد يفطر العالم برجوعه وظهوره) [٢].

ثم طور دعواه ليقول إن الرسل عبر الأزمنة المتطاولة كانوا مواضع لحلول الله تعالى فيهم حتى يظهر من خلالهم ، وكلما أوغلنا في ماضي الإنسانية كان ظهور الله في الأنبياء إلا أنه كان ظهوراً في مرتبة دنية .

---

(١) مفتاح باب الأبواب ٣٨٦ .

(٢) نفسه ٣٨٢ .

والعكس صحيح أيضاً أي أن الظهور في شخص إبراهيم كان أقل من الظهور في شخص موسى والظهور في شخص موسى كان أقل من الظهور في شخص عيسى والظهور في شخص عيسى أقل من الظهور في شخص محمد ﷺ .

وازداد الظهور في شخص الباب ثم اكتمل في شخص البهاء فهو الظهور الأكمل والأظهر والأشمل .

ومحمد ﷺ - في رأي البهاء والبهائية - ليس خاتم الأنبياء ، بل باب النبوة مفتوح والوحي ممتد لأزمنة متعددة .

وقد انتهت نبوة محد ونسخت شريعته بنبوة الباب وانتهت نبوة الباب وبدأت نبوة البهاء والتي ستستمر طويلاً كما يدعون .

يقول البهاء معلناً عن نبوته في رسالته التي أرسلها إلى السلطان ناصر الدين سلطان إيران في وقتها (يا سلطان أني كنت كأحد من العباد ، وراقداً على المهاد ، مرت على نسائم السبحان وعلمني علم ما كان ، ليس هذا من عندي بل من لدن عزيز عليم ... وأمرني بالنداء بين الأرض والسماء ، بذلك ورد على ما رزقت به عيون العارفين)[1].

ويؤكد عبد البهاء عباس ابن البهاء نبوة أبيه فيقول : إن الأنبياء على قسمين : الأول الأنبياء المستقلون ، والثاني الأنبياء التابعون فالمستقلون هم أصحاب الشريعة ، ومؤسسوا الأدوار الجديدة .... كحضرة إبراهيم وحضرة موسى وحضرة عيسى وحضرة محمد وحضرة الأعلى الباب وحضرة بهاء الله)[2].

---

(١) كتاب البهاء إلى السلطان المسمى بالرسالة السلطانية ص ٤ .

(٢) النور الإلهي معارضات عبد البهاء .

وحتى لا يطالبه الأتباع بالإتيان بمعجـزات مثـل معجـزات الأنبيـاء السابقين يؤكد نبوته سارع برفض المعجزات والتشكيك فيها وتفسير ما هـو مسند لبعض الأنبياء تفسيراً يصرف كل معجزة عن معناها المراد إلى معنـى يريده هو .

وقال ما معناه أن النبي يمتحن ولا يُمتحن .

وملخص ما سبق أن الأنبياء مواضع لظهور الله ، وأن الظهور الأكمل والأظهر كان في حسين المازندراني ، وأن النبوة لم تختم بمحمـد ﷺ ، وأن الباب نبي وله كتاب مقدس اسمه البيان ، وأن حسين المازندراني نبـي ولـه كتاب مقدس اسمه الأقدس ، وبعد أزمنة متطاولة لا تقل عن ألف عام سـيأتي أنبياء آخرون والمعجزات بصورتها التي هي عليها أمور مجازية عن حقائق أخرى وليس كما يفهم العوام .

وقفة نقدية :

ودعوى حسين علي المازندراني النبوة ، ومن قبله شيخه وواضع بذور نحلته علي الشيرازي الملقب بالباب ، وبالمعاصرة لهما وبنفس الدعوى ميرزا غلام أحمد المتوفى سنة ١٩٠٨ مؤسس القاديانية .

نحن لا نحتاج لإعمال العقل لإبطال ما ادعوه ويتمسك بـه الأتبـاع ، فدعوى النبوة امتداد عشوائي لدعوى مسيلمة الكذاب وسجاح ، وإدعاء عبـد الله بن سبأ اليهودي الذي حاول أن يلصقه بالإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثم تتابعت الأكاذيب على لسان الأفاكين حيث ادعى بيان بن سمعان النهدي في القرن التاسع الهجري، وقال بنسخ شريعته لبعض شرائع الإسلام .

وقال بنفس الدعوى أبو منصور العجلي وزاد في القول حيث قال أن الله تعالى عرج به وأجلسه بجواره ، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً .

وزاد إن علياً والحسن والحسين وعلي زين العابدين بن الحسين ومحمد الباقر بن علي زين العابدين أنبياء ولم يكتف بهذا بل ادعى أن النبوة ستكون في ستة من أبنائه .

والتاريخ في كل عصر ومصر مليء بالأدعياء الكذبة ، لماذا كذبه ؟

لأن النبي في اللغة مأخوذ بدون همز من الفعل نبا ينبوا أي علا يعلوا ، النباوة أي العلو والارتفاع والنبي أي الطريق المستقيم الموصل للهدف .

فالنبي على هذا عال بالاصطفاء والاختيار والعصمة وتحمل كلمة السماء والتأييد من الله والارتفاع بالأعوان وإخراجهم من ظلمة الشرك إلى نور الإيمان .

فهل توفر المعنى السابق أو جزء منه في الباب أو البهاء أو أي مدعي كاذب .

والنبيء بالهمز مأخوذ من الفعل نبأ أي خبر وأنبأ أي أخبر وذلك لأنه منبأ – اسم مفعول – من الله تعالى ومنبئ للناس اسم فاعل أي مخبر للناس .

فهل البهاء والباب ينطبق عليهما هذا المعنى ؟

اعتقد لا ، لأنهما لم يتوقفا عند دعوى النبوة بل ادعيا الألوهية فهما نبيان وهما إلاهان – فمن ينبئ ومن يوحي إلى من ؟

ثم النبوة لا تأتي بالتحايل والتطور والكسب وإنما هي هبة وعطية ومنحة يعطيها الله لمن يشاء .

والنبي إنسان حر اختصه الله تعالى بسماع وحي بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر .

فهل ينطبق هذا المعنى على الباب أو البهاء ، وأي شرع أختصا بـه ؟ هل من الدين الفاء كل واضح من عقائد أو عبادات ومعاملات وأخلاق ثم القول بألوهية الإنسان وتحول الإنسان المخلوق إلى إله خالق .

إن من شرط النبوة أن تكون في حيز الإمكان ، وأن يأتي النبي ببينة تؤكد صدق دعواه وأن لا يستطيع أحد أن يعارض بينته .

فنبوة موسى ومن قبله من الأنبياء صحيحة لأنه ادعى أمراً ممكناً فقد قضت حكمة الله أن يكون النبي مكملاً للعقل ومصححاً لمساره .

وقضت حكمته أن تتابع الرسالات السماوية لفترة ما هي في العقيدة والأخلاق واحدة وفي الشريعة والمنهج بعض الاختلافات ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ .

يقول سبحانه ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .

ويقول ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ .

ورسالة عيسى ومحمد – عليهما السلام – صحيحة لأنهما سبقا بموسى وبالأنبياء الآخرين إلى آدم – عليه السلام – .

ومع إمكان الدعوى فإن الأنبياء والأقرب لنا في تاريخهم أيدوا بالكثير من الأمور الحادثة وكان الله يقول لنا حينما يؤيدهم بالمعجزات صدقوهم هم انبيائي حقاً والدليل على نبوتهم أنني أؤيدهم بأمور خارقة لما تعودتموه وأمرهم بالتحدي ويعجز الكل عن الإتيان بأي أمر من الأمور التي يظهرونها على خلاف العادة .

موسى رسول لأنه ادعى الرسالة وكانت دعواه في حيز الإمكان وأتى من عند الله بأمور خارقة للعادة ولم تعارض بينته – موسى إذاً رسول الله .

عيسى رسول لأنه ادعى الرسالة وكانت دعواه في حيز والإمكان وأتى من عند ربه ببينة تؤكد صدق دعواه ولم تعارض بينته . عيسى إذاً رسول الله .

ومحمد ادعى الرسالة وكانت دعواه في حيز الإمكان ، وأتى ببينة تؤكد صدق دعواه ولم تعارض بينته محمد إذاً رسول الله وبه ختمت الرسالات السماوية لقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وبصريح اللفظ ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب : ٤٠ .

وفي الحديث الصحيح (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه آخر إلا أنه لا نبي بعدي) [١] ويقول ﷺ (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من لبناته فكان الناس يطوفون ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء) [٢].

محمد ﷺ بنص القرآن الكريم وبنص السنة الصحيحة والصريحة وبإجماع المسلمين ما عدا هؤلاء الغلاة – ووفقاً لقواميس اللغة هو خاتم الأنبياء أي أخرهم .

فمن ادعى بعد ذلك النبوة فهو يدعي أمراً مستحيلاً والمستحيل هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت أبداً .

ثم نقول إن الرسل هم سفراء الله سبحانه وتعالى إلى بني البشر ، أعدهم الله إعداداً خاصاً حتى يتحملوا المسئولية بطريقة صحيحة .

---

(١) رواه البخاري ك المناقب – باب ما ذكر عن بني إسرائيل – .

(٢) رواه البخاري ك المناقب باب خاتم النبيين .

والإنسان منذ ولادته إلى مماته في حاجة إلى رسل الله ، فهم وحدهم الذين يعطون الإجابات الشافية المقنعة للعقل عن أي سؤال ويعرفون الإنسان بربه المعرفة الحقة كما يعرفونه بكل ما يتصل بالغيب ن ويعلمونه بالأوامر والنواهي الإلهية ، وما يترتب على الالتزام بالأوامر والابتعاد عن النواهي ، ويبينون له حقيقة ذاته ، ومتى يكون مسئولاً ، وماذا يترتب على مسئوليته ، وينظمون علاقته بنفسه وبالله ، وبالكون حوله ، ويحققون التوازن بين الروح والجسد ، ويحددون الحقوق والواجبات مع ربطها بالثواب والعقاب في الدنيا والآخرة (١).

هم يقوون العقل فيما يستقل بمعرفته ويعرفونه بما لا يستقل بمعرفته وبخاصة في أمور الغيبيات مثل الملائكة الجن الشياطين ، الروح ، الموت ، ما بعد الموت ، الآخرة وما فيها ... إلخ

فهل حسين المازندراني أو البهاء ومن قبله الباب ؟ هل أدعياء النبوة من قبلهما ومن بعدهما في إمكانهم أن يعرفونا بطريقة صحيحة بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ؟

هل في إمكانهم أن يعرفونا بما يعجز العقل عن معرفته وبخاصة أمور الغيب ؟

هل تشريعات الباب والبهاء تماثل أو تقترب من المماثلة لتشريعات الرسل وبخاصة أخرهم محمد ﷺ ؟ (٢).

---

(١) قضايا عقدية د / محمد الأنور ص ٧٩ ط أولى ١٩٨٨ .

(٢) راجع في هذا البحث ما يتصل بتشريعات الباب والبهاء وقارن بتشريعات الله التي جاء بها رسل الله الحقيقيون .

والإيمان بالرسل والأنبياء جزء لا يتجزأ من المعتقد الديني وأولهم آدم – عليهم السلام – وآخرهم محمد ﷺ وهم ليسوا بآلهة ، ولا تحل الذات الإلهية فيهم ، هم بشر خلقوا كما خلق البشر ومما خلق منه البشر ، يأكلون ويشربون ويتناسلون ويمرضون ويموتون .

إلا أن الله تعالى اصطفاهم ، وزودهم بكمال خلقي وخُلقي وعصمهم واختصهم بسماع وحي بحكم شرعي تكليفي وأمرهم بالتبليغ .

ولكي يكونوا مصدقين عند البشر فإنه سبحانه وتعالى أيدهم بالكثير من خوارق العادات أي المعجزات وأمرهم بتحدي القوم بها للتأكد أن موجدها الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وبإظهارها على يد الأنبياء يكون التأييد من الله والتصديق من العقل .

وقضت حكمة الله تعالى أن تكون المعجزات تشبه في الظاهر ما عليه القوم إلا أنها في الحقيقة أمور إلهية تعجز البشر .

كما قضت حكمته أن تكون معجزات الأنبياء السابقين لمحمد ﷺ معجزات حسية لأن القوم لا يؤمنون إلا بالمحسوس والأقرب لنا ناقة صالح وسلب خاصية الإحراق من النار مع إبراهيم – عليه السلام – وإلقاء موسى – عليه السلام – لعصاه فإذا هي حية تسعى ، وضربه الحجر بعصاه وانفجار الماء منه ، وإبراء عيسى – عليه السلام – للأكمه والأبرص وإحياؤه للموتى بإذن الله وإنباء القوم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

أما معجزات محمد ﷺ فقد قضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزات حسية لمن لا يؤمن إلا بالمحسوس وعقلية لمن لا يؤمن إلا بالمعقول وهما معاً لمن لا يؤمن إلا بهما ولم يكن ذلك إلا لأنه مرسل لكل بني البشر ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

ولأنه خاتم الأنبياء والمرسلين لن يأتي بعده نبي أو رسول إلى أن تقوم القيامة فلعموم الرسالة ولختمها بمحمد ﷺ كانت معجزاته حسية وعقلية .

منها إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وأنين الجزع ، وانشقاق القمر ... إلخ .

والقرآن الكريم صحيح ، لأنه منقول بالتواتر المأبون من الخطأ ، وصريح في حديثه عن بعض معجزات الأنبياء ، وهو نفسه معجزة عقلية خالدة باقية إلى أن تقوم الساعة .

القرآن الكريم نفسه معجز في أسلوبه ونظمه وبلاغته وفصاحته وعدم تناقضه مع طوله واشتماله على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، وحديثه المسهب عن قصص الأنبياء مع قومهم وصراع الحق مع الباطل ، واشتماله على الكثير من الغيبيات الماضية والمستقبلية وكثرة الإشارات العلمية فيه ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ .

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

وما كانت المعجزات معجزات إلا لأنها تعجز الغير وتثبت له أنها أمور إلهية قصد بها تصديق النبي الحقيقي .

والتأويل يصار إليه إذا كانت هناك ضرورة إما مع انعدامها فلا معنى له ويشترط في التأويل أن لا يتناقض مع القرآن الكريم والسنة المطهرة

والعقل وإجماع الأمة واللغة العربية الفصيحة وإذا تم على غير هذا فهو تأويل فاسد .

بعد هذا نقول ليس من المعقول أن نترك كلام الله سبحانه وتعالى المنقول بالتواتر الصحيح والصريح .

ونترك كلام الرسول الصحيح والصريح ، وما عليه إجماع الأمة ونستمع لأكاذيب وضلالات وتخبطات صادرة عن عقل مغيب وموجه للتشكيك في الإسلام والمسلمين .

اليوم الآخر

عقيدة اليوم الآخر وكل ما يتصل بها ويمهد لها ، موضع تشكيك كامل من البهاء والبهائيين ، ولكي يتم لهم ما يريدون فإنهم يلجأون للتأويل ، ولا نعني بالتأويل هنا صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى مرجوح ، وإنما صرف اللفظ عن ظاهره الراجح والمرجوع إلى معنى يريدونه هم .

وما يريدونه هو القول بأن لا ثواب ولا عقاب في الآخرة ، ولا آخرة في الحقيقة ، وإنما الثواب والعقاب دنيوي ، والقيامة التي يقول عنها الله سبحانه وتعالى ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ . أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ القيامة : ١ – ٤ .

تعني عند البهاء والبهائية قيامة الروح الإلهية في مظهر بشري جديد ، الباب أولاً ثم البهاء .

والبعث هو الإيمان بألوهية هذا المظهر ، هو اليقظة الروحية ، ولقاء الله يعني لقاء الباب علي محمد الشيرازي ، ومن بعده لقاء البهاء – حسين علي المازندراني .

والجنة تعني الفرح الذي يحس به من يؤمن بالباب ثم بالبهاء ، هي بستان المعرفة الذي تفتح أبوابه لكل من يؤمن بالبهاء .

والنار هي الحرمان من معرفة الله وتجلياته في المظهر أي البهاء هي الحرمان الحقيقي الذي يحسه من يخالف البهاء ويكفر به .

يوضح أسلمنت وهو من دعاة البهائية الكبار ما يتصل بقضية اليوم الآخر عن البهاء والبهائية فيقول " وطبقاً للتعاليم البهائية لا علاقة للقيامة بالجسد المادي الغليظ ، وإن ذلك الجسد ينتهي بالموت ، ويتحلل إلى عناصره الأولية ، ولا تتركب أجزاؤه ثانية في البدن نفسه " – ومن قبل قال منكروا البعث ما يحكيه القرآن الكريم ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا . أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ الإسراء : ٤٩ – ٥١ .

يواصل اسلمنت : فالقيامة هي ولادة الإنسان في الحياة الروحية بموهبة الروح القدسية والقبر الذي يخرج منه هو قبر الجهل والغفلة عن الله ، والنوم الذي يستيقظ منه هو السبات الروحي ، يقضيه طلوع فجر يوم الله ، وهذا الفجر يضيء جميع من يعيش على ظهر الأرض مادياً وروحياً ... فليس القيامة أخر الأيام المادية بل هو يوم يبتدئ بظهور المظهر ، ويبقى ببقاء الدورة العالمية ، ونجم صباح هذا اليوم هو الباب ، وشمسه ظهور بهاء الله الأعلى ، وقمره عبد البهاء فهم كوكب وشمس وقمر ليس لهم أفول " [١].

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد ص ٢١٩ ، وراجع تأويلاتهم لبعض ما يتصل بالآخرة في هذا البحث – البهائية والقرآن الكريم .

وقفة نقدية موجزة

الإيمان باليوم الآخر وما فيه من خروج الخلائق من قبورهم ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ الزلزلة .

ووقوفهم حفاة عراة غرلا في أرض المحشر ، والشفاعة الكبرى ، وتسلمهم صحف أعمالهم .. ومرورهم على الصراط ، ووزن أعمالهم أو صحفهم أو وزنهم – وسؤالهم ، ودخول من يستحق الثواب والنعيم الجنة ، ودخول من يستحق العقاب والعذاب النار خلود أو لفترة .

هذه الأمور وغيرها يجمعها الركن الخامس من أركان الإيمان . من ينكرها أو يصرفها عن معناها الصحيح البين المذكور في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وما عليه إجماع المسلمين فهو مبعد لنفسه بكامل إرادته عن حظيرة الإيمان .

إن الدار الآخرة وما فيها هي الدار الحقيقية ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت : ٦٤.

أما الدنيا فهي دار الابتلاء والاختبار والامتحان يقول سبحانه ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ الحديد : ٢٠ .

الدنيا هي دار الابتلاء والامتحان ولكل ابتلاء وامتحان جزاء وقضت حكمة الله أن يكون الجزاء في الآخرة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة : ٧ ، ٨ .

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الإسراء : ١٣ – ١٥ .

أي غرابة في هذا وأي غموض دفع البهاء ومن قبله الباب إلى تأويل الآخرة وما فيها والقول بأمور هي من نتاج خيال مريض أو خيال لا يؤمن بالأديان أصلاً وبخاصة الدين الإسلامي .

ونحن نسأل هل الرفض أو التأويل للدار الآخرة وما فيها مصدره العقل ؟ أو النقل ؟ أو لا العقل ولا النقل ؟

إن كان مصدره العقل فلنعمل عقولنا بطريقة جادة وموضوعية في الإنسان من ناحية المبدأ والميعاد .

ولنسأل الإنسان موجود ولم يكن شيئاً مذكوراً ويخضع في وجوده للتغيرات المستمرة ثم ينتهي وجوده بالموت ما معنى هذا ؟ معناه أنه قابل للوجود والعدم وكل ما كان لذلك فهو ممكن أي أن وجوده ليس من ذاته ولا عدمه كذلك من ذاته هو قابل فقط كقطعة من العجين في أيدينا نصنع منها شكلاً مدوراً وشكلاً مربعاً وشكلاً مستطيلاً ... إلخ لأنها قابلة للتشكل .

وهذا القابل لم يوجد نفسه ولم توجده الطبيعة أو المصادفة أو التولد الذاتي أو الجراثيم الساقطة من كواكب أخرى ، إذاً من أوجده ؟ ومن أبعده لفترة ما على هذه الأرض ؟ ومن أماته .

إنه الفاعل ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ .

الله سبحانه الموصوف بكل كمال والمنزه عن أي نقص والقائل ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ الطور : ٣٥ ، ٣٦ .

الإنسان لم يكن ثم كان ثم لن يكون هو قابل إذاً للوجود والعدم .

والله سبحانه وتعالى الموصوف بكل كمال هو فاعل الوجود والعدم .

فإذا تعلقت قدرة الفاعل بالقابل وجوداً وجود ، وإذا تعلقت قدرته بالقابل إعداماً عدم .

وقد تعلقت قدرته سبحانه وتعالى بنا أفراداً وجماعات إيجاداً وإعداماً لفترة زمنية محددة في علمه ، سميت بالدار الدنيا . وهذه الدار ستنتهي حتماً لتبدل بدار أخرى تسمى دار الجزاء أو الدار الآخرة .

الكون بكل من فيه وما فيه قابل لكل شيء .

والله سبحانه فاعل لكل شيء .

فهل القول بالقابل والفاعل أمر مستحيل أو يترتب عليه أي مستحيل .

اعتقد أن من عنده ذرة من التعقل سيقول لا . العقل يثبت أن الدنيا وما فيها أمر ممكن ، كذلك أمر الآخرة وما فيها أمر ممكن .

الكل واقع تحت القدرة الإلهية .

فلماذا التأويل ؟!!

والنقل الصحيح والصريح يؤكد وجود الحياة الآخرة ووجود كل ما فيها ، وحتى لا نطيل نذكر بعض الآيات يقول سبحانه ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا . أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ الإسراء : ٤٩ – ٥١ .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ الحج : ٥ – ٧ .

ويقول عز وجل ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس : ٧٧ – ٨٣ .

ويقول سبحانه ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن : ٧ .

العقل إذاً يؤكد إمكان الآخرة وكل ما فيها . والنقل يؤكد الوقوع .

فأي مستند لهؤلاء المنكرين المؤولين ؟!!

ويبقى أن نقول إننا نصدق كل ما يقول به صديقنا الذي عرفنا فيه الأمانة والصدق والعدل وحب الآخرين ... إلخ

ورسل الله جميعاً بدءاً بآدم وانتهاء بمحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام أولى بالتصديق ، لأنهم الصفوة ، ولأنهم كاملون في الخلق والخلق ، ولأنهم يحملون كلمة السماء ، ولأنهم مؤيدون بالمعجزات يقول سبحانه ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ ويقول ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ويقول في حق رسوله محمد ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقد أيده ربه بمعجزات كثيرة وأخلدها المعجزة الكبرى القرآن الكريم ، وفي القرآن حديث مستفيض عن اليوم الآخر وعن كل ما قبله وما فيه وهو حديث يخاطب العقل والقلب والضمير يقول سبحانه في أول سورة البقرة في وصف المتقين ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وبِالأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ويقول عن الكافرين ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ النحل : ٢٨ ، ٢٩ . ويقول ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دامت السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ هود : ١٠٣ – ١٠٨ .

أنصدق الصديق ونصدق الرسول ونصدق القرآن الكريم أم نصدق كذاب إيران المدفون بعكا ؟!! المازندراني

ونقول أيضاً (إن العدل قيمة من القيم الحميدة التي يتطلع إليها الإنسان ويحاول تطبيقها .... والإنسان العادل إنسان فاضل وموضع تقدير من الجميع ، ولو نظرنا لأي مجتمع لوجدناه يطفح بالشرور فالملحد والقاتل والمرتشي والسارق ربما صاروا الأسياد وفي المقابل نجد صاحب العقيدة الصحيحة مبتلى في دينه ودنياه ... ومن التدمير النفس ومن الظلم للإنسان أن يقال إنه بالموت ينتهي كل شيء ويسوي الفناء بين الظالم والمظلوم ... إننا نؤمن بأن الله موجود وبأنه تعالى متصف بكل كمال ومن الكمالات صفة العدل ، ومن العدل أن يرى الملتزم بالعقيدة نتيجة التزامه ، والخارج عنها نتيجة خروجه ، ونحن لا نرى هذا كثيراً في الدنيا ، فهل الإنسان أكثر عدلاً من الله تعالى ؟!! لقد اقتضى عدله أن تكون الدنيا دار ابتلاء واختبار وأن تكون الآخرة هي دار الجزاء الحق ، دار التحقيق العدل الإلهي) [١] يقول العادل الحكيم ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ويقول ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون : ١١٥ – ١١٦ .

---

(١) نظرات في العقيدة الإسلامية ص ٢٩٥ د / محمد الأنور ط ثالثة ٢٠٠٠ م .

الشعائر التعبدية والبهائية

من الشعائر التعبدية التي أسهبت في الحديث عنها الشريعة الإسلامية مستمدة التفاصيل والأدلة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة الصلاة والصيام والزكاة والحج ....

فقد اعتبرت المدخل للصلاة الوضوء فتحدثت عن فرائضه وسننه ومكروهاته ونواقضه ، كما تحدثت عن الغسل ولماذا يكون وكيف يكون ، والمياه التي يغتسل بها أو يتوضأ بها ... إلخ .

وتحدثت عن منزلة الصلاة في الإسلام وأنها فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل ، وحكمت على منكرها بأنه كافر كفر ملة ، يستوجب الخلود في النار ، أما المتهاون دون إنكار لأي سبب من الأسباب فأجره موكول إلى الله تعالى إن مات على تهاونه .

وكمدخل لأي فريضة من فرائض الصلاة ، والتي هي الصبح والظهر العصر والمغرب والعشاء سنت الآذان وحددت كيفيته بتوقيف من الرسول ﷺ .

كما أشارت إلى القبلة التي يجب أن يتجه إليها المسلمون في صلاتهم ، وهي بيت الله الحرام يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة : ١٤٩ – ١٥٠ .

وتناولت الشريعة من خلال القرآن الكريم كل ما يتصل بالصلوات الخمس من ناحية ركعات كل صلاة والوقوف في كل ركعة وما يقرأ فيها وما يقال في الركوع والسجود ثم القيام والتشهد كله إن كانت الصلاة ثنائية في نهايتها – أي صلاة الصبح – ونصف التشهد بعد ركعتين إن كانت ثلاثية – صلاة المغرب – أو رباعية – صلاة الظهر والعصر والعشاء – ثم التشهد من أوله لأخره في نهاية هذه الصلوات .

كما تحدثت الشريعة الإسلامية عن سنن الصلاة وما يباح فيها ومكروهات ومبطلات الصلاة وقضاؤها لمن فاته وقتها وصلاة الجماعة وأهميتها وبمن تتم والشروط التي يجب أن تتوافر في الإمام وماذا عليه أن يفعل ... وهكذا لم تترك الشريعة أي شيء يتصل بالصلاة إلا وتناولته بالتفصيل .

١ – البهائية والصلاة :

وجاء البهاء – حسين علي المازندراني في القرن التاسع عشر الميلادي بدعوى ، قال بها من قبله علي محمد الشيرازي المعروف بالباب وملخصها أن دورة الشريعة الإسلامية قد انتهت بمجيئه وإنه أتى بشريعة جديدة تنسخ شريعة الإسلام . وأن شريعته ستبقى لألف سنة ثم يأتي رسل بعد هذا يغيرون ويبدلون .

فماذا عن الصلاة التي يقول عنها الإسلام إنها الصلة بين العبد وربه ، وأن من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

يبدوا أن البهاء والبهائية لا يريدون هذه المعاني وإنما يبحثون عن ما يشوش على الإنسان إنسانيته .

فالبهاء يقول إنها فرض وابنه عبد البهاء يؤكد مـــا يقولـــه الأب ، وأن فرضيتها تبدأ على الإنسان مع بدء البلوغ .

يقول حسين علي المازندراني – البهـــاء – وفـــرض علـــيكم الصـــلاة والصيام من أول البلوغ أمراً من لدن الله ربكم ورب آبائكم الأولين " ويؤكـــد ابنه القول بفرضيتها " وإن الصلاة مفروضة ولا عذر للإنسان بأي حال فـــي تركها إلا إذا كان معتوهاً أو منعه مانع قهرى " .

هذا جميل !! ولكن كم عدد الصلوات ؟ وما عدد ركعاتها ؟ ومـــا هـــو وقتها ؟ وكيف تؤدى ؟ وماذا يقرأ فيها ؟ وإلى أين يتجه المصلي ؟ يريد البهاء أن يخفف عن القوم ، ولهذا يقول هي صلوات ثـــلاث : صـــغرى ووســـطى وكبرى ، وعدد ركعاتها تسع ركعات ووقتها الزوال والبكور والآصال .

يقول البهاء " قد كتبت عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وعفونا عن عدة أخرى أمراً في كتاب الله إنـــه لهو الآمر المقتدر المختار " (١).

وهذه التسع ركعات يبدوا إن عباس أفندي ابن البهاء لم يسترح لها كثيراً ولهذا خفضها حينما سئل هل تجب الصلوات الثلاث كما تنزل – وكان كتاب إلهي – في الأقدس – أم لا فقال " إن الصلوات الثلاث ليست واجبة بل تكفي عنها الواحدة أي إذا صلى الصغرى فلا حاجة إلى الكبرى والوسطى ، وهكذا إذا صلى الوسطى لا يحتاج إلى أن يصلي الكبرى والصغرى " (٢).

وعن كيف تصلي لم يرد في كتابات البهائية أي إشارة تحـــدد الكيفيـــة وإنما ورد فقط أنه يكفي فيها ترديد أدعية قال بها البهاء ومنها شهد الله إنه لا

---

(١) البهائية – إحسان إلهي ظهير ص١٥٩ نقلاً من الأقدس الفقرة ١٣ .

(٢) البهائية نقلاً عن رسالة سؤال وجواب المندرجة في حدود وأحكام ص ٢٦ .

إله إلا هو المهيمن القيوم فإن قال هذا فقد أدى الصلاة وفي السفر يكفي في الصلاة أن يقول ساجداً سبحان الله (١).

ولما كانت البهائية ليست سماوية وإنما هي دعوى إنسانية مترهلة تستمد جذورها من اليهودية والنصرانية والزرادشتية والمجوسية ... إلخ .

فإننا نرى أن القبلة في الصلاة في حياة البهاء هي المكان المتواجد فيه فهي متغيرة بناء على حركته وانتقالاته .

ولما مات ودفن بعكا بفلسطين المحتلة فإن البهائيين يتوجهون في صلاتهم البهائية إلى قبر البهاء في عكا ويكفي هذا التوجه ليؤكد أنها ديانة مصطنعة تستمد جذورها من الصهيونية العالمية .

وإذا كان عبد البهاء قد اختصر الصلوات الثلاث إلى صلاة واحدة ، فإن الأب حسين علي المازندراني قد رأى أن صلاة الجماعة تجعل جماعية يصلون مثل المسلمين ولهذا أراد أن تنقطع الصلة تماماً بالإسلام فحرم في ديانته المصطنعة صلاة الجماعة ، وأبقاها فقط في صلاة الجنازة يقول البهاء " كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة إلا في صلاة الميت لهو الآمر الحكيم " (٢).

٢- البهائية والصيام :

والصيام في الإسلام ركن من أركانه ، وفرض عين على كل مسلم ومسلمة ، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والجماع و .... من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وحدد كفرض بشهر رمضان يقول سبحانه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن

---

(١) البهائية ص ١٥٩ نقلاً عن الأقدس الفقرة ٣٢ .

(٢) الأقدس الفقرة ٣٠ نقلاً عن البهائية .

شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة : ١٨٥ .

وقد بينت الشريعة كل ما يتصل بالصوم معناه – أقسامه – صوم رمضان على من يجب – من يرخص له بالفطر – الأيام المنهي عن الصيام فيها – آداب الصيام – مباحات الصيام – ما يبطل الصوم – قضاء الصيام – ما يستفاد من الصوم .... إلخ .

وكان ويكون الاعتماد الدائم في الشريعة الإسلامية على المصدرين الأساسيين المقدسين القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة ثم يأتي الإجماع والقياس وغيره من المصادر بعد الأصلين الأساسيين .

والسؤال هل منطلق البهائية في الصوم هو شرع الله ؟!!

ومتى يكون الصوم عندهم ؟ وكيف يكون وهل يمكن مقارنته بالصوم في الإسلام ؟

للإجابة نقول : أن السنة عندهم تسعة عشر شهراً والشهر عندهم تسعة عشر يوماً .

وهم يصومون في الشهر التاسع عشر والمسمى عندهم بشهر العلاء وهو الموافق للشهر الميلادي مارس ويبدأون الصيام مع بدايات مارس ولتسعة عشر يوماً التي هي شهرهم العلاء وبعدها مباشرة يكون عيد النيروز الفارسي الذي هو عيدهم حيث يحتفلون فيه .

وفرضية الصوم عندهم مستمدة من كتاب الأقدس الذي يقول فيه البهاء : " قد كتبنا عليكم الصيام أياماً معدودات وجعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها ، كذلك أضاء شمس البيان من أفق الكتاب من لدن مالك المبدأ والكتاب " (١).

ويؤكد فرضيته بقوله " هذه حدود الله التي دفعت من الفهم الأعلى في الزبور والألواح " (٢).

والصوم عندهم هو الامتناع فقط عن المأكل والمشرب من الفجر إلى المغرب أما معاشرة نسائهم جنسياً أما غير ذلك من الأشياء فليس بممنوع أو محرم .

يقول حسين علي المازندراني عن الصيام " كفوا أنفسكم عن الأكل والشرب من الطلوع إلى الأفول ، إياكم أن يمنعكم الهوى عن هذا الفضل الذي قدر في الكتاب " (٣).

إن الصوم في الإسلام له قدسيته لأنه مستمد من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى يقول القرآن الكريم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ النجم : ٣ – ٤ .

أما في البهائية فهو صناعة بشرية استمدها دعي كذاب من خليط باطني من الأفكار .

٣- البهائية والزكاة :

تحدثت الشريعة الإسلامية عن الزكاة من كل جوانبها وبالذات معناها – ومتى فرضت ؟ والدليل على فرضيتها – وعلى من تجب ؟ وفيم تجب ؟

---

(١) الأقدس الفقرة : ٤٠ .

(٢) نفسه الفقرة : ٤٥ .

(٣) الأقدس الفقرة ٤٧ نقلاً عن البهائية لظهير ص ١٦٥ .

ولمن تدفع ؟ وما مقدارها ؟ وأجابت عن هذا السؤال : هل في المال حق للفقراء والمساكين سوى الزكاة ؟ ومع الحديث عن الزكاة تحدثت أيضاً عن كل ما يتصل بزكاة الفطر وفي هذا كله كان مرجعها الأساسي القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .

فماذا عن الزكاة في البهائية ؟

أما عن وضع الزكاة ، ومن يدفعها ؟ ولمن تعطى ؟ وكم هو مقدارها ؟ وما وقتها ؟

فإن البهاء يؤكد أنها مكتوبة حيث يقول " وقد كتب الله عليكم تزكية الأقوات وما دونها بالزكاة هذا ما حكم به منزل الآيات في هذا الرق المنيع " [1].

وجاء في الأقدس " من يملك مائة مثقال من الذهب يؤخذ منه تسعة عشر مثقالاً " .

والباحث المدقق يحار حينما يبحث عن إجابات لكثير من الأسئلة تتصل بالزكاة في البهائية – حتى بيت العدل الذي أسس بعد البهاء لهذا الغرض لم يعط أي إجابات .

فهل تصلح هذه البهائية بغموضها ونقصها وتناقضها في نسخ شريعة الله التي هي شريعة الإسلام ؟!!

٤- البهائية والحج :

وتناولت الشريعة الإسلامية الحج من كل جوانبه معناه – فرضيته – الأدلة على فرضيته – على من يجب – وقته – وإلى أين يكون الحج وكيف

---

(١) الأقدس فقرة ٣٥ نقلاً عن البهائية لظهير ص ١٦٨ .

يكون – آدابه – المحظورات وكان المرجع الرئيس في كل نقطة هو القرآن الكريم والسنة المطهرة .

فماذا عن الحج في البهائية ؟

لم ينس البهائيون الحديث عن الحج فقالوا إنه مكتوب ، ولم يحددوا له وقتاً معيناً ، وهو مكتوب على الرجال فقط ، أما النساء فقد أعفاهم حسين علي المازندراني من هذه الفريضة من باب التخفيف عليهن .

يقول البهاء " قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت دون النساء عفا الله عنهن رحمة من عنده " (١).

وكانت قبلة الحجيج البهائي شيراز بإيران حيث ولد علي محمد الشيرازي (الباب) .

فلما مات حولت البهائية قبلتها في الحج إلى بغداد بالعراق حيث يوجد بيت البهاء .

ولما مات البهاء ودفن بعكا بفلسطين المحتلة صارت كعبة البهائيين التي يحجون إليها حيث قبر البهاء – عكا – تقول البهائية " الحج للبيت الأعظم في بغداد وبيت النقطة في شيراز " (٢).

أمور أخرى تتصل بالبهائية من أهمها :

١- القول بوحدة الأديان .

٢- القول بالسلام العالمي .

٣- التسوية بين الرجال والنساء وبخاصة في الميراث .

٤- القول بوحدة اللغة .

---

(١) الأقدس فقرة ٦٨ – البهائية لظهير ١٧٠ .

(٢) خريطة حدود وأحكام الباب الخاص في حج البيت ص ٦٨ ، البهائية لظهير ١٦٩ .

القرآن الكريم والبهائية

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى ، المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ ، المتعبد بتلاوته ، والمعجز بأقصر سورة فيه ، والمشتمل على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، والخاتم للكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى والمهيمن عليها .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة : ٤٨ .

وجل القرآن آيات محكمات ، وبعضه آيات متشابهات ، يقول عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ آل عمران : ٧ .

والمحكم هو ما أحكم المراد به عن التغيير والتبديل ، أو هو ما دل على معنى لا يتعداه إلى غيره أو معان متعددة .

أما المتشابه فهو اللفظ الذي يقبل أو يدل على معان متعددة مثل لفظ اليد في قوله تعالى ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

فاللفظ يدل على القوة والبطش والغلبة والهيمنة والسيطرة واليد ذات الكف والأصابع . ومثل قوله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه : ٣٩ .

فاللفظ يدل على الحفظ والرعاية والعناية والمراقبة والبئر والجاسوس والذهب ، كما يدل على الحاسة الباصرة .

وقد ذهب بعض العلماء ومنهم الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة إلى أن التعامل مع الآيات والأحاديث التي يوحي ظاهرها بالتشابه بين الله وخلقه ، أو يشير إلى التجسيم أو التشبيه ، يكون باللجوء للتأويل .

ويعنون بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى يحتمله السياق ، أي إلى معنى مرجوح ، بشرط أن تكون هناك ضرورة للتأويل ، وأن يكون المعنى المرجوح يحتمله السياق ، وأن يكون موافقاً للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة ومتمشياً مع اللغة العربية والعقل البشري السليم .

وللتوضيح نضرب هذا المثال :

يقول سبحانه وتعالى ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ آل عمران : ٢٧ .

فإن أريد به إخراج الطير من البيضة وإخراج البيضة من الطير كان تفسيراً صحيحاً .

وإن أريد به إخراج المؤمن من الكافر أو الكافر من المؤمن ، أو أريد به إخراج العالم من الجاهل أو الجاهل من العالم كان تأويلاً صحيحاً [١].

١ - الشيعة وقولهم بالظاهر والباطن :

أما إذا اعتمد المؤول على إتباع هواه ، لتحقيق رغبات جامحة ، وضرب بكل أسس التفسير الصحيح ، والتأويل الصحيح ، عرض الحائط ، فلا يعتد بتأويله ولا بتفسيره .

---

(١) راجع التعريفات للجرجاني ص ٥٠ .

وفي الماضي البعيد لجأ الشيعة وبالذات الشيعة الإسماعيلية وما تفرع منها إلى القول بالظاهر والباطن ، وقالوا أن الظاهر هو القشر وهو مطلب العوام ، أما الباطن فهو اللب وهو مطلب الخواص .

ومن خلال قولهم هذا ورغبتهم في التشكيك في الإسلام والتشويش على القرآن الكريم راحوا يفسرون القرآن الكريم بهواهم باسم المعنى الباطن المراد .

وللتوضيح نذكر صوراً موجزة ، لأن البهائيين والقاديانيين وغيرهما ساروا على نفس الدرب الباطني القديم مع بعض الاختلافات في التأويل التي تتمشى مع أهوائهم وميولهم الفاسدة .

فقد فسر عبد الله بن سبأ اليهودي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ القصص : ٨٥ . بأن قال برجعة محمد ﷺ إلى الحياة الدنيا وقبل القيامة ، ولم يكن هذا حباً في محمد ﷺ وإنما أراد أن يلقي بأفكار ليست إسلامية في الفكر الإسلامي بهدف تفريق المسلمين والتشويش عليهم .

وفسر بيان بن سمعان التميمي وهو رأس الفرقة البيانية قوله تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران : ١٣٨ ، بقوله أنا البيان وأنا الهدى والموعظة .

وفسر قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ القصص : ٨٨ . وقوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ الرحمن : ٢٦ – ٢٧ . حيث قال أن الله تعالى يهلك كله ولا يبقى منه إلا الوجه .

وأول أبو منصور العجلي زعيم المنصورية قوله تعالى ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ الطور : ٤٤ . حيث قال بإنه الكسف الساقط من السماء الوارد في الآية .

وأول هو وأصحابه الجنة بأنها رجل أمرنا بموالاته – أي أبو منصور – وهو الإمام والنار برجل أمرنا بمعاداته وهو ضد الإمام .

والفرائض رجال أمرنا بموالاتهم ، والمحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم (١).

على نفس الدرب سار البهاء والبهائيون واجتهدوا في إخضاع النص القرآني لنبوة زائفة للبهاء ، ودعوة لا صلة لها برب السماء والأرض .

لجأ البهاء وإتباعه لما يسمى بالتفسير أو التأويل الباطني وانطلقوا من خلال هذا التأويل للتشكيك في القرآن الكريم وفي الإسلام ، والدعوة إلى نبوة جديدة ودين جديد .

٢- صور من تأويلات البهائية للقرآن الكريم :

من هذه الصور :

١- ما ورد في القرآن الكريم عن الصراط والصلاة والزكاة والصيام والكعبة والبلد الحرام ، المراد به عندهم هم الأئمة .

وبهذا التأويل يبتعدون كلية عن ما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في شأن الصراط وهو الجسر الممدود فوق جهنم والذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة والذي تمر عليه الخلائق ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ يس : ٦٦ . وفي شأن الصلاة

---

(١) راجع الفرق بين الفرق للبغدادي في مواضع متعددة . والتفسير والمفسرون د / محمد حسين الذهبي ص ١٢ وما بعدها .

والزكاة يقول سبحانه ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وقوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ .

وفي شأن الصيام يقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة : ١٨٣ .

ويقول ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وفي شأن الكعبة يقول سبحانه ﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ المائدة : ٩٧ .

وهم بهذا التأويل يشبعون رغبات خبيثة عندهم ، ويجهدون أنفسهم في صرف المسلمين عن المعاني الصحيحة ويشككون في الصراط والصلاة والزكاة والحج والبيت الحرام حيث يحصرون المعنى في الأئمة .

٢- يؤولون قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ إبراهيم : ٢٧ ، حيث يقولون إن المراد بالحياة الدنيا الإيمان بمحمد ﷺ ، والمراد بالآخرة الإيمان بنبوة حسين علي المازندراني .

٣- يؤولون قوله تعالى ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ يقولون بأن الفريق الأول الذي هدى هو من آمن بنبوة بهاء الله . أما الفريق الذي حق عليه الضلالة فهو من رفض الإيمان بنبوته وسخر مما يقول .

٤- يؤولون قوله تعالى ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ أي ذهب ضوءها . ويقولون إن الشريعة الإسلامية ذهب ضوءها وزمانها ، وجاء زمان شريعة البهاء .

٥- ويؤولون قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ بالقول بأن الدساتير الحديثة قد ظهرت .

وهم بهذا التأويل وبتأويل ما يلي من سورة التكوير ، يعلنـون أن هـذه علامات على ظهور البهاء .

بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ .

يؤولونها بالقول عطلت أي استبدلت بالقاطرات البخارية .

وفي قوله تعـالى ﴿ وَإِذَا الْوُحُـوشُ حُشِـرَتْ ﴾ أي أنشـأت حـدائق الحيوانات .

ويقولون في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي أنشأت البواخر .

ويؤولون قوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُـوسُ زُوِّجَـتْ ﴾ أي اجتمـع اليهـود والنصارى والمجوس على دين واحد وهـو ديـن الميـرزا حسـين علـي المازندراني الملقب بالبهاء .

ويؤولون قوله تعالى ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أي انشقت أي أن الشريعة الإسلامية بادت ، ولم تعد صالحة للاستظلال بها .

ويؤولون قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ الزمر : ٦٧ . يقولون المقصود هو الأديان السبعة – هكـذا – البرهميـة والبوذيـة والكونفوشيوسية والزرادشتية واليهودية والنصرانية والإسلام ، إنهـا جميعـاً مطويات بيمينه أي بيمين ميرزا حسين علي البهاء [١].

يقول الدكتور الذهبي " والبهائيون لا يعترفون بالبعـث ولا بالجنـة ولا بالنار حيث يفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسـين الملقـب ببهاء الله . ويؤكد ما يقول بنص نقله من كتاب بهاء الله والعصر الحديث يقول فيه مؤلفه " وطبقاً للتفاسير البهائية يكون مجيء كل مظهر إلهي عبارة عـن

---

(١) راجع حقيقة البابية والبهائية ص ١٧٧ وما بعدها د / محسن عبد الحميد .

يوم الجزاء ، إلا أن مجيء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي تعيش فيها " (١).

ولعلنا نشاركك أيها القارئ العزيز كما نشارك الدكتور محسن عبد الحميد في طرح هذا السؤال لماذا كل هذا العنت والظلم للنصوص الصحيحة والخروج عن ما يفهم بطريقة جادة وموضوعية من ألفاظ اللغة وتراكيبها .

لماذا هذا اللي للحقائق ؟ وتحميل الألفاظ ما لا يمكن أن تحتمله ؟

لقد أراد الباطنيون القدامى الكيد للإسلام والنيل من عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، وخلخلة الأسس التي يقوم عليها ، وإيقاع الناس وبخاصة من هو على دين الإسلام في حيص بيص أي في بحر متلاطم الأمواج مليء بالشرك والوثنيات .

أراد البعض منهم أن يرتب على تخبطاته القول بحلول اللاهوت في الناسوت والقول بقدم العالم وتناسخ الأرواح ، وأن الثواب والعقاب أمور دنيوية أي لا توجد قيامة ولا جنة ولا نار والثواب هو تقمص الروح لجسد غير جسدها والارتقاء إلى درجة الإمام والعقاب عكس ذلك تماماً .

وأراد البعض نفي وجود الملائكة ، والقول بكتب كثيرة مقدسة تأتي بعد القرآن وبرسل كثيرين يأتون بعد محمد ﷺ وليس ببعيد بيان بن سمعان النهدي الذي ظهر في العراق في القرن الثاني من الهجرة وادعى أنه نبي وأنه جاء لنسخ بعض شريعة محمد ﷺ (٢).

---

(١) التفسير والمفسرون د / محمد حسين الذهبي ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) راجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج ١ ص ١٦ وانظر الشيعة بين الغلو والاعتدال د / محمد الأنور عيسى .

وليس ببعيد المغيرة بن سعيد العجلي الذي زعم أنه نبي وأن معبوده رجل من نور على رأس تاج وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجال وله جوف وقلب [١].

وليس ببعيد دعوى أبي منصور العجلي بأنه نبي ورسول وأن الله عرج به إليه ، وأنه تعالى اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وأن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله [٢].

والمنصورية أتباع أبي منصور ينكرون الجنة والنار ويقولون إن الجنة هي النعيم في الدنيا والنار هي المصائب والمحن في الدنيا [٣].

وليس ببعيد أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الذي ادعى أن الأئمة أنبياء وأن الله حل في محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة [٤].

وتعاصرنا فرقة الدروز وهم يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله والنصيرية وهم يقولون بألوهية علي بن أبي طالب [٥].

والقاديانية قال مؤسسها ميرزا غلام أحمد القادياني بأنه نبي ورسول وأنه يوحى إليه .

لا أريد الاستطراد وإنما فقط أؤكد أن ما أراده الباطنيون القدامى هو نفس ما أراده حسين علي المازندراني .

---

(١) التبصير في الدين للأسفرايني ص ٧٣ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٠ .

(٤) راجع الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٤٠ .

(٥) راجع الشيعة بين الاعتدال والغلو د / محمد الأنور .

وتفسيراته الباطنية التي ذكرنا بعضها يريد من خلالها أن يقول – ظلماً وكذباً وعدواناً – أن آيات القرآن الكريم تشير إلى مجيئه وتؤكد هذا المجيء .

يجيب د / محسن عبد الحميد عن السؤال لماذا يؤول البهائيون الآيات بهذه التأويلات العجيبة ... ؟

حيث يقول : " إنهم يحاولون ذلك لكي يتوصلوا عن طريق تلك الأباطيل إلى أن القرآن قد بشر بمجيء البهاء ... عند ظهور القاطرات وإنشاء حدائق الحيوانات وصنع البواخر والسفن وامتزاج اليهود والنصارى والمجوس وشق القنوات ... وبما أن الميرزا ظهر في هذا الزمان ، إذن فهو المقصود بهذه الآيات وهو النبي الذي يجب أن يؤمن به جميع أهل العالم " [١].

ما ذكرناه عينة من تأويلاتهم للقرآن الكريم ، والتي أرادوا بها خدمة أغراضهم الدنيئة ، وإبعاد المسلمين عن المعاني السامية في القرآن الكريم أو على الأقل التشكيك وتشويه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ غافر : ٤ – ٦ .

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ١٧٨ وما بعدها .

٣- موقف البهائيين من بعض ما ورد في القرآن الكريم :

ذكرنا القليل من تأويلات البهائيين لما ورد في القرآن الكريم ونذكر القليل أيضاً من مواقف مضادة لما ذكر في القرآن .

فمع قولهم أنهم يؤمنون بالقرآن الكريم ، وأنه كتاب منزل من عند الله تعالى ، وأنه نزل على محمد ﷺ .

إلا أنهم يقولون إن القرآن بحكم دورات النبوة نسخه كتاب البيان الذي جاء به محمد علي الشيرازي الملقب بالباب . ثم بمجيء حسين علي المازندراني - بهاء الله - فإنه نسخ بكتابه - الأقدس - كتاب البيان للشيرازي وعاد وأكد نسخ القرآن الكريم .

ومع قولهم بأنهم يؤمنون بالقرآن الكريم ككتاب مقدس منزل من عند الله تعالى ، إلا أنه نسخ بعد ذلك بالبيان والأقدس . فإنهم يقولون بكلام يتناقض كله مع ما يقول به القرآن الكريم ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١- القرآن الكريم المنقول بالتواتر المأمون من الخطأ ، والمحفوظ بحفظ الله يؤكد باللفظ الصحيح والصريح أن اليهود والنصارى حرفوا التوراة والإنجيل يقول سبحانه ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ النساء : ٤١ . ويقول عز وجل ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ المائدة : ١٣ - ١٤ . ويقول سبحانه ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ

فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٧٥ .

١- يرفض البهائيون بشدة القول بتحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل " حيث يعقد طاغوت البهائية ميرزا حسين علي المازندراني فصلاً في كتابه الإيقان يقول فيه : " إن التوراة والإنجيل لم يعتريهما التبديل والتحريف " .

وهذا تكذيب واضح لما قال به القرآن الكريم .

ومن عقيدتنا الإيمان بالتوراة والإنجيل لقول الرسول ﷺ حينما سأله جبريل عن الإيمان " إن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " .

فالإيمان بالتوراة الصحيحة وبالإنجيل الصحيح من أركان الإيمان أي بالكتب السماوية .

لكن القرآن الكريم يشير إلى تحريف اليهود لتوراتهم وتحريف النصارى لإنجيلهم ونحن نصدق تصديقاً قلبياً جازماً مع الإذعان بما جاء في القرآن لأنه منقول بالتواتر المأمون من الخطأ .

ودراستنا للتوراة والإنجيل تؤكد ما قال به القرآن الكريم من تحريف وتبديل وتغيير في الكتابين المقدسين .

فالله في العقيدة الإسلامية واحد أحد فرض صمد ليس كمثله شيء موصوف بكل كمال ومنزه عن أي نقص .

وفي التوراة المتداولة بين الناس نصوص تصف الله سبحانه وتعالى بكل نميم من الصفات مما يؤكد أن هذه النصوص ليست من عند الله وإنما هي من تحريف البشر .

وعلى سبيل المثال فقط :

يقول سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر ٢١ – ٢٢ " وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحاب بالنهار ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً ، ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أيام الشعب " .

وهذا باختصار تجسيم لله تعالى الذي يقول في قرآنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وتحكي التوراة قصة بدء الخلق وفيها يقول في سفر التكوين الإصحاح الثاني ٢ – ٣ " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع – هكذا – من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل " .

فأي إله هذا الذي يتعب من خلقه والقرآن الكريم يقول ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ أي تعب سورة ق : ٢٨ .

والإله في التوراة المتداولة لا يعرف إلا بعلامة محددة يقول سفر الخروج الإصحاح الثاني عشر ١٢ – ١٤ " فأني اجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً لكل آلهة المصريين أنا الرب – أرجو الانتباه – ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة الهلاك حين أضرب أرض مصر " .

في سفر التثنية الإصحاح العشرون ١٠ – ١٥ الإله يدعو للعنصرية وسفك الدماء ويقول الإصحاح " حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك – أرجو الانتباه – فكل

الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم ... هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ... وأياً من هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك غصباً فلا تستبق منها نسمة ما " انتهى .

فإذا لم يكن هذا تحريفاً وتبديلاً حدث في توراة موسى فأي تحريف وتبديل ينكره حسين علي المازندراني – البهاء – .

والأنبياء هم الصفوة وهم المزودون بكل كمال في خلقهم وكمال في أخلاقهم وهم المعصومون ويحملون كلمة السماء .

هؤلاء الأنبياء الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان موصوفون بكل كمال ومنزهون عن أي نقص .

لكن التوراة المتداولة بين الناس تصفهم بصفات لا يرضى بها أحقر إنسان في هذا الوجود .

راجع ما ورد في شأن إبراهيم – عليه السلام – في سفر التكوين الإصحاح ١٢ والإصحاح ٢٠ وفي القرآن الكريم يقول ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات ١٠٩ – ١١١ .

وراجع ما جاء في شأن نوح – عليه السلام – سفر التكوين الإصحاح التاسع .

وفي شأن لوط راجع سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر ، وفي شأن إسحاق ويعقوب راجع التكوين الإصحاح السابع والعشرون .

وفي شأن موسى راجع سفر التثنية الإصحاح ٣٤ وفي شأن هارون راجع سفر الخروج الإصحاح ٢٢ وبمراجعة هذه القصص وغيرها مما ورد

في التوراة يستبين بدقة ما فعل الإنسان من تغيير وتبديل وتحريف في التوراة [١] فأي تبديل وتحريف ينكره البهائيون .

وعيسى – عليه الصلاة والسلام – في كثير من نصوص الإنجيل يؤكد إنسانيته وإنه نبي ورسول وأن مرسله هو الله وأنه مرسل لخراف بني إسرائيل الضالة ، وأنه ما جاء لينقض الناموس بل جاء ليكمل وأن دعوته هي السلام والمحبة وهو القائل (طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يدعون) .

دعوة المسيح – عليه السلام – التي جاء بها من عند ربه سبحانه هي دعوة صحيحة وصريحة في العقائد والأخلاق وما جاء به من تشريعات تكمل ما ورد في التوراة .

إلا أن عوامل كثيرة أدت إلى التحريف والتبديل .

منها على سبيل المثال فقط تآمر اليهود عليه وتكذيبهم لدعوته والظهور المفاجئ لشاول أو بولس وما أدخله في النصرانية من أفكار وعقائد وشرائع لم يقل بها السيد المسيح – عليه السلام – ثم الاضطهادات التي تعرض لها النصارى في العصور الرومانية والتي أدت إلى إبعاد النصارى عن مسيحية المسيح .

بالإضافة إلى ما أحدثته المجامع الكنسية من عقائد وتعاليم .

ونذكر فقط بعض القرارات التي اتخذها مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م وهو المسمى بالمجمع المسكوني الأول :

١- لعن آريوس وأصحابه وكل من يعمل بتعاليمه .

---

(١) راجع بحوث في اليهودية د / محمد الأنور عيسى – صفات الأنبياء عند اليهود ص ١٠٤ .

٢- القول بأن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق .

٣- القول بإلهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر .

٤- اختيار أربعة أناجيل - هكذا مع أن ما جاء به عيسى - عليه السلام - إنجيل واحد - من الأناجيل الكثيرة التي يربو عددها على المائة وحرق ما عداها [١].

وإذا لم يكن ما فعله من الأمور السابقة من تحريف وتبديل وتغيير فأي معنى يرفضه حسين علي المازندراني .

٢- وقصة صلب المسيح ينفيها القرآن الكريم بصريح اللفظ حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .

يقول ابن القيم " وقد اختلف في معنى قوله تعالى ﴿ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه ، بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه - وهو هنا يهوذا الأسخريوطي - وقيل المعنى ولكن شبه لنصارى أي حصلت لهم الشبه في أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب ، ولكن لما قال أعداؤه - وهم هنا اليهود - أنهم قتلوه وصلبوه ، واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبه في أمره .. [٢].

---

(١) راجع هداية الحيارى ص ١٧٥ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٦٨ .

فما يقول به عبد البهاء عباس أفندي الوارث لضلالات أبيه وما هو عليه أتباعه من البهائيين من الإصرار على أن المسيح صلب وقتل قول لا يستند لأصل صحيح ولا للعقل واع .

يقول عبد البهاء " ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمة الحق المتعال في عالم الجسد – أي أنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت – إذ وقعت في أيدي اليهود أسيرة ككل ظلوم وانتهى الأمر بالصلب " (١).

٣- والقرآن الكريم يؤكد باللفظ الصريح أن عيسى مخلوق ، وأنه بشر ، وأنه ابن مريم ، وأنه مثل آدم مخلوق من تراب ، وأنه رسول كباقي الرسل يقول سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء : ١٧١ . ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران : ٥٩ .

وفي هذا رد صريح وصحيح على كل من يقول على عيسى بن مريم ويقول بدعاوى لا تستند إلى نص صحيح ولا عقل حصيف جاد بأن أمثال ما يقول به عبد البهاء عباس أفندي إن المسيح ليس من نسل آدم " فحقيقة المسيح التي هي كلمة الله لا شك أنها من حيث الذات والصفات والمجد مقدمة على الكائنات .. ويضيف – يعني ليست الحقيقة المسيحية من سلالة آدم بل هي وليدة روح القدس " (٢).

---

(١) معاوضات عبد البهاء ص ١٠٢ وانظر حقيقة البابية والبهائية ص ٢٠٤ .

(٢) المصدران السابقان .

وفي النص ﴿ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أي أنه مكون بكلمة كن التكوينية فلم يأت مستنداً إلى الأسباب الظاهرة لقاء زوج بزوجته وتكون النطفة وإنما جاء بكن فكان .

ومن معاني الكلمة البشارة بقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وفيه أيضاً ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يقول القرطبي " وهذا هو الذي أوقع النصارى في الضلال ، فقالوا عيسى جزء منه وضلوا – وعنه أجوبة ثمانية – الأول : قال أبي بن كعب خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردها إلى صلب آدم ، وأمسك عنده روح عيسى – عليه السلام – فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى – عليه السلام – ، فلهذا قال ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ وقيل هذه الإضافة للتفضيل ، وإن كان جميع الأرواح من خلقه ، وهذا كقوله ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ وقيل قد يسمى من ظهر منه الأشياء العجيبة روحاً وتضاف إلى الله تعالى فيقال هذا روح من الله أي من خلقه ... وقيل روح منه أي من خلقه . وقيل روح منه أي رحمة منه فكان عيسى رحمة من الله لمن أتبعه قال تعالى ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي رحمة ، وقيل روح منه أي برهان منه وكان عيسى – عليه السلام – برهاناً وحجة على قومه " (١).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله القرطبي م ٦ ص ٢٢ .

بعض الفتاوى في أمر البابية والبهائية

كنت أنقبت في بعض الكتب وبعض الدوريات عن فتاوى صدرت من الأزهر الشريف بصفته أعلى مرجعية دينية للمسلمين وبخاصة السنيون تحدد الموقف من البابية والبهائية .

وعثرت على الكثير من الفتاوى وحرت أيها أقدم وأخرجني من حيرتي كتاب قيم في موضوعه وموضوعيته وتأصيله لكل ما كتب فيه عنوانه (جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة في النصف الثاني من القرن العشرين) لمؤلفه الأستاذ الدكتور / صلاح محمود العادلي نشر مكتبة الصحابة الإمارات - الشارقة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

تحدث فيه المؤلف الجاد عن الكثير مما يتصل بالماركسية والماسونية والوجودية والبابية والبهائية والقاديانية .

وفي الكتاب وبدءاً من ص ٤٣٣ ذكر فتاوى أزهرية عن البابية والبهائية أنقلها بلفظها وبتوثيقها كما هي دون تدخل لأنها تؤدي إلى الغرض المقصود .

يقول المؤلف (المسألة التاسعة)

فتاوى أزهرية عن البابية والبهائية

أصدر الأزهر الشريف فتاوى عدة – وكذا اعتمد ما أفتى به غيره خارج مصر – بشأن البابية والبهائية :

فقد نوه الشيخ محمد الخضر حسين بفتوى علماء إيران عن البابية فقال : " تنبه علماء إيران للدعاية البابية ، فقاموا في وجهها وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا علي " الباب " مجالس للمناظرة :

أ- فرأى بعضهم ما في أقواله من غواية وخروج عن الدين ، فأفتى بكفره .

ب- ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة ، فنسبه إلى الجنون واختلال الفكر (١).

وأما البهائية - وهي التي حملت اللواء من البابية وذاع أمرها وشاع - فقد صدر بشأنها فتاوى أزهرية على مر السنين :

١- فأفتى الأزهر - في أوائل الخمسينات - بأن البهائيين مرتدون وخارجون عن دين الإسلام ، حيث نشرت مجلة الأزهر في باب الأسئلة والفتاوى ما يأتي :

" جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

١- ما رأيكم في النحلة البهائية ومعتنقيها من المسلمين ؟

٢- هل يرث معتنق البهائية من المسلم ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وعلى البيان المرفق الذي شرح به المستفتي مبادئ المذهب البهائي ، وتفيد بأن مذهب البهائية باطل ليس من الإسلام في شيء ، بل إنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجاً عن دين الإسلام .

---

(١) ينظر : البابية أو البهائية للشيخ محمد الخضر حسين ص ٨ ، ط مجمع البحوث ١٩٧٢ م ويقول الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسن في كتابه البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم " ص١٨ : بعد مناظرات طال أمدها حكم سبعون عالماً وفقيهاً ، بكفر الباب ومروقه من الدين وأفتوا بوجوب قتله .

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ، ويأباها كل الإباء ، منها :

أ- ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب .

ب- والألوهية لبعض آخر .

ج- وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب ، والكفر هو مخالفته .

د- وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلى غير ذلك .

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره ، وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقاً ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم [(١)].

٢- ثم تشفع مجلة الأزهر هذه الفتوى ، بنشرها لما اتخذته الدولة المصرية من إجراءات بشأن البهائية ، نشرت ذلك تحت عنوان : **البهائيون** ملاحدة مرتدون ولا دين لهم في قوانين الدولة المصرية " جاء فيه :

تلقت وزارة الداخلية كتاباً من وزارة الصحة بأن بعض معتنقي البهائية إذا بلغوا عن مواليدهم أو موتاهم ، تقيد أسماؤهم في سجلات المواليد أو الوفيات ، يصرون على كتابة " بهائي " في خانة ديانة المولود أو المتوفى ويطلبون تحرير شهادات الميلاد أو الوفاة متضمنة هذه الصفة ، وتقول وزارة الصحة : ولما كانت البهائية غير معترف بها من الدولة ، فالوزارة تخشى أن

---

(١) مجلة الأزهر المجلد ٢٤ ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م ص ٢٣٨ باب الأسئلة والفتاوى وقد عزز الشيخ عبد اللطيف السبكي رحمه الله عضو هيئة كبار العلماء في الخمسينات هذه الفتوى بالتنويه بها وبسط الكلام حولها ونشرها على صفحات مجلة الأزهر في مقالة " طوائف بهائية " بكتاشيه ثم جماعة التقريب بالمجلد ٢٤ عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - نوفمبر ١٩٥٢ م ص ٢٨٣ .

يتخذ هؤلاء من هذه الشهادة الرسمية دليلاً على الاعتراف بنحلتهم ، وأضافت أنها استطلعت رأي إدارة الشعبة الاجتماعية والثقافية بمجلس الدولة فتلقت منها كتاباً بتاريخ ١٨ مارس[١] الماضي بأن موضوع الدين البهائي سبق أن عرض على محكمة القضاء الإداري بمناسبة زواج أحد هذه الطائفة ، وعدم صرف العلاوة الاجتماعية له ، فرفع دعوى يطالب فيها بمنحه العلاوة من تاريخ عقد الزواج ، فرفضت المحكمة الدعوى وذكرت في حكمها أن هذا الدين ليس له وجود قانوني ، وأن من يعتنقه بعد أن كان مسلماً ، يعتبر مرتداً عن الإسلام ، والمرتد عن الدين زواجه باطل ، ولذا قررت الشعبة ، أنه لا يجوز إدراج أي بيان في الخانة المخصصة للديانة ، إذا أصر المبلغ على ذكر ما سماه بالدين البهائي ، وطلبت من وزارة الصحة إصدار التعليمات إلى المحافظات والمديريات للتنبيه على المختصين بمراعاة ذلك عند التبليغ عن الميلاد أو الوفاة ، أو عند طلب مستخرجات رسمية بأن يعمل خط أفقي في خانة الديانة دون ذكر اسم أي دين ، وبالفعل أذاعت وزارة الداخلية كتاباً على المديرين والمحافظين ، والهيئات الإدارية المختلفة بضرورة العمل بهذه التعليمات عند قيد المواليد أو الوفيات في السجلات الرسمية [٢].

٣- وتفتي " لجنة الفتوى " بالأزهر الشريف بعدم جواز : زواج المسلمة بالبهائي وقد نشرت مجلة الأزهر الشريف هذه الفتوى ، وهذا نصها :

" جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلي :

---

(١) عام ١٩٥٤ م .

(٢) مجلة الأزهر : المجلد ٢٥ عام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ص ١١٠٢ باب العالم الإسلامي في شهر عدد رمضان ١٣٧٣ هـ - مايو ١٩٥٤ م .

كريمة أحد أقاربي وهي مسلمة ، خطبها شاب مهذب من عائلة محترمة ، ولما تحرينا أمره وجدناه على مذهب " البهائيين " فهل يجوز زواج المسلمة بالبهائي ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن البهائية فرقة ليست من فرق المسلمين ، فإن مذهبهم يناقض أصول الدين الإسلامي وعقائده ، التي لا يكون المرء مسلماً إلا بالإيمان بها جميعها ، بل هو مذهب يخالف سائر الملل السماوية ، فلا يجوز للمسلمة أن تتزوج بواحد من هذه الفرقة ، وزواج المسلمة به باطل .

بل إن من اعتنق مذهب هذه الفرقة من بعد ما كان مسلماً ، صار مرتداً عن دين الإسلام ، فلا يجوز زواجه مطلقاً ، ولو ببهائية مثله ، والله أعلم (١).

٤- وينقل الأستاذ عبد الرحمن الوكيل فتوى قانونية بحل المحافل البهائية لتضاف إلى الفتاوى الشرعية ، فيقول :

" بعد كتابة هذه المقدمة - يريد مقدمة كتابه " البهائية ... " صدر عن رياسة الجمهورية هذا القرار العظيم ، الذي قضى على هذه الطائفة الصهيونية ، وإليكم بعض ما نص عليه قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالقانون رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠ م في شأن حل المحافل البهائية :

---

(١) مجلة الأزهر : المجلد ٢٥ عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م ، ص ١١٩٣ باب : الفتاوى .

مادة ١ : " تحل جميع المحافل البهائية ومراكزها الموجودة بإقليمي الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأي نشاط ، مما كانت تباشره هذه المحافل والمراكز " .

وقد صدر برياسة الجمهورية في ٢٥ من المحرم سنة ١٣٨٠ هـ يوليه سنة ١٩٦٠ م ونشرت بالجريدة الرسمية في ١٩ من يوليه سنة ١٩٦٠ م العدد ١٦١ (١).

٥- وفي منتصف الثمانينات عندما ضبطت أجهزة الدولة خلية بهائية : نهض الأزهر الشريف وأعلن رأي الإسلام في البهائية بأكثر من فتوى :

أ- ففي ملحق مجلة الأزهر الشريف لعدد شعبان ١٤٠٥ هـ - إبريل / مايو ١٩٨٥ م جاء في ثناياه إعادة لنشر فتوى " لجنة الفتوى " عام ١٩٥٢ م - والتي سبق ذكرها - وهي تذكر أن البهائيين مرتدون وخارجون عن الإسلام(٢) وأورد نفس هذه الفتوى الشيخ مصطفى محمد الحديدي ببحثه في نفس هذا الملحق .

ب- وأصدرت مشيخة الأزهر الشريف بياناً عن البهائية ومدعي النبوة ومما جاء فيه : " إن مذهب البهائية قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ، ويأباها كل الإباء ، منها :

- ادعاء أن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان .
- وادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب .

ومن ثم فهو مذهب باطل يرفضه الإسلام ...

---

(١) البهائية : تاريخها وعقيدتها ، للأستاذ / عبد الرحمن الوكيل ص ٤٠ .

(٢) يراجع : ملحق مجلة الأزهر لعدد شعبان ١٤٠٥ هـ إبريل / مايو ١٩٨٥ م بحث : البابية والبهائية في ميزان الإسلام، للشيخ مصطفى محمد الحديدي ص ٤٥ - ٤٦.

ويعلن الأزهر : أن من تبع هذا المذهب البهائي من المسلمين يكون مرتداً عن الإسلام وتنطبق عليه أحكام المرتدين " (١).

ج- ثم يصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بياناً صافياً عن البهائية والبهائيين ، نشرته مجلة الأزهر ، وكذا جريدة الأهرام ، القاهرية ، ومما جاء فيه :

بعد أن بين منافاة مبادئ البهائية للإسلام ، وذكر ما صدر من فتاوى ، وأحكام قضائية تجرمها قال : " وبعد .. فإن فيما تقدم تعرية للبهائية ، وكشف لخطوطها الفكرية الموجهة نحو العقيدة الإسلامية وجحودها ، بل وحربها الدائم منذ أكثر من قرن من الزمان على الإسلام والمسلمين وأنها تظاهر أعداء الأمة الإسلامية ، وتناصرهم في القضاء على هذه الأمة وعلى الإسلام .

أن مصر – وفيها الأزهر – الذي انعقدت لها به راية زعامة العالم الإسلامي ينبغي أن يطارد فيها كل فكر منحرف عن الإسلام بكل الحزم ، حتى تظل في مكان القيادة والريادة الإسلامية ...

وأن الأزهر ليهيب بالمسؤولين في جمهورية مصر العربية أن يقفوا بحزم ضد هذه الفئة الباغية على دين الله ، وعلى النظام العام لهذا المجتمع ، وأن ينفذوا حكم الله عليها ، ويسنوا القانون الذي يستأصلها ، ويهيل التراب عليها ، وعلى أفكارها ، حماية للمواطنين جميعاً من التردي في هذه الأفكار المنحرفة عن صراط الله المستقيم ...

ألا هل بلغ الأزهر ....

اللهم فاشهد ..... " .

---

(١) نشرت هذا البيان " مجلة الأزهر " في مجلدها السابع والخمسين ، عدد شعبان ١٤٠٥ هـ إبريل / مايو ١٩٨٥ م ، ص ١٢٦٩ – ١٢٧٠ .

خامساً : البعد القادياني

لمن تنسب القاديانية

تنسب القاديانية إلى ميرزا غلام أحمد القادياني المولود سنة ١٨٣٩ بقاديان وهي إحدى مدن ولاية البنجاب بالهند .

اشتهر والده بتعاونه التام مع الإنجليز ، وتلبية ما يوجهونه إليه ، كما اشتهر بمناصرته لطائفة السيخ .

يقول غلام أحمد عن ولاء والده وأسرته للحكومة الإنجليزية " لقد أقرت الحكومة بأن أسرتي في مقدمة الأسر التي عرفت في الهند بالنصح والإخلاص للحكومة الإنجليزية ، ودلت الوثائق التاريخية على أن والدي وأسرتي كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة ، من أول عهدها ... وقد قدم والدي فرقة مؤلفة من خمسين فارساً لمساعدة الحكومة الإنجليزية في ثورة عام ١٨٥٧ ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخي الأكبر غلام قادر بجوار الإنجليز " (١).

---

(١) كتاب البرمة الإعلان المؤرخ ٢٠ سبتمبر ١٨٩٧ ص ٣ – ٥ نقلاً عن القادياني والقاديانية لأبي الحسن الندوي – وعن مناصرة ميراز مرتضى والد ميرزا غلام أحمد لطائفة السيخ يقول أبو الأعلى المودودي في كتابه ما هي القاديانية ص١٠ – ١١ : " أن أسرة الميرزا غلام أحمد كانت تدين بالولاء الخالص الصادق لحكم السيخ الذين حكموا بعض مناطق الهند ... ومن المعروف أن السيخ كانوا ألد أعداء الإسلام والمسلمين ، فحين استولوا على مقاطعة البنجاب وما جاورها من البلدان ... أعملوا فيها أيدي السلب والنهب ... وكانوا يأتون المنكرات ، ويشفون غليلهم بقتل النساء والعجزة وهتك الأعراض ، وسفك دماء الأبرياء من أبناء الإسلام وإهانة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام . وقد كانوا طغاة غلاظاً ... إلا أن الميرزا غلام مرتضى لم يقصر في مساندة حكم السيخ الطغاة ... وكان بينه وبين الحكام السيخ الكثير من علامات الصداقة والود .

تلقى ميرزا غلام أحمد القادياني تعليمه على أيدي بعض الأساتذة الذين استجلبهم له والده في بيته ، وحصل من خلال هذا التعليم على قسط وافر من القرآن الكريم وعلومه ، والسنة المطهرة واللغة العربية والمنطق والفلسفة وبعض العلوم الأدبية .

وقد ساعده استعداده الذكائي ، والرغبة في التعليم على الإطلاع على كثير من كتب التفسير والحديث والتصوف والفرق وبخاصة الشيعة والملل والنحل المنتشرة في الهند وهي كثيرة .

وقد ساعدته ثقافته هذه فيما بعد في مناظراته الكلامية مع النصارى والهنود وغيرهم ، كما ساعدته على اختلاق الدعاوى وإيجاد تفسير لها وتأييدها ببعض الحجج وتطورها وفقاً لما يريده هو ، ولما يراد منه ، فهو يريد الشهرة والمال ، ويراد منه التشكيك والتفريق والإبعاد عن دين الله الحق .

حينما بلغ ميرزا غلام أحمد الخامسة والعشرين من عمره عمل موظفاً بالمحكمة الابتدائية بمدينة سيالكوت بالهند ، وبعد أربعة أعوام من شغله لهذه الوظيفة تركها ، وتفرغ لمساعدة والده في بعض أعماله أو مزارعه الخاصة .

- بعد وفاة والده سنة ١٨٧٦ ادعى أنه محدث من الله تعالى أو ملهم أو مكلم من الله .

- اشتغل في مجال الدعوة الإسلامية من سنة ١٨٨٠ إلى ١٨٨٨ . وقد ساعدته ثقافته في الملل والفرق والنحل كما ساعدته جرأته على الانتصار في المحاورات والمناظرات التي قامت بينه وبين بعض أتباع الديانة النصرانية أو النحلة الهندوسية أو غيرهما .

والداعية كلما حقق نجاحاً على خصومه في المناظرات كلما أدى هـذا إلى التفاف الناس حوله والثقة في شخصه وفي ما يقول .

ومع كثرة الإتباع ، ربما يغتر الشخص بنفسه ، ويحسب أنه متفرد تفرداً كاملاً عن غيره ، وهذا ما حدث بالنسبة لميرزا غلام أحمد القادياني .

فقد دفعته نجاحاته ، وكثرة الأتباع إلى الإدعاء بأنه المجدد على رأس القرن الرابع عشر الهجري ، وأيد كلامه بالقول بأن الرسول ﷺ قال (إن الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمور دينها) [١].

واصل ميرزا غلام أحمد تطوير أفكاره وجذب الأتبـاع ، والاسـتعمار الإنجليزي يراقب عن كثب الدعاة ، ولما رأى ما يحققه الغلام من نجاحات ، وتسارع الناس في الالتفاف حوله والإيمان بأفكاره .

سارع بالعمل – وهي طبيعة الاستعمار في كل زمان ومكـان – علـى تفريغ دعوته من مضمونها الإسلامي ، ولم يكن هذا بالقبض على الغـلام أو تهديده أو التضييق عليه ، أو مطاردته وأتباعه بل بالتقرب إليه ، ومسـاعدته بكل الوسائل المادية والمعنوية لرفع درجة الاعتزاز عنده ، وإشعاره بأنه فعلاً المجدد المخلص والمتفرد في الدعوة بطريقة صحيحة .

وفلسفة الاستعمار دائماً والمعروفة عنه أن التجديد والتفرد لا يتم إلا من خلال دعاوى هي في ظاهرها الغيرة على الإسلام والعمل من أجـل إعـلاء قيمه ، أما باطنها فهو التشكيك في كل ما يتصـل بالإسـلام ، وزرع بـذور التطرف والتفرق والعداء بين المسلمين ، ودفع المسلم لقتل الأخ المسلم باسـم الإسلام .

---

(١) ذكره الإمام أحمد في مسنده .

وليست قضايا فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان وباكستان والسودان وأكرر السودان ذلك البلد العربي الذي ظل موجوداً على مدى آلاف السنين والذي يتعرض الآن بعد حروب اصطنعها الاستعمار إلى تقسيمه لدويلات الأظهر والأقرب الآن ونحن نقترب من بداية سنة ٢٠١١ م انقسام السودان إلى دولة جنوب السودان وهي في الغالب ستكون كإسرائيل ومعها أمريكا والاتحاد الأوربي ، ودولة شمال السودان وهي في الغالب ستكون كاليمن الذي يتعرض هو الآخر للانقسام .

وربما يوماً ما تكون جمهورية دارفور وجمهورية كردفان .

حتى لا نخرج عن موضوعنا أقول أن الغلام القادياني مات في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ ودفن بمسجد قاديان بالهند وسنعود للحديث عن فكره ومعتقداته في السطور التالية لكنا نقول قبل الانتقال أن أمر القاديانية بعد موت المؤسس تولاه عميل آخر هو الأقرب لميرزا غلام أحمد وهو الحكيم نور الدين . ثم كان انقسام القاديانية وهو موضوعنا الآن .

أقسام القاديانية

انقسمت القاديانية بعد وفاة خليفة القادياني الحكيم نور الدين إلى قسمين :

القسم الأول يسمى بالقاديانية ، وعلى رأسه بشير الدين محمود بن ميرزا غلام أحمد القادياني .

وهذا القسم يقول من ينتمي إليه أن القادياني نبي حقيقي وأنه أوحى إليه وأن له معجزات كثيرة ، ويفسرون خاتم النبوة بما فسره غلام أحمد ويكفرون كل من ينكر نبوة غلام أحمد .

وأتباع هذا القسم بقوا بالهند ، ومن انتشر منهم في البقاع المختلفة من العالم بعد ذلك يصر على نفس الاعتقادات ويعمل على نشرها .

أما **القسم الثاني** فيسمي نفسه باللاهورية نسبة إلى لاهور بباكستان التي انتقل إليها بعض الأتباع .

وعلى رأس هذا القسم محمد علي اللاهوري ، الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، وكان أميناً للجماعة القاديانية بقاديان في أيام الميرزا غلام أحمد ، كما كان ينوب عن الغلام في إلقاء بعض البحوث بالمؤتمرات .

ومن أهم ما ألف :

١- محمد الرسول . ٢- الإسلام عقيدة إنسانية .

٣- موجز الحديث .

وأتباع هذا القسم لا يقولون بنبوة حقيقية للغلام وإنما مجازية ، ويقولون إن الغلام مجدد ومسيح موعود ، ولا يكفر أحد منهم أي من المسلمين الذين ينكرون القول بنبوة الغلام أو أنه مسيح موعود ، وإنما يقولون عن المنكر لذلك أنه فاسق .

وأتباع هذا القسم يدعون أن المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – ولد من أبوين حقيقين هما مريم ويوسف النجار أثر زواج حقيقي .

وقفة قصيرة :

ودعواهم الأخيرة هذه تناقض كلية مع ما عليه إجماع المسلمين بأن عيسى لا أب له وأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وأنه آية من آيات الله للناس .

وتتناقض قبل ذلك وبعد ذلك مع القرآن الكريم الذي تقول آياته ما معناه .

أن مريم أرسل الله سبحانه وتعالى إليها ملاك الوحي جبريل – عليه السلام – في صورة بشرية ، ولما رأته انزعجت واستعانت بالله سبحانه وتعالى منه .

وأن جبريل – عليه السلام – أخبرها أنه رسول الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً .

ولما استبعدت مقالته وقالت كيف يحدث هذا ولست متزوجة ولست بغية .

أخبرها أن المرسل له هو الله القادر على كل شيء والمقدر لكل شيء ، وقد قضى سبحانه وتعالى أن يحدث هذا رحمة منه عز وجل ، وتأكيداً لطلاقة قدرته سبحانه .

فقد خلق آدم بلا أب وأم وإنما من تراب ، وخلق حواء من أب دون أم دون أن تمر بالمراحل المعروفة بدءاً من الزواج إلى النطفة فالعلقة فالمضغة فعظاماً مكسواً باللحم فإنساناً وها هو يخلق بأمره العظيم عيسى من أم بلا أب .

ومع خروج عيسى إلى الوجود ذهبت به مريم إلى قومها وأمرت بإعلام من الله ألا تتكلم بلسانها فهم لن يصدقوها . وإنما ستترك الأمر إلى الوليد الطفل ليؤكد بكلامه المعجزة الإلهية .

قالوا لها يا مريم حينما رأوها تحمل الطفل من أين أتيت بهذا ولم يكن أبوك أمرأ سوء ، ولم تكن أمك بغية ؟!! وهذا يعني أن القوم يعلمون يقيناً أن مريم لم تتزوج وأنها معروفة لديهم بالطهر والعفاف .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا .

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا . فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا . فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا . وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا . فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ مريم : ١٦ – ٣٢ .

ويدعي اللاهوريون أيضاً أن المسيح الموعود الذي أخبر الرسول محمد ﷺ بأنه سيأتي يوماً ما ، لا يشترط أن يكون عيسى بن مريم وإنما يأتي من هذه الأمة على لون عيسى – عليه السلام – يقول محمد علي اللاهوري في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ آل عمران : ٤٩ ، أن ابن مريم الذي أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتي أحداً فرد هذه الأمة في لون ابن مريم ، كما تحققت نبوءة إلياس بقدوم يحيى في لونه (١).

وقولهم هذا يتناقض تماماً مع الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في المسيح الذي سوف يأتي آخر الزمان إذ أنها تتحدث عن عيسى بن مريم ، وتحدد أوصافه ، وكيف ينزل ولم ؟ وفي أي زمن سيكون نزوله ؟ عن أبي

---

(١) بيان القرآن ج ١ ص ٣١٧ .

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم ابـن مـريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " (١).

وواضح أن الرسول يؤكد بالقسم أن النازل هو عيسى ابن مريم وأنـه سيفعل كذا وكذا وكذا وما يقوله ﷺ لا ينطبق لا من قريب ولا من بعيد علـى ميرزا غلام أحمد ، وما عرضناه قبل ذلك يؤكد ما نقول .

وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقـول (... فينـزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعالى فصل ، فيقول : لا إن بعضكم علـى بعض أمراء تكريم الله هذه الأمة " (٢).

وواضح أن الحديث يبين أن الذي سينزل هو عيسى بـن مـريم وأنـه سينزل على دين الإسلام وأنه حينما يدعى لإمامة المسلمين سـيقول إمـامكم منكم أي أنه لم يأت بدين جديد .

وهذا يخالف ما يقول به ميرزا غلام أحمد القادياني وأصـحابه حيـث كفروا كل من أنكر نبوته ، وادعى هو أنه أتى بدين جديد وقبلة جديدة وكتاب جديد .

عودة لميرزا غلام أحمد وفكره

عمل الاستعمار الإنجليزي على الترويج للقاديانية والأخذ بيد المؤسس والدعاية له ، والدفاع عنه ، والترويج لأفكاره .

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه ك أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى عليه السلام وذكـره مسلم في صحيحه بيان نزول عيسى .

(٢) ذكره مسلم في صحيحه بيان نزول عيسى بن مريم .

ثم إشعاره بالإيحاء له عن طريق الآخرين بأنه مميز عن الجميع ، وأنه مصدر لرسالة عظمى .

والهدف من وراء ذلك واضح وهو تفريغ دعوى الرجل من مضمونها الإسلامي إلى مضمون يخدم الإنجليز والصليبية العالمية ، وإحداث فتنة بين المسلمين وتفتيت وحدتهم وإشغالهم بأفكار لا تفيد في نهايتها إلا أعداء الإسلام .

وقد رأينا الرجل يغتر بانتصاراته في حواراته مع أعداء الإسلام ولهذا يدعى أنه ملهم ومحدث من الله وأنه من أفضل أولياء الله ، وأنه المجدد على رأس القرن الرابع عشر الهجري .

ولا ضرر في هذه الدعاوى وإنما الضرر فيما يدفع إليه من أعداء الإسلام .

والتمهيد للأفكار الجديدة التي يدفع إليها دفعاً ويرتضيها بإرادته وبغير إرادته ، لأنها بإرادته تشبع فيه غروره وإحساسه بالتمييز ورغبته في الظهور ، وبرغم إرادته لدفع الاستعمار من يؤثر فيه بصفة مستمرة .

ومن الأفكار التي راح يقول بها بإيحاء له من الآخر أنه مثيل للمسيح – عليه السلام – في تواضعه وزهده وتوكله ومسكنته .

وأن المسيح عيسى بن مريم مكنه الله تعالى من الهروب من الذين تآمروا على قتله ، وأنه أتى إلى الهند وبعد فترة مات بكشمير .

القادياني بهذا القول يخالف العقيدة الإسلامية حيث يقول القرآن الكريم ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَإِن مِّنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء : ١٥٧ - ١٥٩ فاليهود كذبوا حينما ادعوا أنهم قتلوا المسيح وصلبوه .

والنصارى كذبوا حينما قالوا إن المسيح صلب وقتل وقبر ثم قام من قبره والتقى بتلاميذه وأكل معهم العشاء الرباني ثم رفع .

والقاديانيون كذبوا حينما قالوا بأنه مكن من الهرب، إلى الهند وبقي هناك فترة ثم مات .

فهو عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولم يمت وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إليه رفعاً يعلمه هو سبحانه وتعالى .

وليس لأحد أن يقول أين ولا أن يقول هل يأكل ويشرب فهذه أمور تقع تحت العلم والقدرة والإرادة الإلهية وليس من حق أحد أن يسأل بعقله لأن العقل مخلوق محدود القدرة وبالذات فيما وراء الطبيعة .

وبإعلان القادياني أن المسيح قد مات فإنه يمهد لفكرة أخرى وهي أنه المسيح الموعود والمهدي المعهود . يقول القادياني (ثم بقيت إلى اثنتي عشرة سنة غافلاً كل الغفلة عن أن الله تعالى قد خاطبني بالمسيح الموعود بكل أصرار وشدة في البراهين الأحمدية ، ومازلت على عقيدة نزول المسيح عيسى العامة ، ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة آن أن تنكشف على العقيدة الثابتة فتواتر على الإلهام أنك أنت المسيح الموعود) (١).

وقفة قصيرة

يدعي ميرزا غلام أحمد القادياني أن الله تعالى خاطبه اثني عشر عاماً إلا أنه لم يفهم وظل على اعتقاده بأن الذي سينزل هو عيسى بن مريم ثم انكشفت عنه الحجب وعلم أخيراً عن طريق الإلهام أنه المسيح الموعود ...

---

(١) حقيقة الوحي ص ١٤٩ .

وادعاؤه هذا مخالف للقرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة والصريحة وما عليه إجماع الأمة .

فالذي رفع إلى السماء بنص القرآن هو عيسى بن مريم وليس ميرزا غلام أحمد القادياني .

والذي سينزل في آخر الزمان كعلامة كبيرة من علامات الساعة هو عيسى بن مريم المولود في بيت لحم والمرفوع بإذن الله والباقي حياً إلى حين النزول .

ودعوى القادياني أنه المسيح الموعود دعوى كاذبة لأنه لم يولد في بيت لحم وإنما في قاديان بالهند ولم يبق مرفوعاً في السماء ، بل ولد سنة ١٨٣٩ ومات سنة ١٩٠٨ ، ولم تكن دعواه في آخر الزمان بدليل مرور أكثر من مائة عام على دعواه والقيامة لم تقم بعد .

والأحاديث الصحيحة تؤكد أن عيسى بن مريم حينما ينزل سيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب .

وميرزا غلام أحمد من أكثر المتعاونين مع الصليبية العالمية والمؤيدين للإنجليز والعاملين على إسقاط كل مبغض عن أعداء الإسلام بدليل إلغائه لفريضة اجهاد ونشر القول بأن الجهاد ضد الأعداء والإنجليز وصليبهم ليسوا بأعداء .

والحروب قبل أن يدعي هذا المدعي وبعد أن ادعى على أشدها ويكفي أن القرن العشرين الذي مات فيه شهد حربين عالميتين أكلت الأخضر واليابس وتحول فيها الكثير من السادة إلى عبيد .

فأي صليب كسر ؟ وأي خنزير قتل ؟ وأي حرب وضع ؟ وأي جزية ألغى ؟

يقول ﷺ ويؤكد قوله بالقسم " والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب – وفي رواية ويضع الجزية – ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " (١).

والرسول ﷺ يصف النازل بأنه نبي وليس دعي وأنه بن مريم وليس ابن مرتضى – وأن من أوصافه كذا كما ورد في الحديث ، وهي أوصاف لم تتوفر كما يقول المؤرخون والمحدثون في ميرزا القادياني – وأنه سيقاتل دفاعاً عن الإسلام ، وميرزا يساعد أعداء الإسلام ضد الإسلام ، وأن الإسلام سيبقى وتهلك الملل الأخرى ، والواضح أن الملل بدعوى ميرزا غلام أحمد القادياني دعوى البهائي وغيرهما ازدادت وأن عيسى سيهلك المسيح الدجال .

والمسيح الدجال أحد العلامات الكبرى للساعة ولم تظهر بعد أي علامة من هذه العلامات .

وأن نزوله سيكون شرقي دمشق عند المنارة البيضاء .

والقادياني ادعى وظهر في قاديان بالهند .

يقول ﷺ عن نزول عيسى " ليس بيني وبينه نبي ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين مصرتين كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون " (٢).

---

(١) ذكره البخاري عن أبي هريرة كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ومسلم باب بيان نزول عيسى عليه السلام .

(٢) سنن أبي داود ك الملاحم باب خروج الدجال .

وفي قصة الدجال يقول ﷺ " فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ... " (١).

وعيسى بن مريم حينما ينزل ويحين وقت الصلاة ويدعى ليئوم الناس يرفض وهذا يعني أنه لم يأت بدين جديد وإنما أتى على الإسلام .

أما الدعي الكذاب ميرزا غلام أحمد بن مرتضى القادياني فيدعي أنه أتى بدين جديد فكيف يكون هو المسيح الموعود ؟!!

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعالى فصلي ، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذا الأمة " (٢) .

القادياني والنبوة

لم يكتف ميرزا غلام أحمد القادياني بالقول بأنه مثيل للمسيح عليه السلام ثم القول بأنه المسيح الموعود نفسه ، بل وافق الخواص من أتباعه الذين يدعون بإيحاء عنصري ودافع استعماري – أنه نبي – إلا أن الغلام وصف نبوته بأنها نبوة جزئية أو ظلية أو ناقصة وأنه محدث ، وأن ما يتلقاه هو وحي الولاية في ظل النبوة المحمدية يقول ميرزا " لست نبياً ولكني محدث من عند الله تعالى وكليمه " (٣).

---

(١) ذكره مسلم في صحيحه .

(٢) ذكره مسلم في صحيحه باب نزول عيسى بن مريم .

(٣) مرآة كمالات الإسلام ص ٣٨٣ .

ويقول " والمحدث من المرسلين أحد أفراد الأمة ، ونبي بصفة ناقصة " [١].

ويقول " والمحدث أيضاً نبي ببعض معانيه ... وإن لم يكن له النبوة التامة ، ولكنه نبي بصفة جزئية ، لأنه مشرف بكلام الله ، وهو يطلع على الأمور الغيبية " [٢].

والغلام لم يقدم هذه التفسيرات أو التأويلات إلا حرصاً منه على تسكين الفتنة وإبعاداً لثورة الناس عليه ممن عندهم غيرة على الإسلام والنبي ﷺ .

وحتى يعطي لنفسه الفرصة الكاملة للإعداد لإعلان النبوة الحقيقية .

وذات يوم وبالتحديد في شهر أغسطس سنة ١٩٠٠ م خطب الشيخ عبد الكريم أحد أعوان الميرزا خطبة الجمعة والأخير حاضر في المسجد ومستمع بإنصات إلى ما يقول الشيخ . ومما قال :

ضرورة الإيمان بالمسيح الموعود ، وعدم التفريق بينه وبين الرسل السابقين ، وتحكيمه في كل ما يحدث ، قال الشيخ " واعلموا أنكم إن لم تحكموا المسيح الموعود في كل ما يشجر بينكم ، وتؤمنوا به كما آمن الصحابة بالنبي الكريم ﷺ كنتم إلى حد كبير من المفرقين بين رسل الله كغير الأحمديين " .

والرجل في هذا الكلام مستحضر للآيتين الكريمتين ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء : ٦٥ .

---

(١) إزالة الأوهام ص ٥٦٩ .

(٢) توضيح المرام ص ٢٧ .

وقوله تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ البقرة : ٢٨٥ . إلا أنه نسي أو تناسى أن الآية الأولى خاصة بمحمد ﷺ وهو النبي الحقيقي المؤيد بالمعجزات والخاتم للنبوات وتنسحب الخصوصية لتشمل كل أتباعه ومن يؤمن به في أي زمان ومكان .

والتسوية بينه وبين الدعي الكاذب غلام أحمد تمويه وتلبيس وكذب .

والآية الثانية تتحدث عن الأنبياء والرسل الحقيقيين بدءاً من آدم عليه السلام وختماً بمحمد ﷺ ولا يدخل في هذا الأدعياء الكذبة ومنهم بالطبع القادياني .

ومع انتهاء صلاة الجمعة صدق الميرزا غلام أحمد ما قاله الشيخ قائلاً : " نعم إن مذهبي هو عين مذهبك أي ما قد بينته في خطبتك " [١].

ظل أمر القادياني إلى نهاية سنة ١٩٠٠ دون التصريح الواضح بأنه نبي حقيقي ، وإنما هو محدث وهو مسيح موعود ، ونبي ظلي أو جزئي أو ناقص .

أما النبوة الحقيقية كما يعلن هو دائماً فهي لخاتم الأنبياء محمد ﷺ .

ومع بداية سنة ١٩٠١ م أعلن صراحة أنه نبي حقيقي ، وأنه يوحى إليه ، وأنه مؤيد بالمعجزات وأن ما يقوله بدءاً من الآن ينسخ ما قاله قبل ذلك .

يقول ابنه ميرزا بشير الدين محمود " إنه – أي غلام أحمد – غير عقيدته في سنة ١٩٠١ وكانت قبل سنة ١٩٠١ فترة انتقال بين العقيدة الأولى

---

(١) حقيقة الوحي ص ١٤٩ .

والعقيدة الثانية ... فقد ثبت أن المصادر التي أنكر فيها نبوته قبل سنة ١٩٠١ صارت منسوخة ، فلا يصح أن يحتج بها أحد الآن " (١).

ويقول ميرزا بشير أيضاً " ومع أنه كان يدعي جميع الخصال التي يتصف بها الإنسان بالنبوة ن ولكنه لاعتقاده أنها شروط المحدث لا شروط النبي كان يسمي نفسه " المحدث " .. ولكنه لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لا تنطبق على المحدثين إنما تنطبق على النبوة أعلن نبوته في صراحة " (٢).

والقادياني بصراحة يقول " إن جبريل جاء إلي واختارني وأدار أصبعه وأشار إلي بأن الله يحفظك من الأعداء " (٣).

والغلام يقسم أنه يؤمن بوحيه كما يؤمن بالتوراة " والإنجيل والقرآن والله العظيم أو من بوحي كما أؤمن بالقرآن وبقية كتب أنزلت من السماء ن وأنا أؤمن أن الكلام الذي ينزل علي ينزل من الله كما أؤمن أن القرآن نزل من عند الله " (٤).

والأدلة على صدق الرسل مع الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة والاصطفاء والإعداد الخاص تكون البينات أو الآيات أو المعجزات الدالة على صدق أي نبي .

---

(١) حقيقة النبوة ص ١٢١ .

(٢) حقيقة النبوة ص ١٢٤ .

(٣) مذاهب الرحمن للغلام ص ٤٣ نقلاً عن القاديانية لظهير ص ١٠٦ .

(٤) حقيقة الوحي للغلام ص ٢١١ نقلاً عن القاديانية لظهير ص ١٠٧ .

ولهذا نجد الدعي الكذاب ميرزا غلام القادياني يقول " أحلف بالله الذي في قبضته روحي ، هو الذي أرسلني وسماني نبياً وأنزل لصدق دعواي بينات بلغت ثلاث مائة ألف بينة " (١).

وفي كتاب له اسمه عين المعرفة يقول ص ٣١٧ " إن الله أنزل لإثبات رسالتي آيات لو وزعت على ألف نبي ثبتت بها رسالتهم " .

ويستنكر عدداً قليلاً من هذه البينات وهي الأشهر عند القادياني والقاديانية ونترك للعقل الحصيف الحكم عليها والمقارنة بينها وبين ما يعرف من بينات الرسل وبخاصة موسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً أفضل التحية والسلام .

وقبل أن نذكر بعض هذه النبوءات القاديانية نقول أن الغلام أعلن أن من أصدق الدلائل على نبوة أي نبي هي التنبؤات وتحققها دليل على صدق المتنبئ وعدم تحققها من أقوى الدلائل على كذبه " لا يوجد أي شيء أحسن وأفضل لاختبار صدقي وكذبي من تنبؤاتي " (٢).

بعض تنبؤات ميرزا غلام أحمد القادياني :

والقادياني يبدأ الحديث عن نبوءة له بالقول " وإن لم تقع طبق ما قلت فأنا مستعد لكل جزاء – أرجو التدقيق والتذكر – يسود وجهي ... ويجعل في جيدي حبل وأشنق ... وجهزوا لي الصليب إن ظهر كذبي ، والعنوني أكثر من الشياطين والخبثاء والملعونين " (٣).

---

(١) حقيقة الوحي للغلام ص ٦٨ نقلاً عن ظهير ص ١٠٤ .

(٢) مرآة الكمال للغلام ص ٢٣٢ نقلاً عن ظهير ص ١٦١ .

(٣) الحرب المقدسة للغلام ص ١٨٨ وانظر النص كاملاً في القاديانية لظهير ص١٦٣ .

وملخص النبوءة : إن الغلام ناظر رجلاً نصرانياً اسمه عبد الله آ ثـم ، ولما لم يستطع الانتصار عليه أحس بالغيظ الشديد وانصـرف عائـداً إلـى منزله .

وفي اليوم التالي للمناظرة أعلن الغلام نبوءة تقول إن الله أخبره أن عبد الله آثم سيموت خلال خمسة عشر شهراً بشرط أن لا يرجع إلى الحق .

وانتظر القوم في لهفة تحقق النبوءة ، ومضت الشهور الخمسة عشر ولم يمت عبد الله آثم .

وأراد بعض القاديانيين أن لا تلتصق تهمة الكذب بـزعيمهم الميـرزا ، فادعوا وراحوا ينشرون بين القوم أن عبد الله آثم لم يمت لأنه رجع إلى الحق وترك النصرانية .

ولما علم عبد الله آثم بأقاويل القوم عليه جاءهم وكذبهم وكذب زعـيمهم ونشر في الصحف وقتها أنه على النصرانية وأنه لم ولن يرجع عنها لأنها في رأيه دين صحيح [١].

ونبوءة أخرى :

إن الغلام طلب من أحد أقربائه أن يزوجه ابنته المسماة البيجوم محمدي وأغراه بالمال وبكل الوسائل المتاحة .

ولما رفض الرجل طلب الغلام جن جنون الأخير وأعلن بعد أيـام مـن الرفض نبوءة تقول " إن ابنة الرجل تـزوج لـي مـع أن أهلهـا يخـالفون ويعارضون ، ولكن الله زوجها لي ، ورفع كل الحواجز ولا يستطيع أحـد أن يحول دون تحقق هذا " [٢].

---

(١) راجع ما يتصل بتفاصيل النبوءة بلفظ غلام أحمد وما يتصل بتكذيبها بلفظ عبد الله آثم في كتاب القاديانية لإحسان ظهير ص ١٦٣ .

(٢) إزالة الأوهام للغلام ص ٣٩٦ وانظر القاديانية لظهير ص ١٦٨ .

وقال " إن زواجها أمر متحقق وأنا أقسم بربي أن هذا صدق ، ولا تستطيعون أن تحولوا دون وقوعه ، وقد قال الله عز وجل زوجناكها نحن بأنفسنا ، ولا يستطيع أحد أن يبدل كلماتي " (١).

فهل تحققت هذه النبوءة ؟!! التاريخ يؤكد أن ابنة الرجل المسماة البيجوم محمدي تزوجت بإذن أبيها من رجل غير قادياني يدين بالإسلام .

وبدلاً من أن يعترف الغلام القادياني بكذبه تمادى في غيه وضلاله وراح يؤكد أنه مهما طال الزمن فإنها ستزوج له . وإن زوجها وإياها سيموتان خلال ثلاث سنوات ومضت الثلاث سنوات ولم يمت الزوج والأب .

وبقيت البيجوم في عصمة زوجها تحت مظلة الإسلام دون أن تقترب من القاديانية .

وراح الكذابون من أتباع الكذاب القادياني يشيعون بين الناس بعد وفاة ميرزا غلام أحمد أن ما قاله الغلام صحيح وأن المرأة لن تموت إلا بعد الزواج من رجل قادياني .

ولم يحدث ما قاله أو ادعاه أو أوله أتباع الغلام وحينما حان أجل المرأة ماتت وهي منتمية اسماً واعتقاداً بالإسلام الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم تقترب أبداً من القاديانية بل لعلها لم تعرف شيئاً عن القاديانية وزعيمها الكذاب (٢).

---

(١) الحكم السماوي ص ٤٠ للغلام وانظر القاديانية لظهير ص ١٦٨ .

(٢) راجع ما يتصل بتفاصيل هذه النبوءة في كتاب القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص١٦٧ وما بعدها وفي الكتاب نفسه نبوءات أخرى ينقلها ظهير من كتب للقادياني .

وقفة نقدية موجزة :

علمنا مما سبق أن الغلام القادياني تدرج في دعواه النبوة ، حيث قال في البداية إنه نبي تابع وليس بمستقل ، وأن نبوته نبوة جزئية أو ظلية أو ناقصة ، وأنه لا يأتي بشرع جديد .

ثم خرج من هذه الدعوى إلى دعوى أخرى هي الهدف الرئيس له ولمن أعده وتبيناه ويساعده بكل الوسائل ، وتتلخص في أنه نبي حقيقي ، وأن نبوته مستقلة ، وأنه يوحى إليه ، وأنه مؤيد بالمعجزات ، وأن ما يقوله في هذه المرحلة ينسخ ما قاله قبل ذلك .

ونحن نسأل من هو النبي وما هي النبوة ؟ وهل تأتي بالتدرج أو بالاكتساب ؟

وما هو الوحي ؟ هل يمكن أن يسمى ما قال به الغلام أنه وحي من السماء ؟ وما هي المعجزة ؟ هل يدخل ما يسميه الغلام القادياني ببينات له هل يدخل أو يندرج تحت تعريف المعجزة ؟!!

أما عن تعريف النبي فإنه إنسان حر اختصه الله سبحانه وتعالى بسماع وحي بحكم شرعي تكليفي وأمر بتبليغه .

ولا تعليق لنا على كلمة الإنسان ، لأن من يبلغ البشر بأمرهم وبنهاهم لابد أن يكون بشراً مثلهم يقول القرآن الكريم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف : ١١٠ . النبي إنسان أي ليس بملاك أو جني .

وحر أي ليس برقيق ، والرق هو العبودية للغير . ومن العبودية أن يكون الإنسان مسلوب الإرادة ، إنه في كل أقواله وأفعاله ، مسيراً في كل

تصرفاته بتوجيه الغير ، ولمصلحة هذا الغير ، عميلاً في ذلة وانكسار للآخرين ، منفذاً لسياستهم التي تهدف أولاً وأخيراً إلى إضعاف المسلمين والتشكيك في كل ما يتصل بالإسلام وقيمه العليا .

والميرزا غلام أحمد القادياني تنطبق عليه كل معاني العبودية . فهو ابن الميرزا مرتضى والأخير " كان من أخلص أصدقاء الاحتلال الإنجليزي الذي فرض سيطرته في تلك الأيام – أي القرن التاسع عشر والقرن العشرين – على شبه القارة الهندية "(١) وقد علمنا أن الغلام نشأ بقاديان بالهند .

وفي هذه البيئة العميلة للاستعمار ، والتي يتزعمها ميرزا مرتضى وعائلته ولد الغلام وتربى وترعرع ، والغلام نفسه يقول " ولم تبخل عائلتي ولم تفتن ولن تبخل ولن تفتن بدماء أبنائها في خدمة مصالح الحكومة الإنجليزية " (٢).

ويؤكد الغلام بنفسه عمالته للاحتلال الإنجليزي بقوله " ولقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابول " (٣).

---

(١) ما هي القاديانية لأبي الأعلى المودودي ص ٩ .

(٢) ترياق القلوب للميرزا ص ١٥ وانظر المودودي ص ١٢ .

(٣) ملحق بكتاب شهادة القرآن ط سادسة ص ١٠ وانظر المودودي ما هي القاديانية ص١٢ .

القادياني إذاً عميل من أسرة عميلة للاستعمار الإنجليزي وهو عميل لهذا الاستعمار عمل طيلة عمره لإرضائه ونصرته على بني قومه ، وإخماد الثورة ضده .

والسؤال هل من يخون الدين والعقل والوطن يصلح لأن يكون نبياً يوحى إليه ..؟!!

إن الرسالة السماوية اصطفاء واختيار من الله سبحانه وتعالى لأفضل حلقه ليتحملوا كلمته إلى بني البشر ، ويبلغوها بأمانة وصدق ومع الأمانة والصدق والتبليغ تكون الفطانة لا البلادة والحرية لا الرق ، والطهر والعفاف لا النجاسة والاحتيال ، والطاعة لرب العباد لا العبودية لمن يعملون على استعباد العباد يقول سبحانه ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران ٣٣ – ٣٤ .

إن المصطفى المجتبى والمختار لابد أن يكون الأحسن والأفضل في كل شيء لا الأسوأ في كل شيء .

لابد أن يكون معصوماً أي محفوظاً في الظاهر والباطن من الكبائر مطلقاً ومن الصغائر بعد البعثة .

وللتقريب فقط نجد في عالمنا أن رئيس الدولة إذا أراد أن يختار سفيراً له يمثله في دولة أخرى فإنه يختار الأنسب والأصلح والأعقل والأصدق .

فهل يعجز الله سبحانه وتعالى وهو الكامل كمالاً مطلقاً في كل شيء أن يختار سفيراً له يحمل أوامره ونواهيه إلى بني البشر ويكون هذا السفير قدوة وكاملاً كمالاً بشرياً في كل شيء ومنزهاً عن كل النقائص وبالذات الكبائر ؟!!

إن من يقول بصحة نبوة ميرزا غلام أحمد القادياني يستهم الله بالجهل ويلصق به سبحانه وتعالى كل النقائص تنزه ربنا عما يقول الظالمون وعلا علواً كبيراً .

والنبوة اصطفاء إلهي ، هي هبة وعطية ومنحة وتفضل من الله سبحانه وتعالى .

والاصطفاء لا يكون بالتدرج ، ولا يأتي بالكسب البشري ولا بالادعاء .

وليس في اختيار الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ما يعرف بالنبوة الجزئية أو الظلية أو الناقصة ، وإنما نبوة حقيقية بدأت بآدم – عليه السلام – وختمت بمحمد ﷺ ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب : ٤٠ .

وادعاء الغلام القادياني لنبوة جزئية أو ظلية ... إلخ لم يكن منه إلا من باب التمويه والتضليل والإعداد في الظلام إعانة استعمارية له لإعلان نبوة حقيقية مستقلة عن طريقها يبث كل ما يريده الاستعمار من إفساد وإضلال وتشكيك وتفرقة بين المسلمين .

أمر الوحي :

والوحي من لوازم النبوة ، ومع ختم النبوة بمحمد ﷺ يختم الوحي .

وهو في اللغة بمعنى الإعلام السري السريع ، ويكون بالرمز والإشارة والكتابة والإلهام والقذف في القلب والتسخير والأمر كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل : ٦٨ .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يعرف هذه المعاني كما يعرف غيرها [١].

ويتسع معنى الوحي في اللغة ليشمل الموحى به يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ النجم : ٤ .

ويقول ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ .

أما معنى الوحي في الاصطلاح : فيعرف بالمعنى المصدري أوحى إيحاء أي أعلم إعلاماً . فهو إعلام من الله تعالى لنبي من أنبيائه أو رسول من رسله بحكم شرعي تكليفي وغير ذلك بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بكل ما أعلمه الله سبحانه وتعالى به : مثال الحكم الشرعي الأوامر والنواهي ومثال ما ليس بحكم شرعي القصص والعظات والأمثال والفضائل التي يريد الإسلام من الإنسان أن يتحلى بها ، والرذائل التي يريد الإسلام من الإنسان الابتعاد عنها .

ويعرف الوحي بالمعنى الحاصل بالمصدر أي الموحى به أي ما أنزله الله تعالى من كتب أو صحف على الأنبياء والرسل [٢].

والوحي بالمعنى اللغوي يمكن أن يحدث في أي زمان ومكان بمعنى أن فلاناً يوحي لفلان أي يرمز له أو يكتب له أو يشير إليه ... إلخ .

أما بالمعنى الاصطلاحي الشرعي بالمعنى المصدري إعلام من الله لنبي بحكم شرعي بطريقة تفيد النبي العلم اليقيني .

أو بالمعنى الحاصل بالمصدر أي الموحى به أي نفس ما أعلم الله لأنبيائه مثل صحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى والقرآن الكريم الخاتم المهيمن ، فإن الوحي بالمعنيين السابقين توقف بختم الرسالة المحمدية

---

(١) راجع بصائر ذوي التمييز ج ٥ ص ١٧٩ .

(٢) راجع نظرات في العقيدة الإسلامية ص ١٥٧ ط ثالثة د / محمد الأنور عيسى .

للرسالات السماوية ومصدر معرفتنا بهذا التوقف هو القرآن الكريم المنقول بالتواتر المأمون من الخطأ والسنة الصحيحة كما سنبين بعد ذلك .

وللوحي الشرعي الاصطلاحي أنواع ثلاثة :

النوع الأول : القذف في القلب أو الإلقاء في القلب يقظة أو مناماً مع العلم الضروري للرسول بأن محدث الإلقاء في القلب هو الله سبحانه وتعالى .

النوع الثاني : هو أن يسمع الرسول ﷺ كلام الله دون أن يرى الله تعالى يقول سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ طه : ١١ -١٤ .

النوع الثالث : ويكون بإرسال ملاك الوحي جبريل عليه السلام .

والأنواع الثلاثة يجمعها قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى : ٥١ .

والأنواع الثلاثة اشتملت ضمن ما اشتملت على العقائد : إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه ، والعبادات مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج .

والمعاملات والأنظمة المختلفة مثل البيع والشراء والنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري ... إلخ والأخلاق فضائل يدعى إليها ورذائل ينهى عنها وقصص وعظات وأمثال وعبر ...

ويمكن لأي متعقل أن يتعرف على تفاصيل كل هذه الأمور وغيرها في الكتاب الخاتم القرآن الكريم وفي أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته [١].

---

(١) راجع نظرات في العقيدة الإسلامية ص ١٦١ .

وبعد أن عرفنا الوحي بمعناه الشرعي أو الاصطلاحي وأن الله يلقي في قلب الرسول العلم الضروري بأن الموحى إليه هو سبحانه وتعالى وأنه لكي يتأكد الرسول أن الموحى إليه هو الله – عز وجل – فإنه يؤيد الرسول بأمور لا يستطيع الرسول ولا الرسل جميعاً ولا البشر أن يأتوا بمثلها وهذا دليل على صحة رسالته وأن الموحي هو الله عز وجل يقول سبحانه لموسى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى . وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى . لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ طه : ١٧-٢٣ .

والسؤال هل من وحي الله سبحانه وتعالى بالمعنى الشرعي أو الاصطلاحي الإفساد في الأرض والكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ ؟

هل منه التطاول على كتب الله التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والتغيير والتبديل والإدعاء بوحي جديد ونبوة جديدة ؟

هل منه الادعاء بأن محمداً ﷺ ليس بخاتم الأنبياء وأن كتابه ليس بخاتم الكتب السماوية ؟

هل منه التفاني في خدمة الاستعمار الإنجليزي على حساب الدين والوطن والقول بتحريم الجهاد ؟

هل منه القول بأنه لا يجوز للقادياني أن يصلي خلف إمام ليس بقادياني ، وأن من صلى من القاديانيين خلف إمام غير قادياني إذا مات لا يصلى عليه ؟!!

هل منه أنه لا يجوز للقادياني أن يزوج بناته لغير القاديانيين ؟ هل منه أن الحج إلى قاديان يتساوى مع الحج إلى مكة وإلى بيت الله الحرام ؟

هل منه أن المراد بالمسجد الأقصى الوارد في الآية الكريمة ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء : ١ . هو مسجد قاديان ؟

هل منه تكفير المسلمين الذين لا يؤمنون بالمسيح الموعود – أي الغلام – " إن جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الإسلام ولو كانوا لم يسمعوا بالمسيح الموعود " (١).

هل منه أن من يفرق بينه وبين الأنبياء السابقين غارق في الكفر " كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد ﷺ أو يؤمن بمحمد ولا يؤمن بالمسيح الموعود ما هو بكافر فحسب ، بل هو غارق في الكفر وخارج عن دائرة الإسلام " (٢).

هل من الوحي السماوي بالمعنى الاصطلاحي ما ورد في كتب ميرزا غلام أحمد القادياني ؟!!

يقول أحد علماء المسلمين الأفاضل ونحن معه في قوله عن قناعة وإيمان " لقد استعرضنا كثيراً من النصوص التي قالها ولا تخرج في مجموعها عن أنواع ثلاثة :

---

(١) مرآة للصدق للميرزا أحمد ص ٢٥ وانظر المودودي ص ٤٥ .

(٢) كلمة الفصل ص ١١٠ وانظر المودودي ص ٤٥ .

١- فهي إما كلام معقول قاله وقال مثله وخيراً منه إناس قبله ولم يخطر على بالهم أن يدعو به مقام النبوة ، أو أنه وحي كلمهم الله تعالى به أو نـــزل عليهم به الروح الأمين .

٢- وإما أقوال منقطعة عن الحكم ، عارية عن الصدق أدخل في بـــاب اللغو والهذيان ، ولا يمكن أن نرقى لمستوى الكلام العاقل بل الوحي .

٣- وأما تخليط وتلبيس بإتيان آيات أو بعض آيات من القرآن الكـــريم ونقلها كما هي ، أو ضم بعضها إلى بعض أو إضافة كلمات إليهـــا وزعمـــه إياها وحياً يتنزل عليه .

إن كلام القادياني هذا وراءه عقلية مضطربة ، ونفس قلقـــة ، وتفكيـــر سقيم ، ولا يمكن شرعاً ولا عقلاً أن يقبل ما ادعاه على أنـــه وحـــي يتنـــزل عليه " (١).

والمعجزات أو الآيات أو التنبؤات من أصدق الأدلة على صدق الرسول لأنها تنزل منزلة التصديق من الله سبحانه وتعالى ولرسوله بين الناس .

وكان سبحانه وتعالى يقول بإظهارها على يد النبي صدقوه فيمـــا يبلـــغ عني والدليل على صدقه أنني أؤيده بكذا وكذا ...

المعجزات من الأدلة على صدق الرسل

وتعريف المعجزة أمر خارق للعادة - أي ما تعوده الناس طيلة حياتهم - يظهره الله سبحانه وتعالى على يد النبي - أي الموجد له في الحقيقة هـــو الله سبحانه وتعالى وليس للنبي دور إلا الظهور على يديه - تصديقاً له في دعواه - فإن كان الأمر غير ذلك كان مكذباً له - مع الأمر بالتحـــدي - أي أن الله

---

(١) القاديانية نشأتها وتطورها ص ١٢٩ د / حسن عيسى عبد الظاهر دار القلم ط ثانيـــة ١٩٨٠ .

سبحانه يأمر نبيه بتحدي القوم بهذا الأمر – وعدم القدرة على المعارضة – أي أن أحداً لا يستطيع ولن يستطيع أن يعارض لأنه لو عورض لما صار الأمر معجزاً .

ومن أمثلة المعجزات ما ظهر على يد موسى – عليه السلام – حينما ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى ، وضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه أعين الماء ، وإدخاله يده في جيبه ثم إخراجها بيضاء منيرة لا سوء فيها ... ومثال إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، وإنباء القوم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، والإتيان للقوم بمائدة فيها ما يشتهون بناء على طلبهم ، وغير ذلك وهي أمور لم يفعلها عيسى بن مريم من عند نفسه وإنما هي بأمر الله سبحانه .

ومثل ما ظهر على يدي سيدنا محمد ﷺ من إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل . ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة .. وأنين الجزع ، وإنشقاق القمر حينما طلب القوم منه أن يفعل ذلك ففعل بإذن الله وانشق القمر شقين ومن أخلد المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى به الرسول ﷺ العرب تحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله فعجزوا والقرآن باق إلى أن تقوم الساعة يتحدى العرب والعجم يتحدى الإنس والجن يتحدى أهل المشرق والمغرب .

هذه معجزات وغيرها للرسل ثبتت بالتواتر المأمون من الخطأ وهي مصدر تصديق لنبوة أي نبي ظهرت على يديه ؟!!

فهل كذلك تنبؤات مسيلمة قاديان .

دعونا نذكر بعض الخوارق الأخرى لنرى موضع ما قال به الغلام القادياني .

الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد عبد عرف بين القوم بالصلاح من باب التكريم لهذا العبد .

ومن أمثلة الكرامات إتيان آصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان بعرش بلقيس ملكة سبأ في أقل من لمح البصر ، وقصة السيدة مريم أم عيسى - عليه السلام - ووجود فاكهة الصيف والشتاء عندها في وقت واحد ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقصة أصحاب الكهف .

ونداء وتحذير عمر بن الخطاب وهو واقف على المنبر بالمدينة لقائد جيشه سارية وهو على بعد آلاف الأميال منه وسماع سارية لعمر وتنفيذه لما قال ... إلخ

ومن الخوارق أمور تظهر على يد بعض العامة من الناس وتسمى بالمعونة .

بقي أمر يسمى بالإهانة وهو أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه على يد كاذب من باب التكذيب والإهانة له مثال ذلك حينما نفل مسيلمة الكذاب في عين أعور بهدف أن تشفى مدعياً أن ما يفعله معجزة فكذبه الله تعالى بأن عميت الأخرى واحسب أن ما تنبأ به وما أظهره مسيلمة قاديان ميرزا غلام أحمد يندرج تحت ما يسمى بالإهانة والمتابع لما ذكر عنه أو ذكره من تنبؤات يتأكد بنفسه أن ما حدث هو إهانة واضحة له [١].

واذكر فقط

---

(١) راجع قضايا عقدية ص ١٠٠ وما بعدها د / محمد الأنور ط ١٩٨٨ .

أن عبد الله آثم النصراني لم يمت بعد خمسة عشر شهراً كما تنبأ كذاب قاديان .

والمحمدي بيجوم لم تتزوج ميرزا غلام أحمد ، ولم تكن من نصيب أي قادياني بل تزوجت رجلاً مسلماً وبقيت هي وهو إلى أن ماتا على الإسلام الصحيح لا إسلام القادياني . ولم يمت أبوها وزوجها بعد ثلاث سنوات كما تنبأ بذلك مسيلمة قاديان .

وأين الغلام الذي ادعى ميرزا غلام أحمد أنه سيكون الأشهر والأعلم والأحكم وأنه سيشفي المرضى وينشر العدل ... إلخ مات هذا الابن سنة ١٩٠٧ ولم يبلغ بعد الثامنة من العمر .

أبعد هذا يصر الكذابون من القاديانيين أن غلامهم ميرزا مسيح موعود ونبي حقيقي وصاحب دين مستقل .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف : ٢٩ .

القادياني وخاتم النبوة

حينما سئل ميرزا غلام أحمد القادياني عن خاتم النبيين في قوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب : ٤٠ .

هل ما جاء في الآية صحيح ؟ قال نعم لأنه ورد في القرآن الكريم ، ومحمد ﷺ خاتم النبيين بلا منازع ، وأنه لا يأتي بعده نبي إلى يوم القيامة ، وأن باب النبوة قد أغلق ، وانقطع الوحي بعد وفاته ﷺ ومن يدعي النبوة بعده فهو كذاب وكافر .

هكذا كانت عقيدة الرجل في البدء كما أظهرها للقوم أو كما أريد له أن يظهرها يقول ميرزا باللفظ الصريح " ألا تعرف أن الرب الرحيم ذا الفضل قد سمى نبينا بخاتم النبيين بدون استثناء ، وقد فسره نبينا لأهل السؤال بقوله (لا نبي بعدي) بكل وضوح ، فإن جوزنا ظهور نبي آخر بعد نبينا ﷺ ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح ... وكيف يأتي نبي بعد نبينا ﷺ وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الأنبياء بنبوته " [١].

ويقول في نص آخر " وإني قائل بجميع الأمور الداخلة في العقائد الإسلامية ، واعتقد كأحد أهل السنة – هكذا – بكل الأمور التي هي مسلمة الثبوت من القرآن والسنة ، وأقول إن كل من يدعي النبوة والرسالة بعد سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو كذاب وكافر " [٢].

---

(١) عمامة البشرى لميرزا غلام أحمد ص٣٤ وانظر ما هي القاديانية ص٢٥ للمودودي .

(٢) تبليغ الرسالة ج ٢ ص ٢ وانظر ما هي القاديانية ص ٢٦ وهناك نصوص أخرى تفيد المعنى السابق راجعها في ما هي القاديانية لأبي الأعلى المودودي – والقاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير وغيرها من الكتب .

وكما تحول الرجل عن عقيدته التي تقول إنه نبي جزئي أو ناقص أو ظلي إلى القول بأن نبوته نبوة كاملة حقيقية مستقلة وأنه يوحى إليه وأن ما يقوله ينسخ ما قاله قبل ذلك .

تحول عن الاعتقاد أو القول بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين أي آخرهم بلا منازع إلى القول عن طريق التأويل بأمور أخرى . من خلالها فرغ الآية الكريمة من مضمونها الحقيقي وصرفها إلى معان ما أنزل الله بها من سلطان لا تتوافق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة وأقوال المفسرين وعلماء الأصول ... إلخ .

من هذه المعاني على سبيل المثال :

١- أن من يدعي النبوة من أمة محمد ﷺ ، هذا من باب التكريم ، ولا يتناقض مع آية خاتم النبوة .

وإنما الذي يتناقض مع الآية أن يأتي نبي من غير الأمة الإسلامية .

وميرزا بهذا التأويل المريب يفتح باب النبوة على مصراعيه لا ليسعه فقط وإنما ليسع كل دعي كذاب .

يقول ميرزا " فإن كان الله كرم أحداً من هذه الأمة وسماه بالنبي إذ نال درجة الوحي والإلهام والنبوة بمجرد أتباع محمد ﷺ ، فإن خاتم النبوة أي طابعها لا ينقض بذلك لأنه لا يزال من أفراد الأمة الإسلامية .

ولكن مما ينافي ختم النبوة أن يأتي نبي من غير الأمة الإسلامية " (١).

وفي نفس هذا المعنى يقول ميرزا غلام أحمد القادياني " إن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء بمفهوم أنه قد تمت عليه كمالات النبوة وأنه لا يأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ولا نبي من غير أمته " (٢).

---

(١) العين المسيحية للغلام ص ٤١ وانظر ما هي القاديانية ص ٣٣ .

(٢) عين المعرفة ص ٩ وانظر ما هي القاديانية ص ٣٣ .

٢- خاتم النبيين أي أن الله تعالى أعطاه الخاتم وهذا لم يعطه أحد غيره وأن أي نبوة لا تصدق إلا إذا كان فيها طابع النبوة المحمدية " قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبيين إن المراد إن لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ ، وكما أن كل قرطاس لا يكون مصدقاً إلا حين يطبع عليه بخاتم فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعة بخاتمه وتصديقه ﷺ تكون غير صحيحة " (١).

٣- وخاتم النبيين بمعنى أفضل وأكمل النبيين وحليتهم وزينتهم .

وقفة نقدية :

القادياني إذ يؤول خاتم النبيين بتأويلات عدة منها كما ذكرنا خاتم النبيين أي لن يأتي نبي من غير المسلمين .

وخاتم النبيين أي معه الختم الذي به بطبع النبوة التي تأتي بعده بطابعه ولا يعد أحد بعده ﷺ نبياً من أنبياء الله ما لم يكن مطبوعاً بطابعه .

وخاتم النبيين أي أفضل وأكمل النبيين .

ولفظ خاتم في الآية الكريمة صحيح لأنه ورد في القرآن الكريم المنقول بالتواتر المأمون من الخطأ والمحفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى وصريح لا يحتاج لأي تأويل .

والتأويل إنما يصار إليه إذا كانت هناك ضرورة ، ولا ضرورة هنا تدعوا لصرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى آخر وليكن مرجوحاً .

ثم القرآن الكريم يحيل في كل الأمور إلى المتخصصين يقول سبحانه ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

---

(١) الملفوظات الأحمدية لمحمد منظور ج ٥ ص ٢٩٠ وانظر ما هي القاديانية .

وما نحن بصدده في أهل الذكر هم المتخصصون في اللغة والتفسير واللغة التي معنا هي اللغة العربية لأن القرآن نزل بها فماذا تقول قواميس اللغة في لفظ الخاتم :

يقول ابن منظور " ختم فلان القرآن إذا قرآه إلى آخره ، وختم الشيء ، يختمه ختماً بلغ آخره .. وخاتم كل شيء وخاتمته عاقبته وآخره ، واختتمت الشيء نقيض افتتحته ، وخاتمة السورة آخرها ... وختام القوم وخاتمهم ، بالفتح والكسر آخرهم والخاتم والخاتم – بالكسر والفتح – من أسماء النبي ﷺ وفي التنزيل العزيز ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي آخرهم [١].

وفي القاموس المحيط يقول الفيروز آبادي " وعاقبة كل شيء وآخرته كخاتمته وآخر القوم كالخاتم " [٢].

ويقول ابن فارس " ختم وهو بلوغ آخر الشيء والنبي ﷺ خاتم الأنبياء لأنه آخرهم " [٣].

ويقول أبو البقاء في كلياته " وتسميته نبينا خاتم الأنبياء لأنه الخاتم آخر القوم " .

وإذا كان المتخصصون من اللغويين يقولون في قواميسهم أن خاتم النبيين بمعنى آخرهم .

فإن نفس القول يقول به كل من تعرض لتفسير القرآن الكريم وما على القارئ إلا أن يبحث عن تفسير الآية الكريمة وهي الآية رقم ٤٠ في سورة

---

(١) لسان العرب ج ٢ ص ١١٠١ ط دار المعارف .

(٢) ج ٤ ص ١٠٢ دار الفكر بيروت ١٩٧٨ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٤٥ ط أولى .

الأحزاب ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ في أي كتاب تفسير من الكتب المشهورة ولن يجد إلا خاتم النبيين بمعنى آخرهم وأنه لا نبي بعده ﷺ (١).

وإذا كان أعلام اللغة والمفسرون يقولون الخاتم بمعنى الآخر فإن السنة الصحيحة والصريحة تقول بهذا أيضاً ويكفي أن نذكر ببعض هذه الأحاديث :

١- يقول ﷺ : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك – أي مات – نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء " (٢).

ويقول ﷺ " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (٣).

ويقول ﷺ " أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبه وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي " (٤).

وهو ﷺ يقول كما روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما – لعلي بن أبي طالب في غزوة تبوك " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " .

---

(١) راجع على سبيل المثال – تفسير الطبري – القرطبي – النسفي – الكشاف للزمخشري – تفسير الفخر الرازي – تفسير ابن كثير – تفسير المنار للسيد رشيد رضا – تفسير الألوسي – في ظلال القرآن السيد قطب ... إلخ .

(٢) ذكره البخاري في صحيحه ك المناقب باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٣) ذكره البخاري ك المناقب باب خاتم النبيين ، وذكره مسلم في صحيحه ك الفضائل .

(٤) ذكره الشيخان في صحيحهما – ك الفضائل باب أسماء النبي ﷺ .

القرآن الكريم باللفظ الصريح يقول أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وتأتي قواميس اللغة العربية لتؤكد أن خاتم الأنبياء أي آخرهم وأنه لن يأتي نبي بعد رسولنا ﷺ ثم يجمع المفسرون ما عدا الشيعة الغلاة على ما قالت به اللغة العربية .

وتأتي أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة والصريحة لتؤكد أن محمداً خاتم الأنبياء وأنه آخرهم وأنه لن يبعث نبي بعد ذلك .

فهل تلغى كل هذه المصادر ونلغي عقولنا ونستمع لأقوال وتفسيرات معتوه كذاب ! عجمي لا يعرف اللغة بطريقة صحيحة ؟!!

والصحابة رضوان الله عليهم يجمعون على أن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل وأن الكتاب المنزل عليه – القرآن الكريم – هو آخر الكتب السماوية .

ولهذا كانت بعثة محمد ﷺ عامة للإنس والجن في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وفي حديث صحيح يقول ﷺ " كان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة – وبعثت إلى الناس عامة " .

وعلماء الأمة من محدثين ومفسرين وأصوليين و ... و ... إلخ يجمعون في كل الأزمنة وفي جميع الأمكنة أن خاتم الأنبياء أي آخرهم وأنه لا نبي بعده ﷺ .

أقوال الأعلام :

وننقل لك أيها القارئ العزيز بعضاً من الأقوال التي جمعها الإمام أبو الأعلى المودودي من كتب أعلام الأمة بعد أن تأكدنا من ورودها كما أشار

فإذا أردت الأقوال كلها فراجع ما هي القديانية للإمام المـذكور . مـن هـذه الأقوال :

١- يقول ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ في تفسـيره روح البيان ج ٢٢ ص١٨٨ " ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة " .

ويقول الإمام الطحاوي المصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ في شـرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص١٥ " وإنه خاتم النبيين وإما الأتقيـاء وسـيد المرسلين وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى " .

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ " إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ – أي لا نبي بعدي – ومن قرائن أحواله عدم نبي بعده أبداً ، وعدم رسول بعده أبداً وأنه ليس فيه تأويل ، ولا تخصيص ، فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع " راجع الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٣ .

ويقول الإمام الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ في تفسيره الكشاف ج ٢ ص٢١٥ " فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان ، قلت : معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا يتنبأ أحد بعده ، وعيسى ممن نبئ قبله ، وحين ينزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ ، مصلياً إلى قبلتـه كأنـه بعـض أمته " .

ويقول القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ في كتابـه الشـفا ج ٢ ص٢٧٠ " ومن ادعى النبوة لنفسه – مثـل القاديـاني والبهـائي – وجـوز اكتسابها ... كالفلاسفة وغلاة المتصوفة ... هـؤلاء كلهـم كفـار مكـذبون للنبي ﷺ ، لأنه أخبر أنه خاتم النبيين ، وأنه أرسل كافة للنـاس ، وأجمعـت

الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، وأن مفهومه والمراد به دون تأويل ولا تخصيص ، فلا شك في كفر هذه الطوائف ... إجماعاً وسمعاً " .

ويقول البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ في تفسيره ج ٤ ص١٦٤ " أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه " .

ويقول ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في تفسره ج٣ ص ٤٩٣ " فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا عكس " .

وتختم هذه النقول بقول الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ في تفسيره المسمى بروح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ " والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه السلام بها في هذه النشأة وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر " .

والقاديانيون يتمسكون بقوله سبحانه ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الحج : ٧٥ .

فيقولون القرآن الكريم يقول يصطفي والفعل مضارع والمضارع يدل على الحال والاستقبال . وهذا معناه أن الاصطفاء لم ينقطع بل اصطفى الله رسلاً بعد محمد ومنهم ميرزا غلام أحمد القادياني لدلالة الفعل المضارع على الاستمرار وهذا الكلام مردود بالآيات والأحاديث والأقوال التي ذكرنا قبل ذلك والتي تؤكد أن النبوة والرسالة ختمت بمحمد ﷺ وانتهى الأمر " وقد يعبر

عما مضى بالحال أي المضارع عند الاقتضاء كما قرره علمـاء البلاغـة ، وذلك كاستحضار الصور الماضية وعرضـها علـى الحاضـرين لغرابتهـا وأهميتها ، كما أن التعبير يصطفي يدل على تجدد الاصطفاء – في الماضـي وتكرره – بمعنى أنه لم تقع مرة واحدة ثم انقطع " (١).

(١) بيان للناس ج ٢ ص ٢٢ وانظر د / حسن عيسى عبـد الظـاهر القاديانيـة نشـأتها وتطورها ص١٣٣ .

عقيدة الألوهية عند القادياني

قبل أن يخضع غلام أحمد للتطورات المتلاحقة والتي انتهت به إلى ما انتهت ، كان الرجل مسلماً حقيقياً اعتقاده في الله هو نفس اعتقاد المسلمين وبخاصة أهل السنة .

إله واحد ، موصوف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، خالق الكون بكل ما فيه ومن فيه ، لا ند له ولا شريك له ، قريب من خلقه مع سموه عن الزمان والمكان لأنه خالقهما ، ليس كمثله شيء لأن كل الأشياء هو خالقها ، ليس بجسم ولا يخضع لما تخضع له الأجسام من انقسام أو تركب أو حلول أو اتحاد هو حي وقادر بحياة وقدرة أزلية وأبدية .

يقول الغلام " ومما يجب على جماعتي أتباعه أن يعرفوا عن يقين ، أن لهم إلهاً قادراً وقيوماً ، وخالقاً للكون كله ، أزلي الصفات وأبديها ، لا يخضع للتطور ، ولا يلد ولم يولد ، وهو يسمو بذاته عن أن يتألم أو يصلب أو يموت ، أنه قريب على بعده ، وبعيد على قربه ، هو متعدد المظاهر على توحده " (١).

ثم حدث التحول من الإيمان بالألوهية الحقيقية إلى القول بألوهية مصطنعة مستقاة في أصولها من الأديان الوضعية والتوراة المحرفة .

ولن يجد القارئ العزيز أي صعوبة في التعرف على بعض صور هذا التحول أو الانحراف حينما ينظر بعقله في بعض النصوص المنقولة من كتب الغلام القادياني .

---

(١) التعليم – لميرزا غلام ص ١ .

فهو يقول " قال لي الله إني أصلي وأصوم ، وأصحوا وأنام " (١).

ويقول " إني مع الرسول أجيب ، أخطئ وأصيب أني مع الرسول محيط " (٢).

ويقول " أنا رأيت في الكشف أني قدمت أوراقاً كثيرة إلى الله تعالى ، ليوقع عليها ، ويصدق الطلبات التي اقترحها ، فرأيت أن الله وقع على الأوراق بحبر أحمر ، وكان عندي وقت الكشف رجل من مريدي ، يقال له عبد الله ، ثم نفض الله القلم ، وسقطت منه قطرات الحبر الأحمر على أثوابي وأثواب مريدي عبد الله . ولما انتهى الكشف رأيت بالفعل أن أثوابي وأثواب عبد الله لطخت بهذه الحمرة ، مع أنه لم يكن عندنا شيء من اللون الأحمر وإلى الآن هذه الأثواب موجودة عند مريدي عبد الله " (٣).

ويقول " يستطيع أن يعرض لتصوير وجود الله بأن له أيادي وأرجل كثيرة ، وأعضاؤه بكثرة لا تعد ولا تحصى ، وفي ضخامة لا نهاية لطولها وعرضها " (٤).

ويقول " خاطبني الله بقوله اسمع يا ولدي " البشرى ج١ ص٤٩ .

وقال لي " أنت مني وأنا منك ظهورك ظهوري " (٥).

ويقول الغلام قال الله لي " يا شمس ويا قمر أنت مني وأنا منك " (٦).

---

(١) البشرى للغلام ج٢ ص ٩٧ وانظر القاديانية لظهير ص٩٧ .

(٢) نفسه ص ٧٩ .

(٣) ترياق ٣٣ وحقيقة الوحي ص٢٥٥ وانظر القاديانية لظهير ص٩٨ ويلاحظ أن الكشف يقول به بعض الصوفية .

(٤) توضيح المرام للغلام ص٧٥ وانظر القاديانية لظهير ص٩٩ .

(٥) وحي المقدس للغلام ص٦٥ وانظر ظهير ص١٠٠ .

(٦) حقيقة الوحي ص ٧٣ .

وقفة نقدية :

الادعاءات السابقة وغيرها كثيراً عرضنا عن ذكرها مخافة الإطالة لا تبتعد كثيراً عما يقوله اليهود في كتبهم عن الإله سبحانه وتعالى .

فهو عندهم مجسم ، ويسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ، وعمود نار بالليل ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً " (١).

وهو إله يأكل ويشرب مع ملكين من ملائكته الطعام الذي قدمه لهم إبراهيم عليه السلام في خيمته (راجع سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر ١ - ١٦) .

وهو إله بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام ، بارك اليوم السابع لأنه اليوم الذي استراح فيه من عمله (٢).

وهو إله يجهل ويخطئ ويندم ويحزن ويخاف (٣).

وفي التلمود كثير من الصور التي تجسم الإله وتشبهه بخلقه -- تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .

فالله واحد أحد لا ند له ولا مثل له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، متصف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله خالق كل شيء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو المعبود والكل عابد له هو الخالق والكل مخلوق له ، خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ، لا تخفى عنه خافية لا يعجزه شيء لأنه رب كل شيء .

---

(١) سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر ٢١ - ٢٢ .

(٢) راجع سفر التكوين الإصحاح الثاني ٢ - ٣ .

(٣) راجع سفر الخروج الإصحاح ٣٢ والتكوين الإصحاح السادس .

ونحن نصوم ونصلي لأنه أمرنا بالصوم والصلاة ولأن الصوم وقاية للإنسان والصلاة تصل الإنسان بالخالق وتنهى عن الفحشاء والمنكر .

فلمن يصوم الله تعالى ويصلي وهل فوقه آمر يأمر ؟ ومن هو ؟ وهل أفعاله تعالى معللة بالاعتراض ؟

ونحن نقوم ونصحو لأننا مخلوقون مركبون من مواد متعددة تقبل التغير المستمر ففي البدء لم تكن شيئاً وبعد خلق أبينا آدم وأمنا حواء قضت حكمة الله أن يكون اللقاء بين الاثنين سبباً في التناسل الذي يبدأ بالنطفة التي تتحول بإذنه تعالى إلى علقة ثم إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة ونخرج للوجود ومع الخروج يلحقنا التحول المستمر من طفل إلى صبي إلى شاب إلى شيخ إلى كهل إلى مرحوم في عالم البرزخ ومع النفخة الثانية نخرج من قبورنا لنبدأ الدار الحقيقية ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت : ٦٤ .

نحن الذين نسهو ونغفل وننسى لمحدوديتنا ومحدودية عقولنا .

أما خالقنا عز وجل فهو الأول قبل أي شيء بلا بداية أي أنه أزلي غير مسبوق بالعدم ، وهو الآخر بعد كل شيء بلا نهاية أي أنه أمدي أي لا ينتهي لعدم ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد : ٣ .

أول قبل أي شيء وآخر بعد كل شيء وظاهر بنعمه التي لا تحصى وباطن ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام : ١٠٣ .

وهو سبحانه الحي حياة حقيقة دائمة ليست هبة من أحد ، لا تشبه حياته حياة أي مخلوق ، لأنه خالق وفرق كبير بين الخالق والمخلوق .

هو القائم بكل أمور هذا الكون والعالم به قبل أن يكون وأثنـــاء تكوينـــه وهو كائن وبعد أن ينتهي .

لا تأخذه سبحانه سنة ولا نوم لأنه خالق الغفلة والنوم والهدوء والنسيان بل هو خالق الكون ، وكل ما فـــي الكـــون عبـــد لـــه ســـخر بإرادتـــه ، و تحت علمه ندخل للوجود وتخرج من الوجود بقدرته ، هو سبحانه مالك الكل يعطي ويمنع ويغني ويفقر ، ويسعد ويشقي ، ويعز ويذل ﴿ قُلِ اللَّهُـمَّ مَالِـكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَـن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَـاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران : ٢٦ - ٢٧ .

الخطأ والصواب يقع من الإنسان لمحدوديته في كل شيء أما الذي لا حد له ، ولا قدر له ، ولا مثل له ، فهو منزه تنزيهاً كاملاً عن كل النقائص والنوم من النقائص ولا يكون إلا للناقص لقول الرسول ﷺ (إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) رواه مسلم في صحيحه .

والقادياني المعتوه يتصور الإله رئيساً لعمل ما أو مكتب ما أو إدارة ما يحتاج إلى كشف بالمقترحات يعرض عليه ليوقعها ، ويتمادى الرجل فيـــذكر أنه قدم الكشوف لله ، وأنه تعالى وقعها بحبر أحمر ، ويبـــدو أن الحبـــر قـــد انحبس في القلم ، فاضطر الإله لتحريكه بقوة فاندفع مع الحبر الأحمر ليلوث أثواب القادياني وصاحبه .

الإله مجسم عنده وفي مستوى الإنسان ويجالس الإنسان تماماً مثلما قال اليهود لموسى ﴿ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً ﴾ ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ هكذا

في مقابلتهم ملموساً بأيديهم ، ويحدثهم ويحدثونه تنزه الله تعالى عن غفلة الغافلين وطعنة الطاعنين .

والإله عنده ليس مجسماً فقط ، بل هو أخطبوط كبير الجسم كثير الأرجل والأيدي .

ونسي الرجل أو تناسى ، لأنه كان مسلماً بل كان داعية ومحاوراً للنصارى واليهود وغيرهم قبل أن ينزلق في متاهات الإلحاد وظلام الكفر نسي أسماء الله الحسنى والتي منها ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر : ٢٢ – ٢٤ .

غلام أحمد والقرآن الكريم

تبين لنا مما سبق أن الغلام القادياني ، عمل في بداية حياته في مجال الدعوة الإسلامية ، وأحرز نجاحات في مناظراته للمخالفين للإسلام مثل النصارى والهندوس وغيرهم .

وأن هذه النجاحات دفعت الناس للالتفاف حوله والتصديق بما يقول .

وهذا الالتفاف مع تدخل استعماري بالمؤازرة جعل الرجل أنه من أفضل أولياء الله ، وأنه المجدد على رأس القرن العشرين الميلادي ، ويبالغ بعد ذلك ليقول أنه محدث من الله تعالى ، وأنه مقبل للمسيح ، وفي فترة لاحقة يقول بأنه المسيح الموعود ، وأنه نبي جزئي أو ظلي أو هو نبي ناقص ، لأنه لا وحي له ولا شرع له .

وفي هذه الفترة كان المظهر العام للقادياني يوحي بأنه يؤمن بالقرآن الكريم ويعظمه ويلتزم بتعاليمه ، ويعتبره الكتاب الأوحد بعد التوراة والإنجيل ولن ينزل بعده كتاب ، وأن القرآن الكريم بما فيه من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق يحقق لمن يلتزم به الفوز برضوان الله تعالى .

يقول ميرزا غلام أحمد " لا تضعوا القرآن كالمهجور ، لأن لكم فيه حياة ، ... إن الذين يفضلون القرآن على كل حديث ورأي سيفضلون في السماء .

لا كتاب لبني الإنسان اليوم على وجه هذه البسيطة إلا القرآن ... من نقص أيسر وصية من وصايا القرآن فقد حرم نفسه من النجاة ، إن القرآن هو الهادي إلى سبل السلام والنجاة ... تدبروا القرآن وأحبوه حباً ما أحببتموه أحداً ، لأن الله خاطبني قائلاً : الخير كله في القرآن .

يا أيها الناس : إن منبع نجاحكم وخلاصكم في القرآن وحده " (١).

ومع انفلاته النبوة المستقلة سنة ١٩٠٧ وقوله بأنه يوحى إليه ، وأنه مؤيد بالتنبؤات التي هي دليل واضح على نبوته وأن ما يقوله بدءاً من هذا التاريخ ينسخ ما قاله قبل ذلك .

وبهذا الكلام تحول عين المعتقد الأول وكل شيء وبخاصة قوله أنه لا كتاب إلا القرآن إلى معتقد يشرك فيه مع القرآن المنزل على محمد ﷺ قرآنا أفراد أو كتابٌ أقر قال عن الأتباع أن اسمه الكتاب المبين ، وهذا الكتاب نزل على ميرزا غلام أحمد .

يقول الغلام " أحلف بالله الذي في قبضته روحي ، هو الذي أرسلني وسماني نبياً ، وناداني بالمسيح الموعود ، وأنزل بصدق دعواي بينات بلغ عددها ثلاث مائة ألف بينة " (٢).

وإذا كان القادياني يقول في النص السابق أنه نبي وأنه مسيح موعود فهو في نصوص أخرى يقول أنه أعطى مثل ما أعطى الأنبياء " أنا وحدي أعطيت كل ما أعطى لجميع الأنبياء " (٣).

وإذا كان مما أعطى الأنبياء وبخاصة سيدنا محمد ﷺ نزول ملاك الوحي جبريل – عليه السلام – عليهم فإن الغلام يقول " إن جبريل جاء إلي واختارني ، فأدار إصبعه وأشار إلي بأن الله يحفظك من الأعداء " (٤).

---

(١) من هدى الأحمدي ص ٤ .

(٢) تتمة حقيقة الوحي للغلام ص ٦٨ وانظر ظهير ص ١٠٤ .

(٣) در ثمين للغلام ص٢٨٧ وانظر ظهير ص ١٠٥ .

(٤) مواهب الرحمن للغلام ص ٤٣ وانظر ظهير ص ١٠٦ .

والغلام نفسه يقول بأن ما يوحى إليه هو من عند الله مثل القرآن ويقسم أنه يؤمن به مثل ما يؤمن بالقرآن " والله العظيم أؤمن بوحي كما أؤمن بالقرآن وبقية كتب أنزلت من السماء ، وأنا أؤمن بأن الكلام الذي ينزل علي ينزل من الله كما أؤمن أن القرآن نزل من عنده " (١).

ويقول أيضاً " إيماني بالإلهامات التي تنزل علي كالإيمان بالتوراة والإنجيل والقرآن " (٢).

ويزيد أحد كتاب القاديانية الأمر وضوحاً حينما يقول " إن الله سمى مجموعة الإلهامات بغلام أحمد بالكتاب المبين وسمى الإلهام الواحد الآية ، فالذي يعتقد بأنه لابد للنبي أن يكون صاحب كتاب ، يمكن أن يؤمن أيضاً بنبوة غلام أحمد ورسالته ، لأن الله أنزل له كتاباً سماه بالكتاب المبين وأثبت له هذا الوصف ولو كره الكافرون " (٣).

ونختم الكلام في هذه النقطة بنص للغلام يقول " نزل علي كلام الله بهذه الكثرة ولو جمع لن يقل عن عشرين جزءاً " (٤).

والسؤال الآن هل تحول الغلام عن ما كان يقول به أولاً إلى ما قال به ثانياً كان بإرادته ؟ أم هو انتقل من المعتقد الأول إلى المعتقد والقول الثاني تنفيذاً لما هو مرسوم له بهدف التشكيك في كل شيء حتى في القرآن .

اعتقد أن الاحتمال الثاني هو الأقرب لحقيقة القادياني والقاديانية فكل شيء وكل فكرة وكل مدعي يرتبه الاستعمار الإنجليزي في الخفاء ثم يدفع بعميله ليقول به بعد أن يمهد الساحة لقبول ما يقوله هذا العمل ، وتتبع القاديانية منذ نشأتها يؤكد ما نقول .

---

(١) حقيقة الوحي ص٢١١ وانظر ظهير ص ١٠٦ .

(٢) تبليغ رسالات ج ٦ ص ٦٤ وانظر ظهير ص ١٠٧ .

(٣) النبوة في الإلهام ص ٤٣ محمد يوسف القادياني وانظر ظهير ص ١٠٩ .

(٤) حقيقة الوحي ص ٣٩١ للغلام وانظر ظهير ص ١١٠ .

الإسلام وخطر القاديانية

منذ خمسة وأربعين عاماً ونصف ، وبالتحديد في السابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٨٦ هـ قامت المكتبة العلمية بالمدينة المنورة بطبع ونشر كتاب القاديانية دراسات وتحليل لمؤلفه الباكستاني إحسان إلهي ظهير .

وفي مقدمته تحدث المؤلف عن غفلة العالم الإسلامي عن إفريقيا ، مع أنه يملك من الامكانات المادية والمعنوية الكثير .

وقد استغل هذه الغفلة القاديانيون ، فقاموا وعلى نطاق واسع بنشر أفكارهم وعقائدهم التي تتناقض مع الإسلام وتحرف كل ما هو إسلامي ، وتعمل على التشكيك فيه ومن ثم هدمه .

وتفتح الباب على مصراعيه لإنشاء كوادر بشرية ، أو جسور تخدم الاستعمار أياً كان نوعه ، وتساعده على التغلغل في العالم الإسلامي والسيطرة على كل مقدراته .

منذ خمسة وأربعين عاماً أنشأت القاديانية أكثر من خمس مجلات راقية بمعونة أعداء الإسلام للدس والفساد ونشر أفكار الكفر بين المسلمين ، ... هذا مع مئات الميلغين القاديانيين الذين يتجولون من أدنى أفريقيا إلى أقصاها ، وقد أقاموا سبعاً وأربعين مدرسة ، وبنوا مائتين وستين مسجداً ، هذا غير المكتبات العامة والخاصة والمؤلفات والنشرات وترجمة القرآن إلى لغات شتى كما فتحوا في الأونة الأخيرة مستشفيات ودور اجتماعية في مختلف الأنحاء " (١).

---

(١) القاديانية ص ١٥ إحسان إلهي ظهير .

كان هذا في إفريقيا في الفترة التي انتهت مع صدور الكتاب أي سنة ١٣٨٦ هـ .

فماذا فعلت القاديانية في بقية بلدان العالم في نفس هذه الفترة ؟!!

وماذا أحدثته في العالم الإسلامي من سنة ١٣٨٦ هـ وحتى الآن ؟!!

وقبل هذا التاريخ وبالتحديد بعد إعلان القادياني لموعوديته ونبوته والقاديانيون يعملون ضد الإسلام والمسلمين .

وللأسف الشديد فهم يدعون أثناء دعوتهم أنهم مسلمون مجددون ومن لا يعرف الإسلام عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ربما ينطلي عليه الموقف ويقع في شرك دعوة هدفها التشكيك في كل ما هو إسلامي .

إن لبعض المستشرقين توجهات استعمارية وهي ظاهرة واضحة في كتاباتهم وهذا لا يخفى على أحد فعقيدتهم واضحة صليبية أو يهودية بل ربما صهيونية .

وقوى التبشير تعمل ليل نهار وواضح للجميع أنها قوى معادية للإسلام وهدفها التنصير .

أما القاديانيون فيعملون ضد الإسلام باسم الإسلام ومن هنا يكمن الخطر وبخاصة في البيئات التي لا تعرف من الإسلام إلا القشور أو لا تعرفه على الإطلاق .

والسؤال الآن ونحن في القرن الخامس عشر للهجرة المطهرة الموافق للقرن الحادي والعشرين الميلادي ، هل توقف النشاط القادياني في القارة الإفريقية أم اتسع ليشمل كل القارات ؟

لا أتجنى على أحد حينما أقول إننا كمسلمين فقدنا الإخلاص في العمل والصدق مع النفس والغيرة الدينية .

وأكبر دليل على ذلك أن مساجدنا تمتلئ بالمصلين وبخاصة في الجمع والمناسبات والشكل العام يؤكد أننا مسلمون أما الحقيقة فإننا نفقد الكثير من قيم الإسلام ، نحن نرددها نعم لكن خروجها إلى الواقع وتطبيقها العملي نحن بعيدون عنه .

الإسلام يدعوا إلى العدل والحب والنقاء والتماسك والتعاون ومحاسبة النفس وتقوية العقل والضمير والتراحم والإحسان في كل شيء ، والتسامح في كل الأمور والتيسير لا التعسير .

ونحن ندعي في الظاهر أننا كذلك وواقع الأمر يؤكد أننا لسنا كذلك .

لا أتجنى على أحد حينما أقول أننا كمسلمين نحارب الصحوة الإسلامية في كل مكان ونتهم من يتمسك بقيم الإسلام بالتخلف والرجعية والجمود والسطحية والتطرف والإرهاب ونسمي تراثنا الإسلامي بالتراث الأسود أو الأصفر أو الرخيص نحن الذين نحارب أنفسنا أكثر مما يحاربنا الغير ، نحن الذين نضعف أنفسنا ، ونفتح الثغرات لينفذ منها إلينا أعداؤنا .

نعم هناك مذاهب فكرية متعددة ، تعمل على إعلاء كلمتها وقيمها على حساب الآخرين وبخاصة من ينتمي للإسلام .

وفي صدارة هذه المذاهب والتيارات البرجماتية المتعاونة حتى النخاع مع الصهيونية العالمية وغايتهما السيطرة والتملك والعبث بمقدرات الآخرين ، وإخضاع الكل لقيمهما والوسائل كلها مفتوحة ومتاحة فسيدهما ميكافيلي قال لهما الغاية تبرر الوسيلة .

وبالطبع من الوسائل إنشاء نحل وطوائف كالقاديانية والبهائية ومساعدتهما بكل الوسائل المادية والمعنوية على اختراق الشعوب والأديان .

وعلى نفس الدرب يتحرك العلمانيون بمفاهيمهم العلمانية ويعملون على عزل الدين عن الدولة أو إبعاد الدين كلية عن الحياة وحصره إن أمكن في المسجد ، والترويج لكل ما ليس بديني وإلباسه ثوباً محبباً للنفس ، والتنفير من كل ما هو ديني وإلباسه ثوباً مقززاً مهلهلاً والإدعاء بأن المتدينون أوجلهم متطرفون ، رجعيون إرهابيون جهلة .

هناك رأسمالية متأسدة متوحشة مستغلة تسيطر على كل شيء ، وفي تعال وعدوانية تلقي بفتات موائدها للشعوب المقهورة ، وهي تلقي لهم تشعرهم بالامتنان عليهم وتعمل على تكميم أفواههم وتعمية أبصارهم ، وإلغاء عقولهم وإشعارهم بأن رفع الصوت يقابل بالسوط الملهب للظهور .

إن المطالبة بحق الحياة والتملك والحرية والتعبير عن الرأي وتأكيد الهوية الإنسانية تقابل في ظل الرأسمالية بالاتهام بأفظع الجرائم والقذف خلف أسوار السجون .

إن البرجماطية والصهيونية والعلمانية والرأسمالية المتوحشة ، وبعض الطوائف العميلة المختلفة كالبهائية والقاديانية ومعهما دعاة التغريب من المسلمين ، الذين يدعون أنهم وحدهم هم المثقفون الواعون الفاهمون المتحضرون ، بينما غيرهم لا يعي أي شيء .

إن هؤلاء جميعاً يجمعون على وصف كل من يدافع عن الأرض التي اغتصبت ، والعرض الذي انتهك والمال الذي سلب ، والحرية التي كبلت ، والدم الذي أسيل ... أصحاب الحق يتهمون بالتطرف والتخلف والعدوانية والإرهاب .

وفي قرننا الواحد والعشرين ليس ما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان وباكستان والسودان عنا ببعيد أعداء الإسلام من مذاهب وتيارات

وطوائف لا يتوقفون لحظة واحدة عن العمل ضد الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين وشغلهم بأمور جانبية تصرفهم عن العمل الجاد من أجل الإسلام .

ما هو المطلوب إذاً للحد من تأثيرات التيارات والطوائف ؟

أحسب أن أموراً كثيرة يجب أن تتخذ ، منها على سبيل المثال :

١- قيام الأزهر وبخاصة جامعته بتوسيع دائرة النشاط لتشمل كل جنبات المعمورة ، ولا يتم هذا إلا بإعداد كوادر مخلصة فاهمة واعية قادرة على عرض الإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق بأسلوب مبسط سهل يعتمد على العقل والنقل .

وهذه الكوادر تجيد لغات القوم التي تعمل وسطهم وتفهم عاداتهم وتقاليدهم وهي في نفس الوقت لكي تكون قدوة ومثلاً يحتذى يجب أن تطبق على نفسها القيم الصحيحة التي تعمل على نشرها ، كما يجب أن تلتزم بالتيسير لا التعسير ، والتبشير لا التنفير .

٢- إن جامعة الأزهر وحدها تضم بين جنباتها طلاباً وطالبات من أكثر من خمسين دولة إسلامية وغير إسلامية مثل باكستان وإندونيسيا ونيجيريا والفلبين وأمريكا وبريطانيا وتركيا والهند .. إلخ . وهؤلاء الطلاب والطالبات يتمتعون في الغالب بعقلية ذكية واعية قادرة على الاستيعاب العملي والعلمي الجاد ويعوق تحصيلهم إلى حد كبير عدم إجادتهم للغة العربية والمطلوب لكي يحسنوا الأخذ العلمي بطريقة صحيحة ومن ثم يكون العطاء العلمي إجادة اللغة العربية .

لهذا أرجو من القائمين على أمر جامعة الأزهر وبخاصة الذين يتعاملون مع المبعوثين من الخارج .

أرجو وأكرر الرجاء أن يهتموا بتدريس اللغة العربية كتابة ونطقاً لهؤلاء قبل إلحاقهم بأي كلية أزهرية ، وليكن هذا في عام مستقل .

وأن تم إلحاقهم قبل ذلك فيجب إعطاؤهم دورات مكثفة في اللغة العربية بحيث لا يخرج الواحد منهم من الجامعة إلا بعد إجادته للغة .

لو فعلنا هذا بإخلاص فلن يكون خريج الأزهر من المبعوثين إلا سفيراً للإسلام عاملاً على نشره مخلصاً في تطبيقه والدفاع عنه فالباكستاني مثلاً سوف يترجم ما أخذه بالعربية إلى لغة بني قومه وبهذا تتأكد سفارته للإسلام .

٣- تعقد مؤتمرات عدة يتناول فيها المؤتمرون بعض القضايا الإسلامية وتتخذ في النهاية القرارات والتوصيات ومع انتهاء المؤتمر ينتهي كل شيء والمطلوب تفعيل كل ما اتخذ من قرارات وتوصيات وإيجاد آلية مخلصة واعية لمتابعة التنفيذ .

٤- إن حكومات الدول الإسلامية وبخاصة تلك التي تملك الثروات الطائلة مطالبة بالإنفاق بسخاء على المراكز الإسلامية والبعثات في كل مكان .

كما أنها مطالبة في نفس الوقت بتوجيه الإعلام في بلدانها المسموع والمقروء والمرئي توجيهاً إسلامياً صحيحاً لا يتناقض مع متطلبات العصر ، ولا يبالغ في التحريم والتجريم ، ولا ينغلق على نفسه ، وهو في نفس الوقت يقدم الإسلام بطريقة جادة من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة والفهم الواعي المخلص الأمين .

٥- من الأمور الهامة لوحدة الأمة وانتشار الإسلام ورد كيد أعدائه التركيز على الثوابت الإسلامية فالرب للجميع واحد والنبي للجميع هو

محمد ﷺ والكتاب للجميع هو القرآن الكريم وقبلة الكل هي الكعبة المشـــرفة بمكة المكرمة .

وإيمان الجميع يعني التصديق القلبي الجازم الذي لا يداخله أي شك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وإسلام الجميع يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع .

ومع التركيز على الثوابت يعمل الكل على تحجيم الخلافات والاختلافات طالما أنها لا تتناقض مع الثوابت الإسلامية .

ومع النهاية نذكر

امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات : ٥٥ .

- عرفنا أن الإيمان في اللغة هو التصديق ، وفي الاصطلاح : التصديق القلبي الجازم الذي لا يداخله أي شك مع الامتثال الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

- وأن الإسلام هو الاستسلام والانقياد في اللغة ، أما في الاصطلاح فهو الامتثال لأوامر الله ونواهيه ، وأركانه خمسة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إذا كانت هناك استطاعة .

- وأن الكفر في اللغة هو الستر والجحود والتكذيب والتغطية . وفي الاصطلاح تكذيب النبي ﷺ فيما جاء به من عند ربه ، وهو الجحود والإنكار لأي ركن من أركان الإيمان أو الإسلام ، هو الرفض والاستكبار والتعالي على ما علم من الدين بالضرورة .

ويدخل في الكفر الشرك والنفاق العقدي ، والفسق في بعض صوره والارتداد عن الدين ، والقول بالدهر ، والقول بأنه لا شيء إلا المادة ... إلخ .

- وعرفنا أن القادياني ميرزا غلام أحمد ادعى أنه المهدي المنتظر أو المسيح الموعود أو عيسى بن مريم الذي قال عنه الرسول محمد ﷺ أنه سينزل آخر الزمان .

وادعى أنه نبي جزئي أو ناقص أو ظلي .

وأنه نبي حقيقي يوحى إليه وله معجزات تفوق معجزات الأنبياء ، وأن كل ما يقوله بعد ادعائه بالنبوة الحقيقية ينسخ ما قاله قبل ذلك .

– وأنه أول قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب : ٤٠ . تأويلات عدة تتناقض كلية مع القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة واللغة العربية وما يقول به المفسرون ، وما عليه إجماع الأمة كما تتناقض مع شروط التأويل الصحيح .

وهو لم يفعل هذا إلا ليفتح الباب على مصراعيه لنبوته المزعومة ونبوات أخرى يمكن أن تأتي .

– وعلمنا أنه بادعائه النبوة مع كل ما يتصل بها مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين .

– والله تعالى موصوف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، والقادياني يصف الله سبحانه وتعالى بصفات لا يقول بها إلا مغيب العقل معتوه كاذب .

– والقادياني والقاديانيون يفسرون قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ الإسراء : ١ ، المسجد الأقصى هو مسجد قاديان بالهند .

– وهم يلغون فريضة الجهاد لينعموا برضا المستعمر عليهم وبما يعطيه لهم من أموال ، في مقابل اغتصاب الأرض والعرض وتسفيه وإلغاء كل ما هو إسلامي ، وتغريب العقائد والأخلاق والمعاملات الإسلامية .

– والقادياني وأتباعه حكموا أولاً بفسق كل من لم يؤمن برسالة ميرزا غلام أحمد ، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الحكم بكفر كل مسلم منكر نبوة الغلام ، أو لا يصدق بما يقول .

وبناء على هذا لا يجوز أن تزوج القاديانية لرجل من غير القاديانيين .

كما لا يجوز أن يصلي القادياني خلف غير القادياني .

وأيضاً لا يحل للقادياني أن يصلي على ميت غير قادياني ومن فعل هذا فهو كافر بالقاديانية لا تجوز الصلاة عليه إذا مات .

- عرفنا الإيمان والإسلام والكفر والشرك والفسق والارتداد والنفاق العقدي .

- وعرفنا الكثير من ما يقول به ويدعيه ويعتقده القادياني وأتباعه وناقشنا بعض أقواله وأقوالهم فيما سبق .

والسؤال :

بأي حكم يحكم عليه وعليهم أيها القارئ العزيز ؟

أتركك لتفكر وتقارن بموضوعية ونزاهة كاملة ثم تحكم .

أما أنا فقد ناقشت بعض الأفكار التي يقول بها القادياني وأتباعه وقلت رأيي خلال المناقشة .

ولمشاركتك في الوصول للحكم الصحيح على الرجل وأفكاره وأتباعه أقول أن هناك فتاوى كثيرة تعطي الإجابة بوضوح وأذكر منها ثلاثاً فقط :

١- قدم استفتاء في رجب سنة ١٣٣٦ هـ إلى علماء جميع الفرق الإسلامية في شبه القارة الهندية (وقد نشر تحت عنوان فتاوى تكفير قاديان) وقد أجمع فيه علماء الفرق والمراكز الدينية على تكفير القاديانيين وإخراجهم من دائرة الإسلام (١).

---

(١) راجع القاديانية نشأتها وتطورها ص١٩٩ د / حسن عيسى عبد الظاهر .

٢- في ربيع الأول سنة ١٣٩٤ - الموافق إبريل ١٩٧٤ انعقد مؤتمر كبير في مكة المكرمة ... وحضره مندوبوا ١٤٤ جمعية إسلامية من كثير من بلاد العالم من المغرب إلى إندونيسيا واتخذ المجتمعون قراراً بالإجماع على تكفير القاديانيين .

وهذا نص القرار :

(القاديانية نحلة هدامة ، تتخذ من اسم الإسلام شعاراً يستر أغراضها الخبيثة ، وأبرز مخالفتها للإسلام ادعاء زعيمها النبوة ، وتحريف النصوص القرآنية ، وإبطالهم الجهاد .

القاديانية ربيبة الاستعمار البريطاني ... تخون القاديانية قضايا الأمة الإسلامية ، وتقف موالية للاستعمار والصهيونية ... وتتخذ هذه القوى واجهة لتحطيم العقيدة الإسلامية وتحريفها وذلك بما يأتي :

أ- إنشاء معابد تمولها القوى المعادية ، يتم فيها التضليل بالكفر القادياني المنحرف .

ب- فتح مدارس ومعاهد وملاجئ للأيتام ، وفيها جميعاً تمارس القاديانية نشاطها التخريبي ...

ج- تقوم القاديانية بنشر ترجمات محرفة لمعاني القرآن الكريم بمختلف اللغات العالمية [١].

٣- من فتاوى دار الإفتاء المصرية فتوى صدرت في المحرم سنة ١٣٧٩ - ٢٧ يوليو ١٩٥٩ يحكم فيها الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر الأسبق بردة من ينضم للقاديانية .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٤ بتصرف .

ونصه ... " إن من الثابت شرعاً أن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، وثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع ، فمن قال بظهور نبي بعده نص الفقهاء على أنه يكون مرتداً وحكم المرتد أنه لا يرث من أبيه المسلم ، ولا من أحد أقاربه المسلمين ، ولا يجوز شرعاً أن يكون وكيلاً أو ولياً على أحد منهم لأنه لا ملة له " (١).

ونكتفي بهذا القدر مع أمل بلقاء إن شاء الله تعالى .

---

(١) الفتاوى الإسلامية مجلد ٦ ص ٢١٣٣ .

المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم .

ب- كتب السنة المشرفة وبخاصة البخاري ومسلم .

جـ

١- أحجار على رقعة الشطرنج - وليم كار - دار النفائس ط ثالثة ١٩٧٩م .

٢- الإرشاد - إمام الحرمين الجويني مكتبة القاهرة ط أولى ١٩٥٠ م .

٣- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د / محمود حمدي زقزوق كتاب الأمة ط أولى ١٤٠٤ هـ .

٤- الاستشراق والمستشرقون - د . مصطفى السباعي ط ثانية المكتب الإسلامي ١٩٧٩ م .

٥- أسس المادية الديالكتيكية - سيزكين دياخوت ط محمد الجندي دار التقدم .

٦- الإسلام في وجه التقريب - أنور الجندي - دار الاعتصام .

٧- الإسلام والدعوات الهدامة - أنور الجندي - دار الكتب اللبنانية بيروت .

٨- أصول الفلسفة الماركسية - جورج بوليتزر - المكتبة العصرية - بيروت .

٩- أفكار ورجال - جرين برنتون ط ١٩٦٥ م .

١٠- الاقتصاد في الاعتقاد - أبو حامد الغزالي - مكتبة الجندي .

١١- إنتاج المستشرقين - مالك بن نبي - مكتبة عمار .

١٢- الله يتجلى في عصر العلم - مجموعة من العلماء الأمريكان - ترجمة الدمرداش سرحان .

١٣- الإنسان في القرآن الكريم - عباس محمود العقاد - دار نهضة مصر - القاهرة .

١٤- البابية عرض ونقد - إحسان إلهي ظهير ط ثالثة ١٩٨١ م .

١٥- البابية والبهائية ومصادر دراستها - د / عباس كاظم بغداد ١٩٨٢م .

١٦- بروتوكولات حكماء صهيون - دار التراث ١٩٧٧ .

١٧- البهائية - إحسان إلهي ظهير ط ثالثة ١٩٨٢ م .

١٨- بيان للناس ط الأزهر .

١٩- تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطي .

٢٠- التبشير والاستعمار - عمر فروخ - المكتبة العصرية ١٩٨٣ م .

٢١- تفسير الفخر الرازي - دار الفكر أولى ١٩٨١ م .

٢٢- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير - دار المعرفة ١٤٠٠هـ .

٢٣- التفسير الوسيط - د / محمد سيد طنطاوي - أولى ١٩٧٧ م .

٢٤- التفكير فريضة إسلامية - عباس محمود العقاد - ط بيروت .

٢٥- تيارات الفكر الفلسفي - أندريه كريسون - بيروت .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله القرطبي .

٢٧- الحروب الصليبية د / أحمد شلبي - النهضة المصرية .

٢٨- حقيقة البابية والبهائة - د / محسن عبد الحميد ط ثانية بيروت ١٩٦٩ م .

٢٩- روح المعاني – الألوسي – دار التراث بالقاهرة .

٣٠- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – د / مصطفى السباعي ط ثانية ١٩٧٨ م .

٣١- السيرة الحلبية – علي بن برهان – دار المعرفة بيروت .

٣٢- السيرة النبوية – عبد الملك بن هشام – ط ثالثة ١٩٧٨ م .

٣٣- شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبد الجبار بن أحمد – ط وهبة .

٣٤- الشيعة بين الاعتدال والغلو – د / محمد الأنور عيسى ط ثانية ٢٠٠٦ م .

٣٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – د / محمد البهي – دار الفكر ١٩٧٣ م .

٣٦- العهد القديم – دار حلبي للطباعة – ١٩٧٠ م .

٣٧- فقه السيرة – محمد الغزالي – عالم المعرفة .

٣٨- القاديانية دراسات وتحليل – إحسان إلهي ظهير – ط السادسة عشرة ١٩٨٢ م .

٣٩- القاديانية نشأتها وتطورها – د / حسن عيسى عبد الظاهر – ط ثانية ١٩٨٠ م .

٤٠- قراءة في وثائق البهائية د / عائشة عبد الرحمن ط الأهرام أولى ١٩٨٦ م .

٤١- قصة الحضارة – وول ديورانت – ط الدجوي ١٩٧٥ م .

٤٢- قصة النزاع بين الدين والفلسفة د / توفيق الطويل ط ثانية .

٤٣- ما هي القاديانية – أبو الأعلى المودودي – دار العلم ١٩٨١ م .

٤٤- محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي .
٤٥- مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب - دار الشروق ١٩٨٣ م .
٤٦- المستشرقون - نجيب العقيقي - دار المعرفة ط ٤ .
٤٧- المستشرقون والتاريخ الإسلامي - د / علي حسن الخربوطلي - الهيئة المصرية ١٩٨٨ م .
٤٨- المستشرقون والتراث - د / عبد العظيم الديب ط ١٩٨٨ .
٤٩- المسيحية د / أحمد شلبي - ط سادسة - النهضة المصرية .
٥٠- معالم تاريخ الإنسانية - هـ ج ويلز - لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٥ م .
٥١- الملل والنحل - الشهرستاني - ط الحلبي .
٥٢- نظرات في العقيدة الإسلامية - د / محمد الأنور عيسى - ط ثالثة ٢٠٠٠ م .
٥٣- النظرية الماركسية - ايرزوين - ت خيري الضامن - دار التقدم .
٥٤- اليهودية د / أحمد شلبي - ط خامسة ١٩٧٨ م .
٥٥- اليهود وراء كل جريمة - وليم كار ط ثانية ١٩٨٢ بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٤٨٥٠ لسنة ٢٠١٠

مطبعة الرشوان